

هاجر بين الحرية والمعبودية

عبد المجيد هتو



منشور وزارة الثقافة
للطبعة الأولى



هاجر

بين الحرية والعبودية

الطبعة الأولى

منشورات دار مجد للنشر والتوزيع

دمشق ١٩٩٣

عبد المجيد همو

هاجر

بين الحرية والعبودية

الإهداء

الى من تحت أقدامها جنات النعميم
الى كل الأمهات العربيات اللواتي يرفضن الدل ويأين نير العبودية .
الى أمهاتنا في فلسطين ، أمهات أطفال الحجارة
الى أم العرب هاجر
أقدم هذا الكتاب متواضعا

المؤلف

المقدمة

كلمة لازالت ترن في مسمعي كل صباح ، وكل مساء ، ألقاها صهيوني
على مسامع الحكام العرب "لاحق للعرب في فلسطين فقد دخلوها غزاة
وخرجوا منها مندحرين" .

لقد آمن اليهود ، ومن والاهم بكلمات التوراة ، فقد قالت أن اسماعيل
بن هاجر ، وهاجرأمة ، وابن الأمة لايرث ، ولهذا لاحق لاسماعيل في ارث
ابراهيم ، ونسوا أو تناسوا ، أن التوراة نفسها تناقضت في هذا الرأي ، فأوردت
أبناء يعقوب الاثني عشر ، وورثتهم جميعهم أرض فلسطين ، وأربعة من أبناء
يعقوب أبناء أماً (دان - نفتالي - وجاد واشير) .

لماذا أورث هؤلاء الأبناء أبناء الأما ؟

وعلى أي شيء اعتمدت التوراة على رق هاجر ، أهي القصة المختلقة في
رحلة ابراهيم الى مصر ؟ وقصته مع ساره ؟ وهذه القصة فيها استهتار بخلق
الأنبياء والرسل ، وتشويه لسمعتهم ، ولهذا فأنا أردّها أشد الرد ، وأتمنى من
المسلمين الذين قبلوا بها ، أن يعيدوا نظرهم فيها .

المؤلف

ابراهيم الخليل ماذا ورد عنه في القرآن الكريم ؟

نستطيع أن نرى في القرآن الكريم قصة متكاملة عنه عليه السلام وقد وردت القصة في سور متفرقة .

١ - هداية ابراهيم :

أ - الأنبياء الآية ٥١ - ٧٠

ولقد أتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين» اذ قال لأبيه ماهذه التماثيل التي أنتم بها عاكفون» قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين» قال لقد كنتم أنتم وأبائكم في ضلال مبين» قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين» قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين» وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين» فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون» قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين» قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون» قالوا آئت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا

ينطقون* فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون* ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون* قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلاتعقلون؟* قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين* قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيا افجعلناهم الأَخْسَرِينَ* ونجينا ه لوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين*

ب — سورة العنكبوت ١٦ — ٢٧

وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون* انما تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون* وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين* أو لم يروا كيف يبدىء الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير* قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشأ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير* يعذب من يشاء واليه تقبلون وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ومالكم من دون الله ولي ولا نصير* والذين كفروا بآيات الله ولقاءه أولئك يؤسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم* فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأجابه الله من النار أن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون* وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين* فأمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم* ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وأتينا ه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين .

ج - سورة الانعام ٧٤ - ٨٦

واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من المؤمنين* فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لأحب الأفلين* فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدينني ربي لأكونن من القوم الضالين* فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون* واني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتتاجونني في الله وقد هداني ولا أخاف مما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون* وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون* الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك حجتنا أتينها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم* ووهبنا له اسحق ويعقوب كلاهدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين* وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلافضلنا على العالمين*

د - سورة مريم ٤١ - ٥٠

واذكر في الكتاب ابراهيم أنه كان صديقا نبيا اذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد

مالا يسمع ولا يبصر ولا يفني عنك شيئا ياأبتي اني قد جاءني من العلم مالم يأتك
فأتبعني أهدك صراطا سويا ياأبتي لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن
عصيا ياأبتي اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال
أراغب أنت عن آلهتي ياابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا قال سلام
عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيوا واعتزلكم وماتدعون من دون الله
وادعو ربي عسى أن لاأكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون
الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا .

هـ — سورة الشعراء ٧٠ — ٨٩

واتل عليهم نبأ ابراهيم» اذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون» قالوا نعبد أصناما
فنظل لهم عاكفين» قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون» قالوا
بل وجدنا آبائنا لها كذلك يفعلون» قال افرايتم ماكنتم تعبدون» أنتم وآباؤكم
الأقدمون» فانهم عدو لي الا رب العالمين» الذي خلقني فهو يهديني والذي هو
يطعمني ويسقين» واذا مررت فهو يشفين» والذي يميّتي ثم يحييني والذي
أطلع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين» ربي هب لي حكما والحقني بالصالحين»
واجعل لي لسان صدق في الآخرين» واغفر لأبي انه كان من الضالين»
ولا تخزني يوم يبعثون» يوم لاينفع مال ولا بنون» الا من أتى الله بقلب سليم»

و — سورة التوبة ١١٥

وماكان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه
عدو الله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم .

ز — سورة البقرة ٢٥٨

ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذا قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين .

هـ — سورة الصافات ٨٣ — ٩٨

وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون . انكنا آلهة دون الله تريدون . فماظنكم برب العالمين . فنظر نظرة في النجوم . فقال اني سقيم . فتولوا عنه مدبرين . فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون . مالكم لاتنطقون . فراغ عليهم ضربا باليمين . فأقبلوا اليه يزفون . قال أتعبدون ماتنحتون . والله خلقكم وما تعملون . قالوا ابنا له بنيانا فالقوه في الحجيم . فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين . وقال اني ذاهب الي سيهدين . ربي هب لي من الصالحين .

٢ — البشارة بالأولاد .

أ — سورة الصافات ٩٩ — ١١٣

فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . ونادياه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا أنا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين . سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين .

ب - سورة هود ٦٩ - ٧٢

ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلام قال سلام فمالبت أن جاء بعجل حنيد» فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكروهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب» قالت ياويلتنا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب»

ج - سورة الحجر ٥١ - ٦٠

ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال أنا منكم وجلون قالوا لاتوجل انا نبشرك بغلام عليم . قال أبشرتوني على أن مسني الكبر فبم تبشرون» قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين» قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون» قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين . الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين»

د - سورة الذاريات ٢٤ - ٣٣

هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألأتاكمون فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشرو بغلام عليم . فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم أيها المرسلون قال انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم

حجارة من طين .

٣ — الايمان .

أ — سورة البقرة ٢٦٠

واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا اعلم أن الله عزيز حكيم .

٤ — الهجرة الى الحجاز وبناء البيت الحرام .

أ — سورة الحج ٢٦ — ٢٧

واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود* واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق*

ب — سورة ابراهيم ٣٥ — ٣٩

واذ قال ابراهيم اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام* رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم* ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم

يشكرون» ربنا انك تعلم مانخفي ومانعلن ومايخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق. ان ربي لسميع الدعاء .

ج - سورة البقرة ١٢٤ - ١٢٨

واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين» واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع والسجود» واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتنعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير» واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم»

د - سورة آل عمران ٩٥ - ٩٧

قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين» ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين» فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين»

هـ - موقف الكتابين من ابراهيم .

أ - سورة آل عمران ٦٥ - ٦٨

يا أهل البيت لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده
أفلا تعقلون» هأنتم أولاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون في ما ليس لكم
به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما وما كان من المشركين . أن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا
النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين»

ابراهيم في التوراة

سفر التكوين

١ - الاصحاح الحادي عشر ٢٧ - ٣٢

وهذه مواليد تارح ، ولد تارح ابرام ، وناحور ، وهاران ، وولد هاران لوطا ، ومات هاران قبل تارح في أرض ميلاده في أور الكلدانيين ، واتخذ ابرام ، وناحور لأنفسهما امرأتين ، اسم امرأة ابرام ساراي^(١) ، واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران أبي ملكة ، وأبي مسكة ، وكانت ساراي عاقرا ، ليس لها ولد ، وأخذ تارح ابنه ابرام ، ولوطا ابن هاران ، وساراي كنتة امرأة ابرام ابنه ، فخرجوا مها من أور الكلدانيين ، ليذهبوا الى أرض كنعان ، فأتوا الى أرض حاران ، وكانت أيام تارح مائتي وخمسين سنة ، ومات تارح في حاران .

٢ - الاصحاح الثاني عشر .

وقال الرب لابرام اذهب من أرضك ، ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى

(١) لم يعين الاصحاح والد ساراي من هو والى أي قبيلة تنتمي .

الأرض التي أريك ، فأجعلك أمة عظيمة ، وأباركك ، وأعظم اسمك ، وتكون بركة ، وأبارك مباركك ، وألعن لاعنيك ، وتبارك فيك جميع قبائل الأرض ، فذهب ابرام ، كما قال له الرب ، وذهب معه لوط ، وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة ، كما خرج من أرض حاران فأخذ ابرام ساراى امرأته ، ولوطا ابن أخيه ، وكل مقتنياتيهما التي اقتنيا ، والنفوس التي امتلكا في حاران ، وخرجوا ليذهبوا الى أرض كنعان ، فأتوا الى أرض كنعان ، واجتاز ابرام في الأرض الى مكان شكيم الى بلوطة مورا ، كان الكنعانيون آتخذ في الأرض ، وظهر الرب لابرام ، وقال لنسلك اعطي هذه الأرض^(٢) فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له ، ثم نقل من هناك الى الجبل شرقي بيت ايل ، ونصب خيمته ، وله بيت ايل من الغرب ، وعامى من المشرق ، فبنى هناك مذبحا للرب ، دعا باسم الرب ، ثم ارتحل ابرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب ، وحدث جوع في الأرض ، فأنحدر ابرام الى مصر ، ليتغرب هناك ، لأن الجوع في الأرض كان شديدا ، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته ، اني علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون اذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ، ويستبقونك قولي أنك أختي ، ليكون لي خير بسببك ، وتحيا نفسي لأجلك ، فحدث لما دخل ابرام الى مصر ، أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ، ورآها رؤساء فرعون ، ومدحوها لدى فرعون ، فأخذت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابرام خيرا بسببها ، وصار له بقر ، وغنم ، وحمير ، وعبيد واماء ، واتن ، وجمال ، فضرب الزب فرعون ، وبيته ضربات عظيما ، بسبب ساراى امرأة ابرام ، فدعا فرعون ابرام ، وقال ماهذا الذي صنعت بي ؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ؟ لماذا قلت لي هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي ؟

(٢) لم يميز في النسل بين ولد وولد .

والآن هو ذا امرأتك خذها ، واذهب ، فأوصى عليه فرعون رجالا ، فشيعوه وامراته وكل ماكان له^(٣) .

٣ - الاصحاح الثالث عشر .

فصعد ابرام من مصر ، هو وامراته ، وكل ماكان له ، ولوط معه الى الجنوب^(٤) ، وكان ابرام غنيا جدا في المواشي والفضة والذهب ، وسار في رحلته من الجنوب الى بيت ايل ، الى المكان الذي خيمته فيه في البداية بين بيت ايل ، وعامى ، الى مكان المذبح الذي عمله هناك ، أولا ، ودعا هناك باسم الرب ، ولوط السائر مع ابرام كان له أيضا غنم وبقر وخيام ، ولم تتحملهما الأرض أن يسكنا معا اذ كانت أملاكهما كثيرة ، فلم يقدر أن يسكنا معا ، فحدث مخاصمة بين رعاة مواشي ابرام ورعاة مواشي لوط^(٥) .

وكان الكنعانيون ، والفرزيون حيثل ساكنين في الأرض ، فقال ابرام للوط لا تكن مخاصمة بيني ، وبينك ، وبين رعائي ورعاتك ، لأننا نحن اخوان ، أليست كل الأرض أمامك اعتزل عني . ان ذهبت شمالا فأنا يمينا ، وان يمينا فأنا شمالا ، فرفع لوط عينيه ، ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سقي ، قبلما أخرب الرب سدوم وعمورة كجنة الرب ، كأرض مصر . حينما تجيء الى صوغر ، فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن ، وارتحل لوط شرقا ، فاعتزل الواحد عن الآخر . ابرام سكن في أرض كنعان ، ولوط سكن في مدن

(٣) لم يشر الى اهداء هاجر في هذه الحادثة .

(٤) الإشارة الى هجرة ابرام الى الجنوب فهل هاجر الى بلاد النوبة أم أن مصر غير المعروفة .

(٥) اقتسم ابرام ولوط الأرض وكأنها فارغة لا سكان فيها وهذا غير صحيح .

الدائرة ، ونقل خيامه الى سدوم ، وكان أهل سدوم أشرا ، وخطاة لدى الرب جدا ، وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه ارفع عينيك ، وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيتها ، ولنسلك الى الأبد واجعل نسلك كتراب الأرض ، حتى اذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض ، فذلك أيضا يعد ، ثم امش في الأرض طولها وعرضها ، لأنني لك أعطيتها ، فنقل ابرام خيامه ، وأتى ، وأقام عند بلوطات ممرا في حبرون ، وبنى هناك مذبحا للرب .

٤- الاصحاح الرابع عشر .

وحدث في أيام أمرا فل ملك شنعار ، وأريوك ملك لاسار ، وكدر لعومر ملك عيلام ، وتدعال ملك جوييم . أن هؤلاء صنعوا حربا مع بارع ملك سدوم ، وبرشاع ملك عمورة ، وشباب ملك ادمر ، وشمثير ملك صوييم ، وملك بالع التي هي صوغر جميع هؤلاء اجتمعوا متعهدين الى عمق السديم الذي هو بحر الملح اثنتي عشرة سنة استعبدوا لكدر لعومر ، والسنة الثالثة عشرة عصوا عليه ، وفي السنة الرابعة عشرة أتى كدر لعومر ، والملوك الذين معه ، وضربوا الرفائين في عشتاروت قرنائيم ، والزوزين في هام ، والأيمين في شوى اقريتايم ، والحوريين في جبلهم سعيير الى بطمة فاران ، التي عند البرية ، ثم رجعوا الى عين مشفط التي هي قادش ، وضربوا كل بلاد العمالقة ، وأيضا الأموريين الساكنين في حصون تamar ، فخرج ملك سدوم ملك عمورة ، وملك أدمة ، وملك صوييم ملك بالع التي هي صوغر ، ونظموا معهم حربا على عمق السديم ، مع كدر لعومر ملك عيلام ، وتدعال ملك جوييم ، وامرافل ملك شنعار ، وارويوك ملك لاسار ، أربعة ملوك مع خمسة ، وعمق السديم كان فيه آبار كثيرة ، فهرب ملكا سدوم وعمورة ، وسقطا هناك ، والباقون هربوا الى

الجليل ، فأخذوا جميع أملاك سدوم وعمورة ، وجميع أطمعتهم ، ومضوا ، وأخذوا لوطا ابن أخ ابرام ، وأملاكه ، ومضوا اذ كان ساكنا في سدوم ، فأتى من نجما ، وأخبر ابرام العبراني ، وكان ساكنا عند بلوطات ممرا الأموري ، أخي اشكول ، وأخي عابر وكانوا أصحاب عهد مع ابرام ، فلما سمع ابرام أن أخاه سبي ، جر غلماناه المتمرنين ، وولدان بيته ثلاثمئة وثمانية عشر ، وتبعهم الى دان ، وانقسم عليهم ليلاهو ، وعبيده ، فكسرهم ، وتبعهم الى حوبة التي عن شمال دمشق ، واسترجع كل الأملاك ، واسترجع لوطا أخاه أيضا ، وأملاكه والنساء أيضا والشعب . فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدزلعومر ، والملوك الذين معه الى عمق شوى الذي هو عمق الملك ، وملكي صادق ملك شالم ، أخرج خبزا وخمرا ، وكان كاهنا لله العلي ، وباركه ، وقال : "مبارك ابرام من الله العلي ومبارك السموات والأرض ومبارك الله العلي الذي أسلم أعدائك في يدك" ، فأعطاه عشرا من كل شيء ، وقال ملك سدوم لابرام : "أعطني النفوس ، وأما الأملاك ، فخذها لنفسك" ، فقال ابرام لملك سدوم : "رفعت يدي الى الرب الاله العلي مالك السماء ، والأرض لأأخذن لاخيطة ، ولاشراك نعل ، ولامن كل ماهو لك ، فلاتقول : انا أغنيت ابرام ، ليس لي الا الذي أكله الغلمان ، وأما نصيب الرجال الذين ذهبوا معي عابروا شكول وممرا ، فهم يأخذون نصيبهم" .

٥ - الاصحاب الخامس عشر .

بعد هذه الأمور صار كلام الرب الى ابرام في الرؤيا قائلا : "لاتخف يا ابرام ، أنا ترس لك أجرك كثير جدا" فقال ابرام : "أيها السيد الرب ماذا تعطيني ؟ وأنا ماض عقيم ؟ ومالك بيتي هو اليعازر الدمشقي" وقال ابرام : "أنك لم تعطيني نسلا ، وهوذا ابن بيتي وارث لي" . فاذا كلام الرب اليه

قائلا "لايرثك هذا بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك" ، ثم أخرجه الى خارج ، وقال : "انظر الى السماء ، وعد النجوم ان استطعت أن تعدها ، وقال له هكذا يكون نسلك" . فآمن بالرب فحسبه له برا ، وقال له : "أنا الرب الذي أخرجتك من أور الكلدانيين ، ليعطيك هذه الأرض ، لترثها" ، فقال له أيها السيد "بماذا أعلم أنني أرثها" ، فقال له : "خذ عجلة ثلاثية ، وعنزة ثلاثية ، وكبشا ثلاثيا ويمامة ، وحمامة فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط ، وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه" ، وأما الطيور فلم يشقه ، فنزلت الجوارح على الجثث وكان ابرام يزجرها ، فلما صارت الشمس الى المغرب وقع على ابرام سبات ، واذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه ، فقال لابرام : "اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم ، ويستعبدون لها أنا أدينها ، وبعد ذلك يخرجون بأملكك جزيلا ، وأما أنت فتمضي الى آبائك بسلام ، وتدفن بشيعة صالحة ، وفي الجيل الرابع يرجعون الى هاهنا ، لأن ذنب الأموريين ليس الى الآن كاملا" ، ثم غابت الشمس فصارت العتمة ، واذا تنور دخان ، ومصباح نار يجوز بين تلك القطع ، في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات^(١) ، الفينقيين والقنزيين والقرمونيين والحثيين والغريزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجائيين واليبوسيين .

٦ — الاصحاح السادس عشر .

(١) في الاصحاح نفسه يعتبر أرض مصر أرض غربة ثم يعود ليناقض نفسه من جديد حين يعتبر أرض اسرائيل من نهر مصر الى نهر الكبير نهر الفرات ولعل كاتب التوراة اما أنه يجهل نهر النيل أو يشير الى مصر غير المعروفة .

وأما ساراي امرأة ابرام ، فلم تلد له وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر ، فقالت ساراي لابرام ، "هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة ادخل على جاريتي ، لعلني أرزق منها بنين" فسمع ابرام لقول ساراي ، فأخذت ساراي امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة ابرام في أرض كنعان ، وأعطتها لابرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر ، فحبلت ، ولدت رأت أنها حبلت ، صغرت مولانها في عينيها^(٢) . فقالت ساراي لابرام "ظلمي عليك ، أنا دفعت جاريتي الى حضنك ، فلما رأت أنها حبلت ، صغرت في عينيها ، يقضي الرب بيني وبينك" فقال ابرام لساراي "هو ذا جاريتك في يدك ، افعلي بها ما يحسن في عينيك" ، فأذلها ساراي ، فهربت من وجهها ، فوجدتها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور ، وقال : "يا هاجر جارية ساراي^(٣) من أين أتيت ؟ والى أين تذهين ؟" فقالت : "اني هاربة من وجه مولاتي ساراي" ، فقال لها ملاك الرب : "ارجعي الى مولاتك ، واخضعي تحت يديها" ، وقال لها ملاك الرب : "كثيرا أكثر نسلك ، فلا بعد من الكثرة" ، وقال لها ملاك الرب : "هأنت حبلتي ، فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه اسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وانه يكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع اخوته يسكن ، فدعت اسم الرب الذي تكلم معها انت ايل رثي ، لأنها قالت : "هاهنا أيضا رأيت بعد رؤيا لذلك دعت البشر بئر لحي رثي ، هاهي بين قادش وبارد ، فولدت هاجر لابرام ، ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر

(٢) لم يشر الاصحاح الى هاجر قبل هذه المرة ولم يبين كيف حصلت ساراي عليها .

(٣) لغة هاجر حسب رأي التوراة لغة سامية انت ايل رثي وهذه اللغة بعيدة البعد كله عن لغة مصر الهيروغليفة .

اسماعيل ، كان ابن ست وثمانين سنة ، لما ولدت هاجر اسماعيل لابرام^(٤) .

٧ - الاصحاح السابع عشر .

ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الرب لابرام ، وقال له : "اننا الله القدير ، سر أمامي ، وكن كاملا ، فأجعل عهدي بيني وبينك ، وأكثرك كثيرا جدا" ، فسقط ابرام على وجهه ، وتكلم الله معه قائلا : "أما أنا فهو ذا عهدي معك ، وتكون أباً لجمهور من الأمم ، فلا يدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك ابراهيم لأنني أجعلك أباً لجمهور من الأمم وأثمرك كثيرا جدا ، وأجعلك أمما ، وملوك منك يخرجون ، وأقيم عهدي بينك وبينني ، وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا ، لأكون الاهل لها ، ولنسلك من بعدك ، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ملكا أبديا ، وأكون الالههم" ، وقال الله لابراهيم : "وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ولنسلك من بعدك في أجيالهم ، هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم ، وبين نسلك من بعدك ، يختن كل ذكر ، فتختنون في لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بيني وبينكم ، ابن ثمانية أيام ويختن منكم كل ذكر في أجيالكم ، وليدا لبنت والمبتاع بفضة ، من كل ابن غريب ليس من نسلك يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا ، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلة ، فنقطع تلك النفس من شعبها فلانكث عهدي وقال الله لابراهيم : "ساراي امرأتك لاتدع اسمها ساراي ، بل سمها سارة ، وأباركها ، وأعطيك أيضا منها ابنا ، أباركها فتكون أمما ، وملوك

(٤) لم تشر التوراة الى الازلال الذي أشار اليه الاخباريون المسلمون فصار الاخباريون ملكيين أكثر من الملك أو قل يهودا أكثر من كتاب التوراة .

شعوب منها يكونون"، فسقط ابراهيم على وجهه ، وضحك ، وقال في قلبه : "هل يولد لابن مئة سنة ، وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة" ، وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش أمامك ، فقال الله بل سارة امرأتك ، تلد لك ابنا ، وتدعو اسمه اسحق ، وأقيم عهدي معه أبديا ، لنسله من بعده ، وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه ، وأثمره كثيرا ، وأكثره جدا اثني عشر رئيسا ، يلد واجعله أمة كبيرة ، ولكن عهدي أقيم مع اسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية ، ولما فرغ الله من الكلام ، معه صعد الله عن ابراهيم ، فأخذ ابراهيم اسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضة كل ذكر من أهل البيت ابراهيم وختن لحم غرلته في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله ، وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته ذلك وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلة في ذلك اليوم عينه ، ختن ابراهيم ، واسماعيل ابنه ، وكل رجال بيته ، وولدان البيت ، والمبتاع بالفضة ، من ابن الغريب ختنوا معه .

٨ — الاصحاح الثامن عشر ١ — ١٥

وظهر له الرب عند بلوطات مرا ، وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه ، ونظر ، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة ، وسجد الى الأرض ، وقال : "ياسيدي ان كنت قد وجدت نعمة في عينيك ، فلاتتحاوز عبدك ليأخذ قليل ماء ، واغسلوا أرجلكم واثكثوا تحت شجرة ، وأخذ كسرة خبز ، فتسندون قلوبكم ، ثم تجتازون ، لأنكم قد مررتم على عبدكم" . فقالوا : "هكذا نفعل كما تكلمت" ، وأسرع ابراهيم الى الخيمة الى سارة ، وقال أسرعي بثلاثة كيلات دقيقا

سميذا ، اعجبي ، واصنعي خبزاً ملة^(١) ، ثم ركض الى البقر ، وأخذ عجلاً
 رخصاً وجيداً ، وأعطاه للغلام ، فأسرع ليعمله ، ثم أخذ زبدًا ولبنًا ، والعجل
 الذي عمله ووضعهما قدامهم ، واذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة ، أكلوا
 وقالوا له أين سارة امرأتك فقال هاهي في الخيمة فقال اني ارجع اليك نحو
 زمان الحياة ، يكون لامرأتك سارة ابن ، وكانت سارة سامعة في باب الخيمة ،
 وهي وراءه ، وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام ، وقد انقطع ان
 يكون لسارة عادة كالنساء ، فضحكت سارة في باطنها قائلة : "أبعد فئائي
 يكون لي نعم ، وسيدني قد شاخ" ، فقال الرب لابراهيم : "لماذا ضحكت
 سارة ؟" قائلة "فبالحقيقة الدوانا شخت ، هل يستحيل على ربي شيء ؟ في
 المعياذ ارجع اليك نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة ابن" فأنكرت سارة قائلة "لم
 أضحك لأنها خافت ، فقال لا بل ضحكت".

٩ - الاصحاح العشرون .

وانتقل ابراهيم من هناك الى أرض الجنوب ، وسكن بين قادش وشور ،
 وتغرب في جرار ، وقال ابراهيم عن سارة امرأته "هي أختي" فأرسل أبي مالك
 ملك جرار ، وأراد أخذ سارة ، فجاء الله الى أبي مالك في حلم الليل ، وقال
 له "ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها ، فانها متزوجة ببعل" ، ولكن لم
 يكن أبي مالك قد اقترب اليها ، فقال "ياسيدا أمة بارة تقتل ؟ ألم يقل هو لي
 "انها أختي" وهي أيضا نفسها قالت "هو أخي" بسلامة قلبي ، ونقاوة يدي ،
 فعلت هذا . فقال له الله في الحلم أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت
 هذا . وأنا أيضا أمسكتك عن أن تخطيء الي ، لذلك لم أدعك تمسها ، فالآن

(١) اذا كانت سارة سيدة هاجر فلماذا لم تقم هاجر بهذه الخدمة .

رد امرأة الرجل ، فانه نبي ، فيصلي لأجلك ، فتحيا ، وان كنت لست تردّها ، فاعلم أنك موتا تموت أنت ، وكل من لك فبكر أبي مالك في الغد ، ودعا جميع عبيده ، وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم ، فخاف الرجال جدا ، ثم دعا أبي مالك ابراهيم ، وقال "ماذا فعلت بنا ؟ وبماذا أخطأت اليك ؟ حتى جلبت علي ، وعلى مملكتي خطية عظيمة ، أعمالا لاتعمل ، عملت بي . وقال أبي مالك لابراهيم "ماذا رأيت ، حتى عملت هذا الشيء" فقال ابراهيم "اني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البته فتقتلونني لأجل امرأتي ، وفي الحقيقة أيضا هي أختي ابنة أبي ، غير أنها ليست ابنة أبي ، فصارت لي زوجة ، وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي ، قلت لها "هذا معروفك الذي تصنعين الي في كل مكان ، نأتي اليه قولي عني" . هو أخي فأخذ أبي مالك غنما ، وبقرا وعبيدا واماءا ، وأعطاهما لابراهيم ، ورد اليه سارة امرأته ، وقال أبي مالك "هو ذا أرضي قدامك ، أسكن في ماحسن في عينيك ، وقال لسارة "اني قد أعطيت أخاك ألفا من الفضة ، هاهو لك غطاء عين ، من جهة كل ماعندك وعند كل واحد فأنصفت ، فصلى ابراهيم الى الله ، فشفى الله أبي مالك وامرأته وجواربه ، فولد له لأن الرب كان قد أغلق كل رحم لبيت أبي مالك بسبب سارة امرأة ابراهيم .

١٠ - الاصحاح الحادي والعشرون .

وافتقد الرب سارة ، كماقال ، وفعل الرب لسارة ، كما تكلم ، فحبلت سارة ، وولدت لابراهيم ابنا في شيخوخته في الوقت الذي تكلم الله عنه ، ودعا ابراهيم اسم ابنه ، المولود له الذي ولدته سارة اسحق ، وختن ابراهيم اسحق ابنه ، وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله ، وكان ابراهيم ابن مئة سنة ، حين ولد له اسحق ، وقالت سارة : "قد صنع الله الي ضحكا كل من يسمع ،

يضحك لي" وقالت: "من قال لابراهيم سارة ترضع بنين ، حتى ولدت ابنا ، في الشيخوخة". فكبر الولد ، وفطم ، وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحق ، ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته يمزح ، فقالت لابراهيم "اطرد هذه الجارية ، وابنها لأن ابن هذه الجارية ، لا يرث مع ابني اسحق" فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم بسبب ابنه ، فقال الله لابراهيم "لا يقبح في عينيكَ من أجل الغلام ، ومن أجل جاريتك في كل ماتقول لك سارة اسمع لقولها ، لأنه باسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك". فبكر ابراهيم صباحا ، وأخذ خبزا ، وقربة ماء ، وأعطاهما لهاجر واضعا ايأهما على كتفها والولد وصرفها ، فمضت ، وتاهت في برية بئر سبع ، ولما فرغ الماء من القربة ، طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ، ومضت ، وجلست مقابلة بعيدا نحو رمية قوس لأنها قالت "لأنظر موت الولد فجعلت مقابله ، ورفعت صوته ، وبكت ، فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها : "مالك ياهاجر ، لاتخافي ، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومي احملني الغلام ، وشدي يدك به لأنني سأجعله أمة عظيمة" وفتح اله عينها ، فأبصرت بئر ماء ، فذهبت ، وملأت القربة ، وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام ، فكبر وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران ، وأخذت له أمة زوجة من أرض مصر ، وحدث في ذلك الزمان أن أبي مالك ، وفيكول رئيس جيشه ، كلم ابراهيم قائلين "الله معك في كل مآنت صانع ، فالأن أحلف لي بالله ها هنا ، انك لاتغدر بي ، ولابنسلي وذريتي ، كالمعروف الذي صنعت اليك ، تصنع الي والى الأرض التي تغربت فيها ، فقال ابراهيم "انا أحلف" وعاتب ابراهيم أبي مالك بسبب بئر الماء التي اغتصبها عبيد أبي مالك ، فقال أبي مالك: "لم أعلم من فعل هذا الأمر ، أنت لم تخبرني ، ولأنا سمعت سوى اليوم ، فأخذ ابراهيم غنما وبقرا ، وأعطى أبي

مالك ، فقطع كلاهما ميثاقا ، وأقام سبع نعاج من الغنم وحدها ، فقال أبي مالك لابراهيم "ماهي هذه السبع النعاج التي اقمتها وحدها" فقال "انك سبع نعاج تأخذ من يدي ، لكي تكون لي شهادة بأنني حفرت هذه البئر ، لذلك دعا ذلك الموضوع "بئر سبع" لأنهما هنالك حلف كلاهما ، فقطعا ميثاقا في بئر سبع ، ثم أقام أبي مالك وفيكول رئيس جيشه ، ورجع الى أرض الفلسطينيين ، وغرس ابراهيم اثلا في بئر سبع ، ودعا باسم الرب الاله السرمدي وتغرب ابراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة .

١١ - الاصحاح الثاني والعشرون ١ - ٢٠

وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن ابراهيم ، فقال له "يا ابراهيم" فقال "هاأنا ذا" فقال "خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق ، واذهب الى أرض المريا ، واصعده هناك محرقة على أحد الجبال التي يقول لك ، فبكر ابراهيم صباحا ، وشد على حماره ، وأخذ معه اثنين من غلمانه واسحق ابنه ، وشقق حطباً لمحرقة ، وقام ، وذهب الى الموضوع الذي قال له الله^(١) وفي اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه ، وأبصر الموضوع من بعيد ، فقال ابراهيم لغلاميه "اجلسا أنتما هاهنا مع الحمار ، وأما أنا والغلام ، فنذهب الى هناك ، ونسجد ، ثم نرجع اليكما" فأخذ ابراهيم حطب المحرقة ، ووضع على اسحق ابنه ، وأخذ بيده النار والسكين ، فذهبا كلاهما معا ، وكلم اسحق ابراهيم أباه ، وقال "ياأبي" فقال "هاأنا ذا" فقال "هو ذا النار والحطب" ولكن أين الخروف للمحرقة ؟ فقال ابراهيم "الله يرى له الخروف للمحرقة ، ياأبني" فذهب كلاهما معا ، فلما أتيا الى الموضوع الذي قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ، ورتب الحطب ، وربط

(١) أكان ابراهيم على شريعة الهنود في حرق البشر ؟

اسحق ابنه ، ووضعه على المذبح فوق الحطب ، ثم مد ابراهيم يده ، وأخذ
السكين ليذبح ابنه ، فناداه ملاك الرب من السماء ، وقال "ابراهيم ابراهيم"
فقال "هأنأ ذا" فقال "لا تمد يدك الى الغلام ، ولا تفعل به شيئا لأنني الآن علمت
أنك خائف الله ، فلم تمسك ابنك وحيدك عني" فرفع ابراهيم عينيه ، ونظر ،
وإذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه ، فذهب ابراهيم ، وأخذ الكبش ،
وأصعده محرقه عوضا عن ابنه ، فدعا ابراهيم أسمى ذلك الموضع ، يهو يري
حتى أنه يقال اليوم "في جبل الرب يري ونادى ملاك الرب ابراهيم ثانية من
السماء ، وقال "بذاتي أقسمت ، يقول الرب اني من أجل أنك فعلت هذا
الأمر ، ولم تمسك ابنك وحيدك ، أباركك مباركة ، وأكثر نسلك كثيرا
كنجوم السماء ، وكالرمل الذي على شاطئ البحر ، ويرث نسلك باب
أعدائه ، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي" ثم
رجع ابراهيم الى غلاميه ، فقاموا ، وذهبوا معا الى بئر سبع ، وسكن ابراهيم في
بئر سبع .

١٢ — الاصحاح الثالث والعشرون .

وكانت حياة سارة مئة وسبعا وعشرين سنة سني حياة سارة ، وماتت
سارة في قرية اربع التي هي حيرون في أرض كنعان^(١) فأتى ابراهيم ليندب
سارة ، ويملك عليها ، وقام ابراهيم من أمام ميتة ، وكلم بني حث^(٢) قائلا
"أنا غريب ونزيل عندكم ، اعطوني ملك قبر معكم ، لأدفن ميتي من أمامي ،
فأجاب بنو حث ابراهيم قائلين له "اسمعنا ياسيدي ، أنت رئيس من الله بيننا ،

(١) في الاصحاح الذي قبله أرض بئر سبع فما الذي أتى الى حيرون .

(٢) الأرض لبني كنعان فكيف كلم بني حث من أجلها .

وأفضل قبورنا ادفن ميتك ، لا يمنع أحد منا قبره عنك حتى لاتدفن ميتك" فقام ابراهيم ، وسجد لشعب الأرض لبني حث ، وكلمهم قائلا "أن كان في نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي ، فاسمعوني ، والتمسوا لي من عفرون ابن صوحر أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له في طرف حقله بضمن كامل ، يعطيني اياها في وسطكم ملك قبر" وكان عفرون جالسا بين بني حث فأجاب عفرون الحثي ابراهيم في مسامع بني حث لدى جميع الداخلين باب مدينته قائلا "لا ياسيدي اسمعني ، الحقل وهبتك اياه ، والمغارة التي فيه لك ، وهبتها لدى عيون بني شعبي ، وهبتك اياها ، ادفن ميتك" فسجد ابراهيم أمام شعب الأرض ، وكلم عفرون في مسامع شعب الأرض قائلا "بل ان كنت أنت اياه ، فليتك تسمعني ، أعطيك ثمن الحقل ، خذ مني ، لدفن ميتي هناك" فأجاب عفرون ابراهيم قائلا له : "ياسيدي اسمعني أرض بأربعة مئة شافل فضة ماهي بيني وبينك ، فادفن ميتك" فسمع ابراهيم لعفرون ، ووزن ابراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حث أربعمئة شافل فضة جائزة عند التجار ، فوجب حقل عفرون الذي في المكفيلة التي أمام ممرا الحقل ، والمغارة التي فيه ، وجميع الشجر الذي في الحقل الذي في جميع حدوده حواليه لابراهيم ملكا لدى عيون بني حث بين جميع الداخلين باب مدينته ، وبعد ذلك دفن ابراهيم سارة امرأته في مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا التي هي حبرون في أرض كنعان ، فوجب الحقل والمغارة التي فيه لابراهيم ملك قبر من بني حث .

١٣ — الاصحاح الخامس والعشرون ١ — ١٩

وعاد ابراهيم ، فأخذ زوجة اسمها قطورة ، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحو وأعطى ابراهيم اسحق كل ماكان له ، وأما بنوا السرارى اللواتي كانت لابراهيم ، فأعطاهم عطايا ، وصرفهم عن اسحق ابنه

شرقا الى أرض المشرق ، وهو بعد حي ، وهذه أيام سني حياة ابراهيم التي عاشها مئة وخمس وسبعون سنة ، وأسلم ابراهيم روحه ، ومات بشيئة صالحة شيخا وشبعان أياما ، وانضم الى قومه ، ودفنه اسحق واسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون ابن صوحر الحثي الذي أمام ممرا الحقل الذي اشتراه ابراهيم من بني حث ، هناك دفن ابراهيم ، وسارة امرأته ، وكان بعد موت ابراهيم أن الله بارك اسحق ، وسكن اسحق عند بئر لحي رثي ، وهذه سنو حياة اسماعيل مئة وسبع وثلاثون سنة ، وأسلم روحه ، ومات وانضم الى قومه ، وسكن أبناؤه من حويله الى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو شور أمام جميع اخوته نزل .

١٤ — الاصحاح السادس والعشرون ١ — ١١

وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام ابراهيم ، فذهب اسحق الى ابي مالك ملك الفلسطينيين الى جرار ، وظهر له الرب ، وقال "لاتنزل الى أرض مصر ، اسكن في الأرض التي أقول لك ، تغرب في هذه الأرض ، فأكون معك ، وأباركك لأنني لك ، ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد ، فأكون وافيا بالقسم الذي اقسمت لابراهيم أبيك ، وأكثر نسلك كنتجوم السماء ، فأعطي نسلك جميع هذه البلاد ، وتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أن ابراهيم سمع لقولي ، وحفظ ما يحفظ لي أوامري ، وفرائضي وشرائعي" فأقام اسحق في جرار ، وسأله أهل المكان عن امرأته ، فقال "هي أختي" لأنه خاف أن يقول امرأتي لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة ، لأنها كانت حسنة المنظر ، وحدث اذ طالت له الأيام هناك ان أبي مالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ، ونظر واذا اسحق يلعب رفقة امرأته ، فدعا أبي مالك اسحق ، وقال انما هي امرأتك ، فكيف قلت هي

أختي ؟ فقال له اسحق لأنني قلت لعلي بسببها أموت ، فقال أبي مالك ماهذا الذي صنعت بنا ؟ لولا قليل لأضطجع أحد الشعب مع امرأتك ، فجلبت علينا ذنبا فأوصى أبي مالك جميع الشعب قائلاً الذي يمس هذا الرجل وامرأته يموت موتاً .

١٥ - الاصحاح الثلاثون ١ - ٢٤

فلما رأت راحيل ، أنها لم تلد ليعقوب ، غارت راحيل من أختها ، وقالت ليعقوب "هب لي بنين ، والا فأنا أموت" فحلمي غضب يعقوب على راحيل ، وقال "العلي مكان الله الذي منع عنك ثمرة البطن" فقالت "هوذا جاريتي بلهة ، ادخل عليها ، فتلد علي ركبتي ، وارزق أنا أيضاً منها بنين" فأعطت بلهة جاريتها زوجة ، فدخل عليها يعقوب ، فجلبت بلهة ، وولدت ليعقوب ابناً فقالت راحيل "قد قضى الله لي ، وسمع أيضاً لصوتي ، وأعطاني ابناً لذلك دعت اسمه دانا" وحبلت أيضاً بلهة جارية راحيل ، وولدت ابناً ثانياً ليعقوب ، فقالت راحيل "مصارعات الله قد صارعت أختي ، وغلبت أختي ، فدعت اسمه نفتالي" ولما رأت ليئة أنها توقفت عن الولادة أخذت زلفة جاريته ، وأعطتها زوجة ليعقوب ، فولدت زلفة جارية ليئة ليعقوب ابناً ، فقالت ليئة "سعد فدعت اسمه جادا ، وولدت زلفة جارية ليئة ابناً ثانياً ، فقالت ليئة "يغبطة لأنه تغبطني بنات فدعت اسمه اشير ومضر راؤيين في أيام حصاد الحنطة فوجد لفاحاً في الحقل ، وجاء به الى ليئة أمه ، فقالت راحيل "اعطني من لفاح ابنك" فقالت لها "أقليل أنك أخذت رجلي ، فتأخذين لفاح ابني أيضاً" فقالت راحيل "أذن يضطجع معك عوضاً عن لفاح ابنك" فلما أتى يعقوب من الحقل في المساء ، خرجت ليئة لملاقاته ، وقالت اليه تبيء لأنني

استأجرتك بلفاح ابني ، فاضطجع معها تلك الليلة ، وسمع الله لليئة ، فحبلت ، وولدت ليعقوب ابنا خامسا . فقالت ليئة "قد أعطاني الله اجرتي لأنني أعطيت جاريتي لرجلي فدعت اسمه يساكر" وحبلت أيضا ليئة ، وولدت ابنا سادسا ليعقوب فقالت ليئة "وهبني الله هبة حسنة الآن يساكنني رجلي لأنني ولدت له ستة بنين فدعت اسمه زبولون" ثم ولدت ابنة دعت اسمها دينة ، وذكر الله راحيل ، وسمع لها الله وفتح رحمها ، فحبلت وولدت ابنا فقالت "قد نزع الله عاري ودعت اسمه يوسف ، يزيديني الرب ابنا آخر وكان بنيامين" .

١٦ - الاصحاح الخامس والثلاثون ٢٢ - ٢٦

كان بنو يعقوب اثني عشر : بنو ليئة راؤبين شمعون لاوى يهوذا يساكر زبولون .

أبناء راحيل : يوسف وبنيامين وابنا بلهة جارية راحيل دان ونفتالي .

وأبناء زلفة جارية ليئة جادواشير هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له في فدان أرام .

١٧ - سفر حزقيال الاصحاح الثالث والثلاثون ٢٤ - ٢٦

ان الساكنين في هذه الحرب في أرض اسرائيل يتكلمون قائلين أن ابراهيم كان واحدا وقد ورث الأرض ونحن كثيرون لنا أعطيت الأرض ميراثا لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب "تأكلون بالدم ، وترفعون أعينكم الى أصنامكم ، وتسفكون الدم ، أفتترثون الأرض ؟ وقفتم على سنيكم ، فعلمتم

الرجس وكل منكم نجس امرأة أفترثون الأرض ؟ .

١٨ - سفر دانيال الاصحاح الثالث ١٣ - ٢٩

حينئذ أمر نبوخذنصر بغضب وغيظ باحضار شدرخ وميشخ وعبدنغو ، فأتوا بهؤلاء الرجال قدام الملك ، فأجاب نبوخذنصر وقال لهم "تعمدا ياشدرخ وميشخ وعبدنغو ، لاتعبدون الهتي ، ولاتسجدون لتمثال الذهب الذي نصب ، فان كنتم الآن مستعدين عندما تسمعون صوت القرن والناي والعود والربابة والسنتطير والمزمار ، وكل أنواع العزف الى أن نخروا ، وتسجدوا للتمثال الذي عملته وان لم تسجدوا ، ففي تلك الساعة تلدون في وسط أتون النار المتقدة ، ومن هو الاله الذي ينقذكم من يدي" فأجاب شدرخ وميشخ وعبدنغو وقالوا للملك "يانبوخذنصر ، لايضمننا أن نذبح عن هذا ، لو ذا يوجد الآلهة الذي نعبد ، يستطيع أن ينجيننا من أتون النار المتقدة ، وان ينقذنا من يدك أيها الملك ، والا فليكن معلوما لك أيها الملك أننا لانعبد الهتك ، ولانسجد لتمثال الذهب الذي نصبته" حينئذ امتلأ نبوخذنصر غمضا ، وتغير منظر وجهه على شدرخ وميشخ وعبدنغو ، فأجاب ، وأمر بأن يهبطوا الاتون سبعة أضعاف أكثر مما كان معتادا أن يهبط ، أمر سيادة القم يهبط جيشه أن يوثقوا شدرخ وميشخ وعبدنغو ، ويلقوهم في اتون النار المتقدة ، ثم أتى هؤلاء الرجال في سراويلهم ، وأقمصتهم وأرديتهم وناسهم ، ونقو في وسط اتون النار المتقدة ، ومن حيث أن كلمة شديدة واتن قد حمي جدا أصاب لهيب النار الرجال الذين رفعوا شدرخ وميشخ وعبدنغو ، وهؤلاء الثلاثة رجال سقطوا موثقين في وسط اتون النار المتقدة حين أذن تحيير نبوخذنصر الملك ، وقام مسرعا ، فأجاب وقال لمشيريه "ألم نأتى ثلاثة رجال موثقين في وسط النار ، فأجابوا ، وقالوا للملك صحيح أيها الملك أجاب ، وقال ، بأن ناظر أربعة رجال

محلولين يتمشون في وسط النار ، ومايهم من ضرر ، ومنظر الرابع شبيهه بابن الالهة ، ثم اقترب نبوخذنصر الى باب اتون النار المتقدة ، وأجاب فقال "ياشدرخ وميشخ وعبدنغو يا عبيد الله العلي ، اخرجوا ، وتعالوا" فخرج شدرخ وميشخ وعبدنغو من وسط النار ، فاجتمعت المرازبة والشحن والولة ومشيروا الملك ورأوا هؤلاء الرجال الذين لم تكن للنار قوة على أجسامهم ، وشعة من رؤسهم لم تحرق ، وسراويلهم لم تتغير ، ورائحة النار لم تأت عليهم فأجاب نبوخذنصر ، وقال تبارك آلهة شدرخ وميشخ وعبدنغو الذي أرسل ملاكه فأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه ، وغيروا كلمة الملك ، واسلموا أجسادهم لكي لا يعبدوا ، أو يسجدوا لاله غير الالههم ، فمني قد صدر أمر بأن كل شعب وأمة ولسان يتكلمون بالسوء على اله شدرخ وميشخ وعبدنغو أنهم يصيرون اربا اربا ، وتجعل بيتهم مزبلة اذا ليس اله آخر يستطيع أن ينجي هكذا حيثذ قدم الملك شدرخ وميشخ وعبدنغو في ولاية بابل^(١) .

٣ - العهد الجديد و ابراهيم .

أ - أعمال الرسل الاصحاح السابع ٢ - ٥

ظهر اله المجد لأبينا ابراهيم ، وهو في ماين النهرين ، قبل ماسكن في حاران ، وقال "اخرج من أرضك وعشيرتك ، وهلم الى الأرض التي أريك" فخرج حيثذ من أرض الكلدانيين ، وسكن في حاران ، ومن هناك نقله بعدما مات أبوه الى هذه الأرض التي أنتم ساكنون فيها ، ولم يعطه ميراثا فيها ،

(١) اشارة الى دخول اليهودية الى هذه الأصناف كافة .

ولاوطاه قدم ، ولكن وعدان يعطيها ملكا له ولنسله من بعده ولم يكن بعد ولد .

ب - أعمال الرسل الاصحاح الثاني ٧ - ١١

وكان يهود أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في اورشليم ، فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور ، وتحمروا لأن كل واحد منهم يسمعون يتكلمون بلغتهم ، فبهت الجميع ، وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض ، أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين ، فكيف يسمع كل واحد لغته التي ولد فيها ، فرثيون وكاذيون وعيلاميون والساكنون ماين النهرين ، واليهودية وكبودوكيا وبنطش وآسيا وافريقية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبيا التي نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء اكريتيون وعرب نسمعون يتكلمون بالسنتنا بعظائم الله .

ج - رسالة بولس .

١ - الى أهل غلاطية الاصحاح الرابع من ٢٢ - ٣١

فانه مكتوب أنه كان لابراهيم ابنان ، واحد من الجارية ، والآخر من الحرة ، لكن الذي من الجارية ولد حسب الجسد ، وأما الذي من الحرة فبالوعد ، وكل ذلك رمز ، لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية لأن هاجر جبل سيناء في العربية ، لكنه يقابل اورشليم الحاضرة فانها مستعبدة من بنيتها ، وأما اورشليم العليا التي هي أمانا جميعا فهي حرة لأنه مكتوب "أفرخي أيتها العاقر التي لم تلد ، اهتفي ، واصرخي ، أيتها التي لم تتمخص ، فان أولاد الوحشة أكثر من التي لها زوج ، وأما نحن أيها الأخوة

فنظير اسحق أولاد الموعد ، ولكن كما كان حينئذ الذي ولد حسب الجسد يضطهد حسب الروح هكذا الآن أيضا ، لكن ماذا يقول الكتاب "أطردى الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة" إذن أيها الأخوة لسنا أولاد الجارية بل أولاد الحرة .

٢ - رسالة بولس الى أهل رومية الاصحاح الرابع ١٣ - ١٧

فانه ليس بالناموس كان الوعد لابراهيم أو لنسله يكون وارثا العالم بل ببر الايمان ، لأنه ان كان الذين من الناموس هم ورثة ، فقد تعطل الايمان ، وبطل الوعد لهذا هو من الايمان على سبيل النعمة لكون الوعد وطيدا لجميع النسل ، ليس لمن هو من الناموس فقط ، بل أيضا لمن هو من ايمان ابراهيم الذي هو أب لجميعنا ، كما هو مكتوب اني قد جعلتك أباً لأُم كثيرة .

٣ - رسالة بولس الى أهل رومية الاصحاح التاسع ٦ - ٨

لأنه ليس جميع الذين من اسرائيل هم اسرائيليون ، ولأنهم من نسل ابراهيم هم جميعا أولاده بل باسحق يدعى لك نسل أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسون نسلا .

٤ - رسالة بولس الى أهل غلاطية

كما آمن ابراهيم بالله ، فحسب له بر : ، اعلموا إذن أن الذين هم من الايمان أولئك هم بنو ابراهيم والكتاب اذ سبق ، فرأى أن الله بالايمان ، يرر الأُم ، سبق فيشر ابراهيم أن فيك تتبارك الأُم جميعا إذن الذين هم من الايمان ، يتباركون مع ابراهيم المؤمن ، رأما المواعيد ، فقلت في ابراهيم ، ونسله .

٥ - رسالة بولس الى العبرانيين الاصحاح الحادي عشر ٢ - ١٠

بالايمان ابراهيم ، لما دعي أطاع ، أن يخرج الى المكان الذي وعده أن يأخذه ميراثا ، فخرج هو لايعلم الى أين يأتي ؟ بالايمان تغرب في أرض الموعد كأنها غريبة ساكنة في خيام مع اسحق ويعقوب الوارثين معه ، لهذا الموعد بعينه ، بالايمان سارة نفسها أيضا أخذت قدرة على انشاء نسل ، وبعد وقت السعد ، ولدت اذ حسبت الذي وعد صادقاً في الايمان ، مات هؤلاء أجمعون ، وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها ، وصدقوها ، وحيوها ، وأقروا أنهم غرباء ، ونزلوا الى الأرض .

د — رؤيا يوحنا اللاهوتي الاصحاح الواحد والعشرون ٧ — ٨

من يغلب يرث كل شيء ، وأكون له الاله ، وهو يكون لي ابنا ، وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة ، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت هو الموت الثاني .

هـ — انجيل متى الاصحاح الثالث ٧ — ٨

فلما رأى كثيرين من الفرسين والصدوقيين يأتون الى معموديتنا ، قال لهم يا أولاد الأفاعي من أراكم تهربون من الغضب الآتي فاصنعوا ثمارا ، تليق بالتوبة ، ولا تفتكروا أن تقولوا لنا ان ابراهيم أبانا لاني أقول لكم ان اله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاد لابراهيم .

و — انجيل لوقا الاصحاح الثالث ٧ — ٨

وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليتعمدوا منه يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي فاصنعوا ثمارا تليق بالتوبة ولا تبتدعوا تقولون

في أنفسكم لنا ابراهيم أبا لأنني أقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة
أولاد لابراهيم .

الاعخباريون

١ - النسب :

ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروخ بن ارغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح^(١) .

(١) أورد هذا النسب الطبري وقد اعتمدته أصلا وناقشت الخلافات التي تغاير رأيه فهو مصدر واسع لتاريخ ما قبل الاسلام لما فيه من خيال واسع يجمع بين الأساطير ويتعد كثيرا عن التاريخ الرصين وردت سلسلة النسب كمايلي :

أ - في التوراة : ابراهيم بن تارح (بالحاء المهملة) سروج (بحدف الألف وابراد الجيم بديل الغين) رعو (بدون الهمزة وبالعين المهملة وباسقاط الألف) فالج (بالجيم بديل الغين) شالح (بالحاء المهملة بديل الخاء) ارفكشاد (الكاف بديل الخاء والذال بديل الدال وزيادة الألف بين الشين والدال) وتضيف التوراة بعد نوح السلسلة التالية : نوح بن لامك بن متوشالch بن اخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم .

أما ابن الأثير فقد وضع تاريخ بدلا من تارخ ، وقد سمى القرآن الكريم ، الأب أزر ، وورد ذلك في قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه أزر أتتخذ أصناما آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين) .

حاول بعض الاخباريين أن يوفقوا بين رأي القرآن الكريم ، والتوراة ، ولهذا قال بعضهم : ان أباه تارخ ، وعمه أزر ، وقد نسبته القرآن الى عمه لأن أباه قد توفي ، وكفله عمه كما كفله محمدا - صلى الله عليه وسلم - جده عبد المطلب ، ولهذا ←

← قال في إحدى غاراته أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب . وقال بعضهم الآخر "أن تارح هو أزر محاولاً ألا يكذب إحدى الروايتين التوراتية والقرآنية" . وسيطول بنا الشرح ، لو تتبعنا ذلك غير أن المؤرخ اليهودي يوسفوس ، كان أقرب من هؤلاء الاخباريين المسلمين الى رواية القرآن ، فسماه آثر ، ولعل الخلاف اللغوي هو الذي جعله آثر .

ولعل خلط المؤرخين العرب في التسمية قام من اقتفاء أثر التوراة ، فاذا هم بين ركام هائل لا يجدون ، ما يكذبه ولا ما يصدقه ، فاتخذوه حجة ، ولما تعارض مع القرآن الكريم ، حاولوا أن يجدوا لهم مخرجاً ، فقد أورد ابن اياس الحنفي أن ساره هي ابنة ازر عم ابراهيم ، وقد هاجر معه من أور وحسبي أن أحيل القارئ الى أي مصدر تاريخي ليعلم ذلك الخلط ، ولكنني أرى أن الجميع اعتبروا التوراة المصدر الأول ، وحاولوا أن يقرنوا بها القرآن ، وعليهم كمسلمين أن يعتبروا القرآن المصدر الأصح ويسيراً بهجه .

أما سلسلة النسب فقد ورد فيها خلاف كبير بين ما أورده الطبري ، وما أورده بقية الاخباريين والتوراة ، فقد سقطت بعض الأسماء كقينان . وقال صاحب المختصر "انه كان ساحراً ، ولهذا أسقطوه" ولن أتابع بقية الخلاف ، ولكنني أحب أن أناقش مشكلة الأسباب في العربية بشكل عام ولا سيما المتقدمة في البعد .

لم يشد القرآن الكريم الى أي نسب مهما علا للأنباء ، زانا أشار الى آدم بدء البشرية ، ثم حدثنا عن الرسل حديثاً منقطعاً ، كل رسول بفردة محددا في بعض الأمكنة . سلة النسب (ووهبنا له اسحق ويعقوب . كلا هدينا . نوحاً هدينا من قبل ومن دريد . أزود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا . ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسما .إل . واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) .

ولم ينسب بتسلسله ، وقد أفادنا في ذلك الدكتور جر . علي المفصل في تاريخ العرب ج ١ ص ٣٧٦ .

وقد اختلف الاخباريون وأصحاب الأنساب في نسب عدنان اختلافاً كبيراً ، واختلفوا بينهم في كيفية النطق بتلك الأسماء ، على حين أننا لانرى اختلافاً ←

← في نسب قحطان ، وقد علل محمد بن سعد الواقدي ذلك بقوله : كان رجل من أهل تدمر يكنى أبا يعقوب من مسلمة بني إسرائيل ، قد قرأ من كتبهم ، وعلمهم ، فذكر أن بورخ بن ناديا كاتب ارمياء أثبت نسب معد بن عدنان عنده ، ووضعه في كتبه ، وأنه معروف عند اخبار أهل الكتاب وعلمائهم ، ومثبت في أسفارهم ، وهو مقارب لهذه الأسماء ، ولعل خلاف ماينهم من قبل اللغة لأن هذه الأسماء ترجمت من العبرانية ، ويقول الواقدي في موضع آخر هذا الاختلاف في نسبته ، يدل على أنه لم يحفظ ، وإنما أخذ من أهل الكتاب ، وترجموه لهم ، فاختلفوا فيه ، ولو صح لكان رسول الله (ص) أعلم الناس به ، فأمر عندنا على الانتهاء الي معد بن عدنان ، ثم الامساك عما وراء ذلك ، وقال الامام ابن حزم في جمهرة الأنساب ص ٦ : ليس على الأرض أحد يصل نسبه بصلة قاطعة من نقل ثابت الي اسماعيل ، أو الي اسحق عليهما السلام ، فكيف الي نوح وكيف الي آدم ؟

ويقول الأستاذ أحمد أمين في هذا المجال فجر الاسلام ص ٦ "ولكن هذه الأنساب في مجموعها كانت ولا تزال مجالا للشك الكبير".

سئل مالك رحمه الله عن الرجل يرفع نسبه الي آدم فكره ذلك ، وقال "من أين يعلم ذلك" فقل له "الي اسماعيل" فأنكر ذلك ، وقال "ومن يخبره به". واعتاد النسابون أن يقولوا "أن عرب الشمال من نسل اسماعيل بن ابراهيم ، وعرب الجنوب من نسل قحطان" وترجع هذه العقيدة الي ماورد في التوراة في سفر التكوين .

ومن شك في هذه الأنساب الراوية المحقق محمد بن سلام الجمحي صاحب كتاب طبقات الشعراء ، وعنده انه ، ماقوق عدنان أسماء لم تؤخذ الا عن الكتب الاسرائيلية ، والله أعلم بها ولم يذكرها عربي قط ، ومن شك بالأنساب من المحدثين الدكتور احسان النص في كتابه العصبية القبلية ص ٢٨ حيث يقول وبعد ما عسانا صانعين بهذا التراث الضخم الذي تذخر به كتب الأنساب العربية ، ولا نرى في هذه الأنساب ما يصح أن نعتبره حقائق تاريخية ، وإنما هي أساطير ، وأخبار مفتعلة مزورة ، وإلحق أن الاطمئنان المطلق الي هذه الأنساب كما رواها الأقدمون ، يشف عن سداجة بالغة والتسليم بصحتها اجمالا ، تورط في الخطأ لا يرضاه المنهج ←

٢ - اسم الأم :

لم يورد القرآن الكريم اسم أمه ولم يشر اليها مطلقا واختلف الاخباريون وكتاب التوراة اختلافا كبيرا في اسم أمه^(١) .

← العلمي ، وقد رأينا القدماء أنفسهم يقف موقف الشك من بعض هذه المرويات ، فلا يطمئنون مثلا الى ما جاوز عدنان وقحطان من الأنساب .

(١) أ - أورد صاحب كتاب البداية والنهاية اسمها اميله نقلا عن اسحق بن بشر الكاهلي في كتابه المبتدأ .

ب - أورد الكبي في كتابه الأنساب اسم يونا بنت كرتيا من كوئا من بني ارفخشد .

ج - أسماها العقاد ادنا في كتابه ابراهيم أبو الأنبياء .

د - أسماها السحار في كتابه محمد رسول الله والذين معه امتالي .

هـ - أسماها ابن اياس الحنفي صاحب بدائع الزهور ليوثا .

وقد روى بعضهم أنها مؤمنة ، وروى بعضهم الآخر أنها مشركة ، فقد روى الطبري أن أمه خافت عليه ، وخبأته في الغار ، ولما كبر سأل أمه عن ربه ، فقالت "انا" فقال "من ربك" فقالت "أبوك" قال "ومن رب أبي" قالت "النمرود" قال "ومن رب النمرود" فلطمته بالكف ، واسكتته .

و - لم يتطرق القرآن الى اسم أمه ولا الى أنها مؤمنة أو كافرة .

ز - لم تشر التوراة الى اسم أمه ، ولم تذكرها خيرا أو شرا في حين أنها ذكرت الأب تارح وقالت أنه هاجر مع ولده .

ومن الغريب أن ابراهيم ذكر في التوراة أن سارة أخته لأمه ولم تذكر الأم علما أن الأسرة في اليهودية للأُم وليست للأب .

٣ - مكان الولادة :

سؤال يطرح أين ولد ابراهيم عليه السلام^(١) .

- (١) أ - لم يحدد الطبري مكان ولادة ابراهيم وإنما ترك المكان مفتوحاً للاجتهاد فقد وضع عدة أماكن دون أن يفضل مكاناً معيناً .
- ١ - السوس بلدة تقع في الأهواز في المحمرة الغربية
- ٢ - بابل في أرض السواد وهي عاصمة البابليين أقرب إلى الكوفة في العراق .
- ٣ - كوثا بلدة في سواد العراق قرية من بابل في الجنوب .
- ٤ - الوركاء شرقي دجلة في ناحية الزرابي وحدود كسكر ما بين العراق وإيران .
- ٥ - حران في شمال سورية ونقله أبوه إلى أرض بابل .
- ٦ - عرج على التوراة فذكر أنها نصت على أور الكلدانيين في العراق .
- ب - قال الأستاذ محمد علي الصابوني في مختصر ابن كثير ولد برزة وقد أبده في ذلك الحافظ ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق .
- ج - يؤكد أصحاب الحديث والسيرة أن أزر كان أهل سواد الكوفة وقد أكد ذلك ابن هشام في سيرته .
- حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمى قال حدثنا محمد بن اسحق فيما ذكر والله أعلم "أن أزر كان رجلاً من كوثا قرية بالسواد ، سواد الكوفة ، وكان إذ ذاك ملك المشرق نمرود الخاطيء" .
- د - يرى الأستاذ السحار أن والد ابراهيم من قرية خارج أور ولم يحددها .
- هـ - أما ابن خلدون فقد أكد أنه من أور في العراق .
- أما أنا فلا أرى هذه الأماكن للأسباب التالية :
- ١ - جميع الذين نقلوا من كتبهم ، إنما نقلوها من اليهود ، واليهود لم يسجلوا تاريخهم إلا في الأسر البابلي ، وما بعده ، فاعتبروا أنفسهم مثلاً لابراهيم ، وما حل -

٤ - تاريخ الولادة :

لم يحدد الطبري سنة معينة لولادة ابراهيم ، وانما حددها في زمن نمرود بن كنعان^(١) .

-
- ← بهم من عذاب في الأسر أرادوا أن يطلقوه عليه .
- ٢ - لم نسمع بحلة جماعية أو فردية قامت من العراق الى الشام في أي زمن ، انما كان هناك غزو من العراق الى الشام ، والغزوات معروفة ، والحروب مسجلة .
- ٣ - الهجرات كلها كانت من الجزيرة العربية الى العراق والشام ، وهذه الهجرات هي التي أمدت بلاد الهلال الخصيب بالناس منذ أقدم العصور .
- ٤ - اتبع اليهود الخطة التي رحلوا بها من فلسطين الخطة التي اتبعها ابراهيم الخليل عليه السلام ، فمن سكن في مدينة بابل قال : انه ولد في بابل ومن سكن في غيرها ذكر اسم بلده .
- ٥ - ان الكلدانيين لم يكونوا في عهد ابراهيم عليه السلام ، وانما هم الذين سبوا اليهود وبختنصر واحد منهم ، فقد قامت الدولة الكلدانية بعد سقوط نينوى في سنة ٦١٢ ق .م بعد ألف وثلاثمائة عام بعد ابراهيم ، وفي هذا يقول الدكتور أحمد سوسة وكذلك تتحدث التوراة عن أور الكلدانيين في عهد ابراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد في حين أن الكلدانيين لم يظهروا الا بعد سقوط نينوى .
- من هنا أميل الى تأييد رأي الأستاذ العقاد في كتابه ابراهيم أبو الأنبياء .
- كان وطن ابراهيم عند سيناء وشمال الحجاز ومن هنا ينطلق في رحلته الى الشمال بعد خلافه مع النمرود ويؤكد هذا أنه لم يرد اسم نمرود بين حكام العراق .
- (١) أ - حدد العقاد زمن ولادة ابراهيم الخليل عليه السلام عام ١٨٧٦ ق .م .
- ب - يقول الشيخ طبارة في كتابه اليهود في القرآن (أن ابراهيم ولد في القرن السابع عشر ق .م .
- ←

- ← ج - يقول البستاني في دائرة معارفه أنه ولد في القرن السابع عشر ق. م .
- د - يقول ويل ديورنت في قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٢٤ (يعتقد اليهود أن شعب ابراهيم جاءوا من أور في بلاد سومر واستقروا في فلسطين حوالي ٢٢٠٠ ق. م أي قبل موسى بألف عام تقريبا ويحدد في مكان آخر ص ١٨٩ حمراي ٢١٢٣ - ٢٠٨١ ق. م ويقول : "وتطل علينا من بداية هذا التاريخ شخصية قوية هي شخصية حمورابي الذي دام حكمه ٤٢ سنة الفاتح المشرع ، وتصوره الأختام والنقوش البدائية بعض التصوير" ويعتبر ويل ديورنت والد حمورابي هو من ذكرته التوراة باسم ابرافل ، ويسميه ابربال ، "والراجح أن ابرافل الذي يقول عنه سفر التكوين الاصحاح الرابع عشر أنه ملك شنعار في تلك الأيام ، هو أمر بال والد حمورابي الذي يجلس قبله على عرش بابل" وبهذا تكون ولادة ابراهيم اذا مأخذنا رأي التوراة في نزوحه الى فلسطين وعمره في الخامسة والستين ، فاننا نقول أن ولادته في بداية القرن الثاني والعشرين ٢١٩٠ ق. م تقريبا .
- هـ - وتقول التوراة أنه ولد لتاريخ بدء الخليقة ٢٠٩١ بعد هبوط آدم من الجنة ، وهذا رأي غير واضح .
- و - حدد الأستاذ دروزه دخول الهكسوس الى مصر سنة ١٧٣٠ ق. م فاذا ماكان أبناء يعقوب دخلوا مع الهكسوس فان ولادة ابراهيم تبعد عن دخول الهكسوس حوالي ٢٤٠ سنة وبهذا تكون ولادته حوالي ١٩٧٠ ق. م .
- ز - يحدد الدكتور سوسة ولادة ابراهيم ما بين (١٩٠٠ - ١٨٥٠) ق. م .
- ح - يحدد مونت عمري غزو الهكسوس في عام ١٨٠٠ ق. م وفي هذا تكون ولادة ابراهيم ٢٠٤٠ ق. م .
- ط - حدد المسعودي صاحب مروج الذهب الفترة الممتدة بين عهد ابراهيم ، وبين خروج موسى بسبع وستين وخمسمائة سنة ولما كان العلماء قد توصلوا الى تعيين الخروج في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، فعلى هذا يكون ولادة ابراهيم في القرن التاسع عشر ق. م .
- أما أنا فأرى من الصعب تحديد سنة الولادة اذا لم نحدد الملك الذي كان في زمن ابراهيم .

٥ - من الملك الذي ولد في عصر ابراهيم^(٢)؟

لأنه ان ثبت اسم الملك عرفنا بشكل دقيق مكان الولادة وحددنا تاريخها .

(٢) - أ - حددت التوراة أن امرافل ملك شنعار قد قاتل أهل سدوم وعمورة وأن ابراهيم قد هزمه بعد أسر لوط ، ولكن من امرافل هذا ؟ وقد حاولت أن أحصل على معرفة وثيقة بهذا الملك لكنني خرجت منه بخفي حنين . يقول الدكتور سوسة : كان أول ملوك هذه السلالة الملك سمو ابوم حكم ١٣ سنة من ١٨٩٤ - ١٨٨٧ ق.م. واتخذ عاصمة له بابل ومن هذه الأسرة حمورابي وهو السادس حكم هذه الدولة مدة ٤٢ سنة ما بين ١٧٩٣ - ١٧٥٠ ق.م. وأعظم ماخذ مجده واطار شهرته شريعته العظيمة . ويقول الدكتور سوسة "إن أحدث التحقيقات الأثرية التي توصل اليها العلماء تشير الى أن ابراهيم الخليل ظهر حوالي القرن التاسع عشر ق.م أي قبل حوالي ٤٠٠٠ سنة وهذا يتفق مع ما ذكره بعض العرب في تعيين تاريخ عهد ابراهيم" .

ب - يحدد ويل يورنت شخصية حمورابي ما بين ٢١٢٣ - ٢٠٨١ ق.م. ، فاذا ما اعتبرنا امرافل حسب رأيه امرعل فانه يكون والد حمورابي ، ويكون الملك الذي في عهده وردسن ريم سن .

ج - مونتميري فقد حدد دخول الهكسوس ١٨٠٠ ق.م. فاذا ما أضفنا اليها ٢٤٠ سنة كانت ولادة ابراهيم في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد ، وهو يقابل في العراق ملك سن موبليت والد حمورابي .

د - قال ول فنسنون صاحب تاريخ اللغات السامية : وسادس ملوك هذه الأسرة هو حمورابي (عمرافيل في التوراة) الذي وضع شريعة ثابتة في بابل ضمتها كثيرا من شرائع سومر القديمة وأحكامها . ولكنني أتساءل كيف يستطيعون ولنفسون أن يوفقوا

← بين هزيمة حمورابي أمام ابراهيم ؟ وتاريخ حمورابي الذي لم يعرف الهزائم .
 هـ - أما تعليقات هالي الجيبية : ان امرافل هو حمورابي أشهر ملوك البابليين ، وأن
 كارثة سدوم وعمورة التي حدثت في عصر ابراهيم ، تقترب بالخراب الذي قضى على
 سكان المدن هناك حوالي ٢٠٠٠ ق م ، كماظهر من كشوف بعثة البريات
 وكيسلي ١٩٢٤م هذه التعليقات تضع عصر حمورابي ١٩٠٠ ق م ، ويعقوب
 ١٧٠٠ ق م ونهاية عصر الهكسوس ١٥٥٠ ق م ، ولكني أتساءل كيف وقعت
 حادثة سدوم في عام ٢٠٠٠ ق م ؟ وكيف عصر حمورابي ١٩٠٠ ق م ؟ والتوراة
 تقرر بينهما بل كانت حرب حمورابي قبل خراب المدن المذكورة ، ويضع هالي
 للحوادث المصرية مقابلا من حوادث التوراة ، عصر ابراهيم يقابل الأسرة الثانية
 عشرة ، وعصر يوسف يقابل الأسرة السادسة عشرة ١٨٠٠ ق م ، على سبيل
 الاحتمال ، وعصر موسى مقابل الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ١٥٠٠
 ق م ، وأتساءل كيف استطاعت تعليقات هالي التوفيق بين عهد التوراة بالتغرب
 ٤٣٠ سنة وماين يوسف وموسى ٣٠٠ سنة .

و - يقول وليم نيكلسون في الموسوعة الموجزة عن التوراة تحت مادة ابرام : "ان الآثار
 تحتل أن امرافل الذي حارب ابراهيم هو حمورابي الذي كان ملكا على بابل
 ٢٠٠٠ ق م . والخفريات المسمارية تربط بين اسمه واسم معاصريه أرى كو (اريوك)
 ملك لاسار ، أما كدرلومر يشابه قدارلعمار ، بمعنى خادم العمار أحد الأرباب الكبار
 في شرق الدجلة ، واسمه منقوش على حجر من ألواح حمورابي ، وكان هذا قبل
 ارتباط اسرائيل ببلاد كنعان بقرون عدة .

ز - ويقول العقاد فاسم امرافل قريب حمورابي البابلي ، وتدعال قريب من تدخال
 الخثي ، والأسماء الأخرى وجدت لها مشابهات وهو في هذا ينقل عن الموسوعة
 الموجزة .

ح - أما لوثر كلارك فيعلق حمورابي سنة ١٩٠٠ ق م ، عصر الأباء العبريين في
 كنعان بين ١٩٠٠ - ١٧٠٠ ، وعصر يعقوب وأبنائه ١٧٠٠ ق م ، ونهاية عصر
 الهكسوس حوالي ١٥٥٠ ق م .

ويرجح كلارك اعتمادا على الآراء الحديثة ، أن عصر حمورابي يتخلف عن ←

عصر الوقائع المنسوبة الى امرافل بمائة سنة ، وأن امرافل وحمورابي لايدلان على شخصية واحدة ، وأن الغور العميق الذي تملأه أمواه البحر الميت أقدم جدا ، من الوقت الذي قدر لخراب المدن المذكورة في قصة ابراهيم ، ويعتمد كلارك على الظواهر الأرضية كثيرا ، فيرى أن العيون الحمر التي أشار اليها الاصحاب الرابع عشر من سفر التكوين هي في الغالب من النفط الذي يتكاثف بالتبخر ، ويطفو على وجه الماء كما كانوا يجدون على سطح البحر الميت ، ولامانع أن يشاهد على وجه الأرض قبل امتلاء الغور بالماء ، ويرتبط خراب المدن التي وردت قصتها في قصة ابراهيم بهذه الظواهر الأرضية التي يمكن أن تستقصى في يوم قريب ، فينبني على استقصائها تحقيق محكم التاريخ لتلك الأحداث .

ط - ويضع الأطلس التاريخي عصر ابراهيم بين ٢٠٠٠ - ١٧٠٠ ق م ، ووضع عصر حمورابي في نهاية هذه الفترة .

ي - وتوافق موسوعة وستمينستر المراجع الحديثة في تقريب زمان الأباء وتقرر أن وحدة اسم حمورابي ، واسم امرافل محل مناقشة ، واعتراض في المباحث الأخيرة ، وأن الحاق ايل باسم امار مشكلة تستوقف أنظار الباحثين .

يا - ويقول العقاد اختلف المؤرخون في عصر حمورابي ما بين ٢١٣٠ - ١٨٣٠ أما الكشف الحديثة ١٧٩٢ - ١٧٤٩ .

يب - ويرى كتاب الموسوعة مولد ابراهيم ١٩٩٦ قبل الميلاد ، وهذا ماارتآه الأسقف بوشر أما تدمير سدوم وعموره ١٨٩٨ ق م .

وتقول الموسوعة أن اسم امرافل أحد الملوك الذين حار بهم ابراهيم ، يصعب تعيين صاحبه كمايصعب تعيين زملائه الآخرين ، ولكن هذه الأسماء جميعها لايدو عليها أنها اختراع من الخيال ، اذ ليست غارة البابليين على فلسطين ، وماجاورها أمرا نادرا في تلك الأيام .

يح - أضاف دي لا بورت في كتابه بلاد ما بين النهرين أن الأب كوغلر قد أثبت بما لايقبل الجدل ، أن السنة الأولى لحكم الملك اميرادوغا لايمكنها أن تخرج عن ١٨٥٨ أو ١٩٧٧ على أبعد تقدير بفارق لايتعدى ١١٩ سنة وعليه يتحتم أن يكون بدء عهد الأسرة البابلية الأولى أما سنة ٢١٠٦ أو سنة ٢٢٢٥ ق م . ولفترة محدودة ←

من الزمن انحاز علماء الآشوريات الى الفرض الثاني ، وهو الذي اعتمدناه في دراستنا نحن أما في الوقت الحاضر ، فلدى هؤلاء العلماء نزعة بارزة الى الأخذ بالفرض الأول ، ولكنها نزعة لا يقوم على صحتها دليل ، وكل ميزتها أنها تختصر في مجال التاريخ النسبي مدى تولي الأسرة المالكة الثانية مقاليد الحكم ، ويتابع دي لا بورت فيقول سنة ٢٠٩٥ هي السنة التاسعة والعشرون من حكم حمورابي ملك بابل ، وسنة ٢٠٨٣ كتب شرعته وذلك بعد حكم دام ٤٠ - ٤٣ سنة .

يد - ولم يعلق الدكتور جودة السحار على الأسماء وإنما أوردتها كما هي في التوراة .
 به .. والذي أستطيع قوله بعد أن أطلعت على أسماء المارون في الدهالين البابلية أن اسم امرايل لم يمر ذكره أما كلمة بعل ، فقد وردت في فلسطين / كنعان / بعل زيولون / ، الفينيقيين هاني بعل ، وربما كان الملك من أرض كنعان أو من الساحل الفينيقي ، والتسمية ليست بابلية ومن هذا كله أستطيع الاستنتاج بكل هدوء أن ابراهيم لم يولد في عهد حمورابي ، ولا والده رغم الخلافات الكثيرة ، وأن امرايل ليس ملثا عراقيا كما تزعم التوراة ، وكتابتها وإنما الاسم اختلاق من خيال اليهود في أسروهم لأنهم كتبوا التوراة في عهد السبي .

أما تحليل الموسوعة لغارات البابليين على أرض كنعان ، ربما كان ذلك لكن ليس في عهد حمورابي ، وحمورابي متأخر عن ابراهيم .

وعلى هذا لم أستطع تحديد الملك العراقي الذي سموه بالنمرود ، وسأورد جدولا لحكام الدولة البابلية حسب رأي المؤرخ دي لا بورت .

وسنفتش عن النمرود في مكان آخر غير العراق لعنا نهتدي اليه ، وحتى الآن لا تنفيذنا الآثار ، ولا التنقيبات عن هذا الاسم . وحتى نحصل على الآثار التي تدلنا على ذلك تبقى كتابتنا ضربا من التخمين ، وظنا من الظنون دون أن نصل الى الحقيقة بشكل حاسم والله الموفق .

رسم مصور

الأماكن التي عزي لها ولادة ابراهيم عليه السلام .

- | | |
|-----------------|-----------|
| ١ - الوركاء | ٢ - السوس |
| ٣ - اور | ٤ - كوش |
| ٥ - بابل | ٦ - برزة |
| ٧ - شمال الحجاز | ٨ - حران |

حکام أور وبابل

نقلا عن كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام الدكتور
جواد علي

أ - الأسرة الملكية الثالثة :

أورانغو ٢٤٧٤ - ٢٤٥٦ ق م.

دولجي ٢٤٥٦ - ٢٤٠٤ ق م.

بورسن بن دولجي ٢٣٩٨ - ٢٣٩٠ ق م ويبدو انقطاع ست سنوات
لاندري من كان ملكا في هذه الفترة .

جميل سن بن بورسن ٢٣٨٩ - ٢٣٨١

ايبي سن بن جميل ٢٣٨٠ - ٢٣٥٨

اشبي ايرا ٢٣٥٧ - ٢٣٢٦

سبار ٢٣٢٥ - ٢٢٩٥

اشيم داغان ٢٢٩٤ - ٢٢٧٥

ليست عشتار ٢٢٧٤ - ٢٢٦٤

أور اينورنا ٢٢٦٣ - ٢٢٣٦

غونغولم ٢٢٦٤ - ٢٢٣٨

حيث قام اور اينورنا خامس ملوك لارسا بانقلابه على اوربن غونغولم
وزاد ملك بابل .

اور بن غونغولم ٢٢٣٨ - ٢٢٣٧ وانتهى حكم هذه الأسرة .

اب يسارين ٢٢٣٥ - ٢٢٢٧

سوسر ايلوم ٢٢٢٦ - ٢١٩٨

سور لاييلوم ٢٢١١ - ٢١٧٦

والذي اعتقده أخطأ في النقل اذ لا يمكن أن يحكم ملكان في وقت
واحد .

زايوم ٢١٧٥ - ٢١٦٢

وردسن وريم سن ٢١٦١ - ٢٠٩٥

وهزم وردسن أمام حمورابي في عام ٢١٣١ واستلم مقاليد الحكم في
بابل والده سن موبليت .

سن موبليت ٢١٣١ - ٢١٢٤ الأسرة الثانية .

حمورابي ٢١٢٤ - ٢٠٨١ وفي هذه الفترة أنهى حمورابي حكم اور
وملوكها نهائيا .

سمس ايلونا ٢٠٨٠ - ٢٠٤٢

اينوشو بن سمس ٢٠٤٢ - ٢٠١٥

اميد يتانا ٢٠١٥ - ١٩٧٨

اميز ادوغا ١٩٧٧ - ١٩٥٧

سمسو دينانا ١٩٥٦ - ١٩٢٦

واجتاح الحثيون بلاد ماين النهرين واستولوا على مدينة بابل وأنهوا عهد
السلالة البابلية الثانية ١٩٢٥ .

ملوك بلاد البحر ١٩٢٥ - ١٧٦٢

وقامت السلالة الثالثة .

غنداسن ١٧٦١ - ١٧٤٦

اغوم الأول ١٧٤٥ - ١٧٢٤

كشتيلياش الأول ١٧٢٣ - ١٧٠٢

وحكم ملوك ثمانية مجهولوا الأسماء حتى كشف عنهم تل العمارقة
بالاضافة .

١ - أوشتي :

بيرتاش - تشيغورماش واغوم ولم تؤرخ سنو حكم هؤلاء .

كرائنداش الأول ١٤٢٥ وعقد اتفاقا مع اشور .

كاد شمان انليل واستولى الحثيون على البلاد .

اوبليت واستولى الاشوريون على بابل .

- كوريف لنز والثالث ١٣٥٧ - ١٣٣٥
- نازي ماردتاش ١٣٣٤ - ١٣٠٩ وهو بن كوريفلزو
- كادشمان ترغو ١٤٠٨ - ١٢٩٢
- كادشمان ايليل ١٢٩١ - ١٢٨٦
- كودور ايليل ١٢٨٥ - ١٢٧٧
- شاغار كالي ١٢٧٦ - ١٢٦٤
- كشتلياش ١٢٦٣ - ١٢٥٦
- توكلتي انورنا ١٢٥٥ - ١٢٤٨ ملك اشور
- ايليل نادين شوم ولد شمان هرين الثاني ١٢٤٧
- ويقوم الصراع بين ملوك عيلام والاشوريين حتى ١٢١٦ حيث يستولي ميليشاك الثاني ١٢١٦ - ١٢٠٢
- مردوك بعل ادين ١٢٠١ - ١١٨٩
- ايليل نادين ١١٨٧ - ١١٨٥
- زباب اشوم ادين ١١٨٩ - ١١٨٧ قتل على يدي شوترك . ولم تأت الجداول الملكية على ذكره وربما أعدم من استلم ايليل نادين . وتربعت ملوك سلالة باشية على عرش بابل وهي السلالة الرابعة لمدة ١٣٢ سنة ونصف السنة .

٦ - قصة ابراهيم عليه السلام^(١) :

ولد ابراهيم^(٢) في زمن ملك يقال له النمرود^(٣) ، وقصة ولادته أشبه

(١) القصة مستقاة من تاريخ الطبري .

(٢) لم أحدد مكان الولادة لأنني ناقشت هذا طويلا .

(٣) النمرود ملك من الملوك الذين وضعوا بالجور فمن هو ؟

طرحنا في فقرة سابقة من الملك الذي ولد في عهده ابراهيم الخليل ، وبعد أن بحثنا في تاريخ حكام العراق ، ولم نجد ما يوافق النمرود التفت لأتساءل من النمرود هذا ؟
أ - التوراة :

تقول : وبنوحام كوش ومصرام وقوط وكنعان . . .

وكوش ولد النمرود الذي ابتداء يكون جبارا في الأرض الذي كان جبار صيد أمام الرب ، ولذلك يقال كنمرود جبار صيد أمام الرب ، وكان ابتداء مملكته بابل واورك وأكد وكلته في أرض شنعار ، والسؤال الذي يطرح كيف وصل بنوحام الى العراق ؟ وهذا ما ينقضه التاريخ والرحلات الى العراق من الجزيرة العربية رحلات سامية جميعها .

فكيف يكون النمرود بن كوش بن حام حاكما في العراق ، وقد رأينا الرد في الجداول الملكية السابقة على هذا الرأي .

وكذلك ورد في بعض الكتب النمرود بن كوش بن كنعان ، وكنعان كما نعلم هو الذي حلت قبائله في الجنوب من بلاد الشام .

سار الاخباريون برأي التوراة دون أن يحيدوا عنها قيدا نMLE مع ملاحظة مايلي :

١ - أن اليهود حينما سباهم بختنصر الى بابل رأوا في بختنصر أنه النمرود ، ورأوا صرح بابل الميني ، فقالوا أنه الصرح الذي بناه النمرود من أجل أن يصل الى اله ابراهيم .

← ٢ - نسبوا النمرود الى كنعان ، وكنعان بعيدة عن العراق لأنهم كانوا يرون في الكنعانيين العدو التقليدي لهم .

ب - يقول الطبري في تعريف النمرود :

١ - النمرود بن كنعان بن كوش بن حام .

٢ - النمرود بن ارغوا .

٣ - النمرود بن كوش بن حام .

٤ - زري بن طهمه سلفان وهو الضحاك أخو يور راسب

٥ - الهام - وقد أحاط ملكه بمشارك الأرض ومغاريها وكان يبابل

٦ - النمرود هو الضحاك

وأمام هذا الخلط الهائل لانستطيع معرفة الملك في زمن ابراهيم .

ج - ويقول ابن خلدون في كتابه التاريخ نقلا عن كتاب البدء ص ٦٨ ج ٢ : " يكاد البلبلة المشهورة ، وقد وقع ذكرها في التوراة ، ولأدري معناها ، والقول ، أن الناس جميعا كانوا على لغة واحدة ، فباتوا عليها ، ثم أصبحوا ، وافتقرت لغاتهم قول بعيد في العادة أن يكون من خوارق الأنبياء ، فهو معجزة حين اذن ، ولم ينقلوا ذلك " .
ريشير ابن خلدون الى بناء الصرح أيضا ، حسب رأي التوراة أيام النمرود بن كنعان وسقوطه ، وفيها تلبلت الألسن ، ويقول " فلما مات فالغ ظهرت بدعة الصابئة ، وانتحلها بعده ابنه كنعان ويلقب بالنمرود ، وملك بعده كوش وهو نمرود ابراهيم ، وهو الذي قدم أباه ازر ، فاصطفاه هاجر على بيت الأصنام ، لأن ارغو بن فالغ لما هلك أبوه فالغ كان على دين التوحيد الذي دعا اليه أبوه عابر ، ثم رجع ارغو الى كوثار ، ودخل مع النماز في دين الصابئة ، وتوارثها بنوه الى ازر بن ناحور ، فاصطفاه هاجر بن كوش . وحاول ابن خلدون أن يوفق بين رأي التوراة والتاريخ ، فجعل ملوك بابل كلهم يسمعون نماز كالكاسرة والفراغة والقياصرة .

ولكنه أبعد المرمى اذ لم يثبت تاريخيا هذه التسمية ولم يقلها أحد ويرى ابن خلدون نسب النمرود على النحو التالي :

كوش بن كنعان بن فالغ - ابراهيم بن ازر بن ناحور بن ارغو بن فالغ .

والنماز هنا أقرب للصحة مماوردته التوراة من ناحية الزمن . نسب النمرود ←

← في التوراة فهو على النحو التالي : نمروذ بن كوش بن حام - ابراهيم بن ازر بن ناحور بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ بن سام . وسام وحام أخوة وقد أبعدا المرمى ، ولا يمكن لانسان ما أن يعيش كل هذه الأجيال المتلاحقة . ولعل مدوني التوراة قد شعروا بذلك فأمدوا عمر النمروذ ، وصار كعمر نوح ، تابعهم في ذلك الاخباريون العرب . وينقد ابن خلدون وهو كما عهدنا حريص على توخي الحقيقة ، فيقول في أكثر من مكان لأفادة من نقلها لقلة الوثوق بالأصول التي بين أيدينا .

ونسب المسعودي نمروذ الجبار الى ماش بن ارم بن حام وذكر بناء الصرح ، واحتفر نهر الكوفة ونسبه في موضع آخر الى كوش بن حام ، لأدري هو أم غيره ثم عد ملوكهم بعد النمروذ ستة وأربعين ملكا ، ولم يذكر منهم نمروذ الخليل عليه السلام ، وذكر أن مدينتهم بابل وأن الذي اختطها اسمه نيزو اسم امرأته شمر أم الملك السريانية . اسمان أعجميان لا وثوق لنا بضبطهما ويرى ابن خلدون أن النمروذ المذكور أحد ثلاثة :

١ - نمروذ بن فالغ فهو عم لناحور بن ارغو بن فالغ .

٢ - نمروذ بن كوش بن حام .

٣ - هاجر ابن كوش بن نمروذ بن فالغ بن عابر . وهو نمروذ ابراهيم كما يقرره ابن خلدون . غير أن ابن خلدون أخطأ من جديد حيث جعله أباً لبختنصر ، لأن المسافة بينه وبين بختنصر أكثر من ألف وثلاثة مائة عام . ويقول المسعودي في مروج الذهب ، اختص بنصر بن حام أيام النمروذ بن أخيه كنعان بولاية مصر واستبد بها ، وأوصى بها لأبنه مصر ، فاستفحل ملكه ما بين أسوان واليمن والعريش وإيليا وقرسيه ، فسميت كلها أرض مصر ، وفي أيام فيط بن مصر زحف شداد بن عاد بن شداد بن عاد الى مصر ، وغلب على أسافلها .

د - ويصر كافة المفسرين على أن الملك الذي اختلف معه ابراهيم اسمه نمروذ ، أو لقبه ، ولكنهم ، اختلفوا في الاسم اختلافا كبيرا فمنهم من سماه نمروذ ، ومنهم من لقبه به ، وسماه اسما آخر ، ومنهم من نسبه الى بابل ، ومنهم من عاد به الى حام ، ولم يثبت لنا التاريخ أن بني حام في يوم ما من تاريخ ما قبل الميلاد أنهم استولوا ←

بقصة موسى وعيسى فقد تكهن الكهان للنمرود بولادة مولود جديد ، يغير عقيدة الملك رأساً على عقب ، ولهذا حاول النمرود قتل أي مولود يولد جديداً من الناس ، والفارق بين قصة موسى أن القتل كان خاصاً لبني اسرائيل ، أما مارواه الطبري فقد كان خاصاً بمدينة الملك نمرود^(١)

← على العراق .

هـ - أما ابن العبري فقد قال أن الصرخ بناه نمرود بن كوش ، وهو أول ملك قام بأرض بابل ، وهو أول من وضع اكليلاً على رأسه عهد ارغو .

و - أما القرآن فلم يحدد اسم الملك الذي ناقشه ابراهيم /ع/ ، ولم يذكر بناء الصرخ بل ذكر بناء الصرخ لفرعون (وقال فرعون ياهايمان ابن لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وماكيد فرعون الا في تباب) . غافر ٣٦ - ٣٧ وقد أكد القرآن بناء الصرخ في مكان آخر لفرعون لالنمرود (وقال فرعون ياأيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي ياهايمان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلني اطلع الى اله موسى واني لأظنه من الكاذبين) قصص ٣٨ .

(١) اسطورة صاغها الطبري ليشوق الناس الى قراءة كتبه ، فهو اخباري ، ومن صفات الاخباريين زيادة القصص واختلاق الأساطير ، وقصة ابراهيم أشبه بقصة موسى الا أن موسى رمت أمه في اليم بينما خبأت أم ابراهيم ولدها في الغار ، حتى شب ، وكبر ، وبلغ من التمييز ، فأنت به أمه الى المدينة التي تقطنها ، ولن نشير الى أي مدينة .

أما قصة موسى ، فقد رجع الى أمه بعد أن أخذه فرعون وزوجه ، وأعادوا موسى الى أمه ليتم رضاعته فترى في حضن أمه ، وهكذا التقت القصتان في الخوف من المولود الجديد غير أن قصة ابراهيم لم يثبتها القرآن الكريم وأثبت قصة موسى .

وهكذا نرى اسقاط اليهود تاريخهم على حياة ابراهيم ، فالصرخ الذي بناه فرعون قالوا عنه أنه الصرخ الذي بناه النمرود ، وبالغوا في وصف الصرخ اذ وصفوا صرخ بابل ، وهو احدى الأعاجيب السبعة في العالم .

←

وكان أبوه سادنا للأصنام ، ويلقبه الأستاذ السحار بهاجر ، وكان كل سادن يسمى هاجراً^(١) .

ولما بلغ ابراهيم سن التمييز ، سأل أمه من ربه ، فقالت "أنا" قال "ومن ربك" قالت "أبوك" قال "ومن رب أبي ؟" قالت "النمرود" قال "ومن رب النمرود ، فأسمكته .

ولما حل عيد الاله امتنع ابراهيم من حضور العيد^(٢) ، ومن الذهاب الى الفرح بحجة المرض ، فقال اني سقيم^(٣) ثم كسر الأصنام جميعا الا كبيرا

قال أبو محمد بن حزم "وأما قول ابراهيم اذ رأى الشمس والقمر هذا ربي فقال قوم ان ابراهيم قال ذلك محققا أول خروجه من الغار وهذا خرافة موضوعة مكذوبة ظاهرة الانفعال ومن الحال الممنوع أن يبلغ أحد حد التمييز والتكليف بمثل هذا ، وهو لم يرقط شمسا ، ولا قمرا ، ولا كوكبا ، وقد أكذب الله هذا الظن الكاذب بقوله الصادق "ولقد أتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به علمين" عصمه الأنبياء ص ٣٠ . (١) واسم هاجر الزوج الثانية لابراهيم ، لم تكن الا رمزا لمن يعبد الأصنام ، فقد كان أزر هاجرا سادنا للأصنام ، ولهذا رأوا أن يسقطوا ذلك على غيرهم ، ومن ثم دعوا الناس الذين يحيطون بهم من أبناء اسماعيل ، فسموهم الهاجرين وظلت رمزا لعبادة الأصنام .

(٢) قال الله تعالى "ولقد أتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا علمين اذا قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا أباءنا لها عابدين" . وقد كررت آيات كثيرة وفي مواقع متفرقة مناقشة ابراهيم لقومه في عبادة الأصنام . انظر الأنبياء والعنكبوت والأنعام ومريم والشعراء والصفافات .

(٣) انظر الصفافات .

(وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ؟ انفكا الهة دون الله تريدون فماظنكم برب العالمين . فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين) . ويقول مفسروا التوراة ومن لف لفهم أن ابراهيم ←

لهم ، وبدأت المحاكمة^(٤) اقتيد ابراهيم الى التحقيق لأن الناس سمعوا ابراهيم

← لم يكذب سوى ثلاث كذبات احداها اني سقيم وحاولوا أن ينسبوا الى الرسول /ص/ حديثا من هذا القبيل وسنناقشه في وقته ؟ ويعجبني في هذا المجال الامام الكبير فخر الدين الرازي رضي الله عنه في كتابه عصمة الأنبياء ، حيث يناقش كلمة اني سقيم نقاشا واسعا الحصة .

وقوله (اني سقيم) أي لست على يقين من الأمر وهو ليس مريضا جسميا فهو شاك في الأصنام يفتش عن معبوده في هدوء ، ولاترضيه هذه الحجارة ، ولاتعلمثنه ، ولايمكن أن يعبدها هذا الايمان بربه دفعه الى اختبار الأصنام .

(٤) كسر الأصنام ، ولو كانت تصر ، أو تنفع ، لدافعت عن نفسها ، ولكنها بدت عاجزة حتى عن حماية أنفسها ، وفي هذا يحضرني قول أحد الشعراء الذين كانوا في الجاهلية حينما رأى صنمه المعبود يبول عليه الثعلب عدة مرات : أرب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالث عليه الثعالب ، ثم كسر صنمه وسار .

هذا ما فعله ابراهيم "فراغ من الهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لاتنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا اليه يزفون" الصافات ٩١ - ٩٣ .

ويؤكد القرآن هذه الظاهرة مرة أخرى في سورة الأنبياء "وتالله لأعيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا لا كبيرا لهم لعلهم يرجعون قالوا من فعل هذا بالهتنا انه اذنا لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسلوهم ان كانوا ينطقون" .

وأعود من جديد الى كتاب عصمة الأنبياء لأن من سار خلف التوراة يؤكد كذب ابراهيم في هذه المرة ولاأرى ذاك . ويؤكد الرازي وتمسكوا بقول الله تعالى مخبرا عن ابراهيم لما قال قومه "أنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا" ونما عني بالكبير الصنم وهذا كذب لأن ابراهيم عليه السلام هو الذي كسر الأصنام فاضافة كسرها الى غيره لا يكون الا كذبا .

الجواب من وجوه الأول أنه كناية عن غير مذكور أية فعلة من فعله (وكبيرهم ←

يقول : تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ، وأتوا به الى النمرود ، ليحاكمه علنة أمام أسماع الشعب وأعينه ، وجرى التحقيق بما يقتضيه القول ظاهريا .

س : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟

ج : بل فعله كبيرهم هذا واسألوهم ان كانوا ينطقون .

س : لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ؟

ج : أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم ولا يضركم .

س : ما يصنع الهك ؟

ج : ربي يحيي ويميت .

قال النمرود : أنا أعفو عن أي شخص حكم بالاعدام ، فأكون أحييته ، وأقتل أي انسان أريد ، فأنا اذن اله .

← هذا ابتداء كلام وردني عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله تعالى بل فعله ثم يتبدى كبيرهم هذا .

الثاني : أنه يجوز أن يكون فيه وقف عند قوله تعالى "كبيرهم هذا فاسألوهم" والمعنى بل فعله كبيرهم وعنى نفسه لأن الانسان أكبر من كل صنم .
وقرأ بعضهم "بل فعله كبيرهم أي فعله وعلى هذا لا يكون كذبا لدخول حرف الشك" ص ٣٨ .

"فرجعوا الى أنفسهم فقالوا أنكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله ملا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلاتعقلون ، قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ، قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين .

ج : ربي يأتي بالشمس من المشرق ، فات بها من المغرب .

لم يستطع النمرود جوابا . حار القوم ، ألتهتهم كسرت ، حججهم فندت على مسمع الناس وبصرهم ، فصعروا بخدهم ، وصاحوا لابد من العقوبة ، لقد علموا أنه على حق ولكن الحقيقة مرة ، ولا يتبعها الا القليل ، تعودوا على عبادة الأصنام ، فكيف يتركونها ، انهم يعلمون أنها لاتضر ، ولا تنفع ، لم تحم نفسها ، ولكنهم هكذا تعلموا لابد من جزاء ، لابد من جزاء ، وتعاليت صيحات الجهل تريدكم الافواه ، والشمس الساطعة ، واطفاء نورها ، ومكان الحكم بتصفية الجسد . وثأتي النتيجة غير المنطقية ، ويصدر الحكم بحرق ابراهيم في النار انتقاما لآلهتهم المنصرعة المتكسرة . "وقالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين" . حكم جائر ونتيجة غير منطقية وهنا يتدخل الايمان ويتدخل الله ليحمي داعية كما حمى الرسل من قبل . "قلنا يانا كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين" (١) .

(١) قال شراح التوراة لجأ ابراهيم من نار الكلدانيين ، والكلدانيون لم يكونوا في زمن ابراهيم عليه السلام .

ويقول العقاد "يقول بعض الشراح أن القصة لم تكن معروفة قبل يوناثان بن عزيل الذي كان يجهل البابلية فالتبس عليه معنى اور لأنها بالكلدانية معناها النار وبالعبرية يعني النور ، وظن أن لجأ ابراهيم من اور الكلدانيين يعني لجأته من نار الكلدانيين ، وزعم شايرا أن القصة من وضع كعب الاحبار ، ولا تعويل على قول شايرا هذا ، لأنه زور بعض الوثائق على المتحف البريطاني ، وانكشف تزويره فبزع نفسه في روتردام ١٨٨٤ .

ومن العلوم أن ترجم يوناثان كان المعتمد الأكبر على شروح الربانيين ، ولم تكن نقلا مباشرا من نصوص التوراة ص ٦٧ .

لم ترد القصة في التوراة ، وإنما ورد أنه هاجر مع والده وزوجه دون أن يشير الى الأسباب التي دفعته لذلك . غير أن التوراة أوردت في سفر دانيال قصة شبيهة بقصة ابراهيم ، المكان بابل الحاكم بختنصر والصرح موجود . هذه القصة سأنقلها ←

← كماوردت عند دانيال .

سفر دانيال الاصحاح الثالث كله .

نبوخذنصر الملك صنع تمثالا من ذهب طوله ستون ذراعا وعرضه ست أزرع ونصبه في بقعة دورا في ولاية بابل ثم أرسل نبوخذنصر الملك لجميع الرأزيه والشحن والولاة والقضاة والخزنة والفقهاء والمفتين وكل حكام الولايات ليأثرا لتدشين التمثال الذي نصبه الملك . . ووقفوا أمام التمثال الذي نصبه نبوخذنصر ونادى مناد بشدة قد أمرتم أيها لشعوب والأمم والألسنة عندما تسمعون صوت القرن والناي والعود والرباب والنسطين والمزمار وكلأنواع العزف أن تخروا وتسجدوا لتمثال الذهب الذي نصبه نبوخذنصر الملك ومن لا يخر ويسجد وفي تلك الساعة يلقى في وسط اتون النار متقدة لأجل ذلك ولقما سمع كل الشعوب صوت القرن خر كل الشعوب والأمم والألسنة وسجدوا لتمثال الذهب الذي نصبه نبوخذنصر الملك لأجل ذلك تقدم حينئذ رجال كللدانيون واشتكوا على اليهود . أجابوا وقالوا للملك نبوخذنصر أيها الملك عش الى الأبد أنت أيها الملك قد أصدرت أمرا لأن كل انسان يسمع صوت القرن . . وكل أنواع العزف يخر ويسجد لتمثال الذهب ومن لا يخر ويسجد فانه يلقى في وسط اتون نار متقدة . يوجد رجال يهود الذي وكلتهم على أعمال ولاية بابل شدرخ ميشخ وعبدنغو هؤلاء الرجال لم يجعلوا لك أيها الملك اعتبارا لالهتك لا يعبدون ولتمثال الذهب الذي نصبت لا يسجدون ، حين اذن أمر نبوخذنصر بغضب وغضب باحضار شدرخ وميشخ وعبدنغو فأثروا هؤلاء الرجال قدام الملك فأجاب نبوخذنصر وقال لهم تعمدوا ياشدرخ وميشخ وعبدنغو لاتعبدون الهتي ولا تسجدون لتمثال الذهب الذي نصبت فان كنتم الآن مستعدين عندما تسمعون صوت القرن . . وكل أنواع العزف الى أن تخروا وتسجدوا للتمثال الذي عملته وان لم تسجدوا ففي تلك الساعة تلقون في وسط اتون نار متقدة ومن هو الاله الذي ينقذكم من يدي فأجاب شدرخ وميشخ وعبدنغو وقالوا للملك يانبوخذنصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر هو ذا يوجد الأهنا الذي نعبده يستطيع أن ينجينا من اتون النار المتقدة وأن ينقذنا من يدك أيها الملك والا فليكن معلوما لك أيها الملك أننا لانعبد الهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذي نصبت . حين اذن امتلأ نبوخذنصر غيضا ←

← وتغير منظر وجهه على شدرخ وميشخ وعبدنغو فأجاب وأمر أن يحموا الاتون سبعة أضعاف أكثر مما كان معتادا أن يحمي وأمر جبايرة القوة في جيشه بأن يوثقوا شدرخ وميشخ وعبدنغو ويلقوهم في اتون النار المتقدة . ثم أوثق هؤلاء الرجال في سراويلهم وأقمصتهم وأرديتهم ولباسهم والقوا في وسط أتون النار المتقدة ومن حيث أن كلمة الملك شديدة والاتون قد حمي جدا قتل لهيب النار الرجال الذين رفعوا شدرخ وميشخ وعبدنغو وهؤلاء الثلاثة الرجال شدرخ وميشخ وعبنغو سقطوا موثقين في وسط اتون النار المتقدة حين اذن تحير نبوخذنصر الملك وقام مسرعا فاجاب وقال لمشيريه ألم تلق ثلاثة رجال موثقين في وسط النار فأجابوا وقالوا للملك صحيح أيها الملك وقال ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشون في وسط النار وما بهم ضرر ومنظر الرابع شبيه بابن الاله ثم اقترب نبوخذنصر الى باب اتون النار المتقدة وأجاب فقال يا شدرخ وميشخ وعبدنغو يا عبيد الله العلي اخرجوا وتعالوا فخرج شدرخ وميشخ وعبدنغو من وسط النار فاجتمعت المرازبه والشحن والولاة ومشيرو الملك ورأوا هؤلاء الرجال الذين لم تكن للنار قوة على أجسامهم وشعرة من رؤسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير ورائحة النار لم تأتي عليهم فأجاب نبوخذنصر وقال تبارك اله شدرخ وميشخ وعبدنغو الذي أرسل ملائكته وأنقذ عبيده الذين ااكلوا عليه وغيروا كلمة الملك وأسلموا أجسادهم لكيلا يعبدوا أو يسجدوا لاله غير الههم فمني قد صدر أمر بأن كل شعب وأمة ولسان يتكلمون بالسوء على اله شدرخ وميشخ وعبدنغو فانهم يصيرون اربا اربا وتجعل بيوتهم مزبلة اذ ليس اله آخر يستطيع أن ينجي هكذا حين اذن أقدم الملك شدرخ وميشخ وعبدنغو في ولاية بابل .

ويقول العقاد : ان قصة نجا ابراهيم من النار قصة حقيقية لاشك فيها لورودها في القرآن الكريم وعلى هذا لازالت الكنيسة السريانية لاتعتبر القصة ناشئة من غلط في الترجمة وتقيم لنجا الخليل من النار حفلا سنويا في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني . ابراهيم أبو الأنبياء ص ٨٦ .

بعد نقاش نجا ابراهيم من النار التي حاول النمرود أن يلقيه فيها أقول أن اليهود حذفوا القصة عن ابراهيم ووردوها عن شدرخ وميشخ وعبدنغو . لكن القصة تختلف عن قصة ابراهيم بمائلي :

←

رأى القمر بارغا قال هذا ربي فلما أفل قال لمن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون". وخبط الطبري خبط عشواء فأبعد المرمى ولم يصب السهم. (٧)

وارجأ الاخباريون مناقشة الكواكب الى حران ، ولعل دين أهل حران عبادة النجوم أيام أسر اليهود في بابل ، فنقلوها الى أيام ابراهيم عليه السلام . فالهجرة كما يقول الله سبحانه وتعالى كانت بناء على طلب قوم ابراهيم .

(٢) وهذه العبادة ليست حصراً في العراق بل كانت منشورة في بلاد الشام والجزيرة العربية ، فالسين اله القمر ولا زالت كلمة سيناء موجودة في بلادنا العربية . أما ود الصنم الجاهلي المعروف فهو القمر ، وكلمة شمس وسمس اله الشمس وردت في العراق كما وردت عبادة الشمس عند سبأ . أما الصابئة فقد عبدوا نجوماً آخر . هناك آيات كثيرة تدل على طلب قومه هجرة ابراهيم :

١- سورة مريم : (قال أرأغب أنت عن الهيي يا ابراهيم لمن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا ، قال سلام عليك سأستغفر لك ربك انه كان بي حفيوا ، اعتر لكم وماتدعون من دون الله وادعوا ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا) ٤٦-٤٩

٢- الهجرة رغبة من ابراهيم وهذا بعد طلب قومه . (فأمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم) العنكبوت ٢٦ .

٣- الهجرة أمر الهي . (ونجيناه و لوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) الأنبياء ٧٠ .

هذه الآراء الثلاثة التي طرحها القرآن الكريم يكمل بعضها بعضا . طلب المشركين من ابراهيم أن يعتزل لئلا يفسد ناشئتهم . رغب ابراهيم في الهجرة فأمره الله بالهجرة الى أرض كنعان الأرض التي بارك الله فيها .

٧ — الهجرة .

تختلف الهجرة من مؤرخ لآخر ، ويبدو الخلاف واسعا كما شهدناه في مكان الولادة .

أ - من قال أنه ولد بالعراق في السوس أو الوركاء أو اور أو كوته أو بابل ، فالهجرة من أرض العراق الى حران ، ومن حران الى دمشق الى القدس فبئر سبع .

ب - ومن قال أنه ولد ببرزة يعضد هذا الرأي ابن العبري والحافظ بن عساكر ومختصر ابن كثير .

ج - ومن قال أنه ولد بحران وهو رأي من آراء الطبري المتعددة . فقد قال انتقل به أبوه الى بابل ثم تمت الهجرة من بابل الى حران ومنها الى دمشق .

د - يبقى رأيي أنا في أن مولد ابراهيم كان في شمال الحجاز ، ومنها انتقل الى جنوب فلسطين ، ولم يصل القدس الا اماما ، أما حبرون ، فاني أنفي الوصول اليها .

أما هجرته كما قررت التوراة فليست الا اسقاطا لما حل باليهود حينما نقلوا من القدس ، فالطريق التي ساروا عليها حتى وصلوا الى بابل توهمها ، هي الطريق التي سار عليها ابراهيم الخليل عليه السلام .

طلب منه قومه أن يهجرهم ، وقد هجر الأنبياء من ديار قومهم ، ومن خلال المداول الملكية لم يظهر لنا اسم نمرود فيها ، ولهذا لأرى رحلة

ابراهيم ، بدأت من العراق الى أرض كنعان ، ولكني أراها بدأت من الجزيرة العربية ، واستقرت جنوب كنعان ، ويعضد في هذا الرأي كثير من الباحثين ، وبعض الحقائق التي وصلتنا . ان التوراة تحدثت عن شخصيتين مختلفتين تمام الاختلاف .

أ — شخصية ابرام : التي تحدثت عنها التوراة ، رحلت من اور الى بلاد الشام ، وفلسطين ، وهذه الشخصية نحلوها كل ما حصل لليهود في أحلام يقظتهم ، فهو المنتصر القادر المقاتل الذي يخاتل الناس ، ويغشهم ويكذبهم ، ويسرقهم وهو أسد ضار وقت القوة ، وثعلب ماهر حينما يكون ضعيفا ، يضرب امراfil ، ويدفع العشر للملكي صادق ، يدخل مصر جائعا ، فيكذب ، ويقول عن زوجته "أنها أخته" يخاصم ابن أخيه ، ويفترق عنه من أجل الرعي .

هذا الرجل الغريب ترك وطنه ، هجر كما هجر اليهود من بيت المقدس ، اضطهد عذب يعيش بين غرباء ، يقتله الحنين الى وطنه ، فيوصي ابنه اسحق ألا يتزوج من امرأة غريبة ، ويخطب له ابنة خاله ، ينصحه ألا يتزوج من امرأة كنعانية. لأن اليهود كانوا يرون بأن بنات كنعان جوييم ، لا يمكن الركون اليهن . "وشاخ ابراهيم وتقدم في الأيام وبارك الرب ابراهيم في كل شيء وقال ابراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كل ما كان له ضع يدك تحت فخذي وأستحلفك بالرب اله السموات والأرض ألا تأخذ لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم بل تذهب الى أرضي وعشيرتي وتأخذ زوجة لابني اسحق فقال له العبد ربما لانشاء المرأى أن تتبعني الى هذه الأرض هل أرجع بابنك الى الأرض التي خرجت منها فقال له ابراهيم احتزر أن ترجع بابني الى

أهذه هي بداية الغيتو ، الاعتزال ، الشعور بالغرابة ، عدم التزاوج من الآخرين علما أنه كان في القدس وأورشليم فلكي صادق الكاهن لله العلي ، فلماذا يدفع العشر للملكي صادق ويمسحة كاهنا ، ولايقبل أن يزوج ابنه من بنات الأرض ؟

هذه الشخصية سمتها التوراة ابرام ولازال اليهود يسمون ابرام حتى الآن ، هذه الشخصية تكذب ، نفث ، تخاتل ، تقاتل ، وتنتصر ، لاتؤمن بقيمة انسانية بمقدار ماتؤمن بجمع المال ، انها هلوسات اليهود ، وأحلام يقضتهم ، فكانت شخصية ابرام .

وقصة الابراهيميين قد لجأ اليها كاتب متعصب لايقفل في فروضه على هذا المثال ، وهو السير ليونار صاحب كتاب "ابراهيم ، والكشوف الأخيرة" فقد رجح أن ابراهام غير اب رام وقال أن تسمية الحفيد باسم الجد كانت مألوفا جدا في البلاد البابلية كمايظهر من مقابلة أسماء الملوك من أسرة واحدة ، فاذا كان لابراهيم جد باسم ابرام كماجاء في كثير من الروايات ، فالأقرب الى المؤلف أن المتأخرين بعد عصره جمعوا بين أخبار الاثنين ، ووصلوا عمر أحدهما بعمر الآخر ، فبلغوا بهما خمس وسبعين ومئة . وغير بعيد أن يكون العبريون المتأخرون قد تكلموا عن ابراهيمين لاعن ابراهيم واحد . فهذا التاريخ الغامض قد زاده اختلاطا على اختلاط دعوى الطائفة العبرية التي تنتسب الى ابراهيم أنها ذريته التي تؤثر في الأرض والسماء ، وأنها ورثت أرض فلسطين من أيام ابراهيم مع أنهم كانوا في أيام موسى يشترون المرعى (المورد

(١) سفر التكوين الاصحاح الرابع والعشرون ١ - ٧ .

بالفضة).^(١)

ولأقول بما يقوله ايزنار غليس أحدهما جد الآخير أو حفيده ، ولكن أحدهما صورة اليهود كما يـ بون أن يكون والشخصية الأخرى هي الشخصية الحقيقية لابراهيم عليه السلام .

ب - الشخصية الثانية .

هي شخصية ابراهيم المؤمنة بأقوال الرب ، وهذه الشخصية التي نجت من النار ، وهي التي تبارك الناس ، وتحيا معهم تقاتل عنهم ، وتدود عن حياتهم ، وفي التوراة نقل اسم ابرام الى ابراهيم وساراي الى سارة .

هذه الشخصية بقيت غامضة في تاريخ بني اسرائيل لأنها الشخصية المؤمنة التي وصفت في القرآن الكريم وصفا يليق بكمال هذه الشخصية واتزانها .

الشخصية البدوية الكريمة السمحة الشجاعة الذي يتجول بين الحجاز موطنه الأصلي وشمال الحجاز أرض كنعان ، أما اصرار جماعة الذين اتبعوا التوراة ، وقلدوها ، وساروا في ركابها على الشخصية الأولى ، وكذلك يصبر علماء اليهود على الأخذ بالشخصية الأولى التي هاجرت من اور الى كنعان (وتقول تعليقات ابنجدون التي اشترك في تأليفها نحو سبعين عالما من علماء التاريخ الديني والتوراتي) أن تاريخ العبريين الأسمي يتدءى بقبيلة من هذه القبائل سكنت الى جوار مدينة اور في جنوب العراق ، وعند نهاية الألف الثالثة ق م هاجر منهم فريق الى الشمال بقيادة تارح .

(١) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ٢٠١ .

وربما كان من أسباب هذه الهجرة اضطراب سياسي في جنوب العراق أصابت جرائره معيشة أهل اور ، ولعل هذا الاضطراب قد نشأ من تحول السيطرة السياسية من المدن العراقية الى قبائل عيلام فلم يستقر عليه أحوال المعيشة والتجارة في مدينة اور ، وهذا الفرض يرجع الحركة الى ماين سنة ٢٣٠٠ - ٢٠٠٠ ق م .

وكيفما كانت الحقيقة ، فالهجرة قد حصلت ، ونزل القوم فترة بجوار حران الى شمال الهلال الخصيب^(٢) .

هاجر ابراهيم ، ولوط كما يبين القرآن وحصر النجاة بهما دون أن يذكر فيما كانا متزوجين أم لا .

"ونجيناه لوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين"^(٣) . "فأمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم"^(٤) . والظاهر من هذه الآيات أنه لم يؤمن بدعوى ابراهيم من قومه الا لوط فقط . أما الوالد ازر فقد وقف موقفا معاديا من الدعوة "قال يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا"^(٥) ، "واغفر لأبي انه كان من الضالين"^(٦) .

ومن هذه الآيات نرفض قول التوراة ومن سار في ركابها عن هجرة تارح أو ازر كيفما كانت فالهجرة لله ولا يمكن أن يهاجر لله من لا يؤمن بالله العلي القادر .

(٢) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ٩٧ .

(٣) الأنبياء الآية ٧٠ .

(٤) العنكبوت الآية ٢٦ .

(٥) مريم الآية ٤٧ .

(٦) الشعراء الآية ٨٦ .

لأستطيع أن أثبت بأمر زواج ابراهيم هل هو قبل الهجرة أم بعدها ؟ هل كانت زوجته ممن آمن به وهي من قومه أم لا ؟ ، هذه أمور تبقى في ذمة التاريخ ، وإن كنت أريد مناقشة زوجه سارة أو ساراي من خلال ماقرأت عنها فيما بعد ، إذن فمن أين بدأت هجرته وإلى أين ؟ .

هذه الهجرة التي تركت آثارا كبيرة في التاريخ فشوهها من شوهها عمدا ليجني ثمرات التشويه ، ومنهم من سار يقتفي خطأ غيره على غير هدى فضل وأضل .

يؤكد العقاد أن موطن ابراهيم في شمال الحجاز ، ولم يكن العراق ، وهو يسير في هذا الفرض بخطا وثيدة فيقول (كان وطن ابراهيم عند سيناء ، وشمال الحجاز حيث كان الجنوب مفتوحا له ، وأيسر من الشمال حيث تجول القبائل التي بلغ من قوتها أن تغير احداها على بابل ، وتغير الأخرى على مصر ، وأيسر من اجلائها عن أرضها أن يبقى حيث هو أو يبعث في الجنوب ويستقبل الحجاز)^(٧) .

وأرى أن ابراهيم ترك الصحراء العربية وراءه ، وخلفه قومه الذين أصابهم الدمار لعدم ايمانهم بالله ، وترك وطنه يلوعه الحنين ، وتحرقه الذكرى ، والده ، اخوته ، مرتع صباه ، وطفولته دمرت ، لأن قومه لم يؤمنوا بدعواه . وسمع الى هذه العاطفة التي تنثال رقه ، حينما دعا قومه وأباه الى الايمان فأصبروا ، وأعرضوا (واذكر في الكتاب ابراهيم أنه كان صديقا نبيا . اذ قال لأبيه يأبى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا . يأبى اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يأبى لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان

(٧) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ٢٠٢ .

للرحمن عصيا . يأتيت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا . قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان لي خفيا . واعتز لكم وماتدعون من الله وادعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا^(١) .

ولهذا الحنين الذي يعاوده يطلب من كبير بيته أن يجلب زوجة لابنه اسحق من عشيرته تعيد له ذكره في تلك الأرض في تلك المراتع ، وللسبب نفسه نصح كبير بيته ألا يعود بابنه الى أرض العشيرة بعد ما حل بها ما حل . ولأرى رأي التوراة ، وشرحها أن الفتاة الكنعانية لاتصلح زوجة لرجل مثل اسحق بل كانت بنات كنعان بنات حضارة ومدن أما ابراهيم واسحق فهما بدويان متنقلان ، ولاتصلح فتاة الحضرة للتجول والتنقل وراء الماشية من مكان لآخر ولازلنا حتى الآن لانرى في ابنه يثمة مخالفة لنا زوجة صالحة كاملة لنا ، هذا السبب ان صح قول التوراة هو الذي دفع ابراهيم الى أن يقول الى كبير بيته انتق زوجة من أرض ابراهيم وعشيرته ، ولم يشر الى مدينته ولو كان من اور واور مدينة لايفعل اسمها لأشار اليها ، هذا كله دفعني لأن أقول : ان ابراهيم لم يهاجر من العراق وانما اصطنع ذلك جماعة التوراة ليسقطوا ما حصل معهم على ابراهيم الخليل ع .

ابراهيم الخليل من شمال الحجاز هاجر الى الجنوب من كنعان ، ولم يتخط الى الشمال ، وهذا رأي بعض النقاد وأخصهم الدكتور كامبيل ، فهو يرى أنه ظل ينتقل جنوب كنعان في سهل جرار وبرية بئر سبع وبرية سيناء ، ولا يرى كامبيل أن ابراهيم توغل في شمال كنعان ، ومن سجل ذلك انما ليسوع أمرا في داخله "لم يكن لابراهيم وذريته مقام في غير الجنوب عند جرار

(١) سورة مريم ٤١ - ٤٩ .

أو وراءها جنوبا ، ولم يكن لابراهيم مقام في حبرون ، ولهذا يرجح الدكتور كامبيل أن ابراهيم لم يدفن في مغارة المكفيلة في حبرون على مقربة من أورشليم ، ولكن الذين انتسبوا اليه تعلقوا بذكرى هذا المدفن لتسويغ دعواهم في مملكتهم ولا بد من ابراهيميين جاء أحدهما بعد الآخر بزمان طويل^(٢) .

وأستطيع أن أقول ، وبكل هدوء واطمئنان ماقاله الأستاذ العقاد في كتابه ابراهيم أبو الأنبياء من أن ابراهيم كان عربيا ، وهو مفاجأة لمن سار على خطا التوراة ربما كان من المفاجآت عند بعض الناس أن يقال لهم : ان ابراهيم عليه السلام كان عربيا وأنه كان يتكلم العربية^(٣) .

أما ابرام العبري الذي تصوره لم يكن عربيا اذ أن العبرية لم تكن قد وجدت فعلا أما تسمية عبيرو وخبيرو التي وردت في النقوش فهي معكوس عرب وهم العرب المتجولون من مكان لآخر دون أن تحدد هوية عبرى ، أو لغة عبرية ، فاذا ما افترضت أن ابراهيم عبري ، فان لغته كانت آرامية ان كان من اور أو من العراق بكامله . أما اذا كان من الجزيرة العربية فلغته العربية ، وهو عربي والعبرى انما الصقت به الصاقا ، ولادليل عليه الا ماقالته التوراة ، وهي ليست ثقة في كلامها . فقد لاحظنا بعض المغالطات التي وقعت بها . من هنا نقول أن الشخصية التي اجتهدت التوراة في اطفاء القداسة عليها لاتمثل شخصية ابراهيم الخليل ع ، وانما هي شخصية ممسوخة جامدة صنعها اليهود دمية على هواهم ، واني لأستبعد موته في شمال كنعان ، وقبره في مغارة مكفيلة في قرية اربع (حبرون) أو الخليل كما نسميها في الوقت الحالي وأنفي

(٢) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ٢٠٠ .

(٣) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ٢٠٣ .

مصور.

الهجرة كما تراها التوراة
بعض الاخباريين الغرب
الهجرة كما اراها

الرحلة الى حران كما سماها الاخباريون العرب ، كما أنفي الرحلة الى حوران ، كما يقول صاحب كتاب فتح العلام ، فالبلاد لم تكن فارغة حسب النظرية الصهيونية أو مبدا ايزنهاور ، وإنما كانت تعج بالناس وبالحضارة ، وليس من السهل على بضع بداءة أن يقتحموا المدن والسهول ، ويتجولون فيها وكأن شيئا لم يكن . واني لأستبعد دفن الخليل في مغارة المكفيلة لأن التوراة قالت أن اسماعيل سكن بركة فاران ، وأخوه اسحق سكن في سهل جرار ، ومات ابراهيم وجاء الاثنان فدفناه في مغارة المكفيلة ، فما الزمن الذي يستطيع اسماعيل أن يصل فيه من فاران ان صحت التوراة ، أو من الحجاز ليشيع جنازة أبيه ثم لينقلها بعد ذلك الى مغارة المكفيلة ، انها تستلزم شهورا . ولن أقبل أي قول : ان التحنيط كان موجودا فهل حنط الخليل ، وهل كشفت جثته ؟ هذا ما لم يقله أحد ، ولهذا استبعد تحنيطه وقبره في هذا المكان فهو اذا قبر قبر في الجنوب ، ولأستطيع تحديد مكانه بالضبط ، ولأزلت أرى أن ابراهيم من الجهات الشمالية للجزيرة العربية لأن حضور اسماعيل من مكة يعني قرب المكان ، ولو افترضنا رأي التوراة أن اسماعيل في فاران ، فحبرون بعيدة بالاضافة الى أن ابراهيم تزوج حسب ماثقول التوراة في أواخر عمره من امرأة أخرى عربية تدعى قطوره ، ولم تكن هذه المرأة من فدان ارام ، ولو كانت من عشيرة سارة لأشيعت التوراة ذلك ولفخرت بها كما افتخرت بسارة ، فكيف ينصح ابراهيم لابنه أن يأخذ امرأة من عشيرته في الشمال ولا يطبق القاعدة نفسها ؟ كل هذا يدل دلالة واضحة أنه عربي وأن ابراهيم ليس ابرام الذي تحدثت عنه التوراة ، ولهذا فأنني أقول كل ماورد في التوراة "باطل" ، وقبض الريح ، فلم يولد في اور ، ولا كان في بابل ، ولم يعمر الصرح من أجل قتال

رب ابراهيم". (١)

ولعل جماعة التوراة سمعوا من أهل بابل عن موجة الكاشيين التي اجتاحت بابل مابين القرن السادس عشر والخامس عشر ق.م^(٢) . فأسقطوا تلك الفترة على حياة ابراهيم ، وقالوا سقط برج بابل بعد ذلك بينما لم يسقط البرج الا على أيام كورش الملك الفارسي الذي هدمه .

لم يكن ابراهيم من بابل ، ولم يقيم برحلته كمتاهوما ، بل لم يصل الى شمال فلسطين في يوم من الأيام لأنه قدم من الجنوب ، وفي الشمال دول قوية

(١) قال الطبري حينما بهت النمرود وانقطع في محاجة ابراهيم ، طلب من جماعته أن ينوا له صرحا عاليا لعله يصل الى الله العلي ، فيقتله . وبني الصرح عاليا طبقات كثيرة ، فصعد النمرود على ظهر حصانه وأطال الله رجلي الحصان ، وقصر يديه ليستطيع الصعود ، ومن ثم وصل الى أعلى البرج ، وهناك تناول سهما من كنانته ، ورمى نحو الأعلى ثم ثنى ، وثلاث حتى عاد اليه سهم مفرق بالدماء ، ويعمل الطبري بأن الله أمر الملائكة أن تأخذ سهما ، وتغطه بالدم ، وتعيده اليه ، فسقط السهم أمام النمرود ، وحينها ظن أنه قتل الله . وفي النزول طالت أيدي الدابة بأمر الله ، وقصرت رجلاها حتى نزل ، وبعد هجرة ابراهيم عليه السلام نزل ملك فطلب من نمرود أن يختار جيشا لقتال الله ، وأرسل الله اليه جيشا من البعوض ، فأهلك النمرود وجماعته .

(٢) أسد اشقر الخطوط الكبرى في تاريخ سورية ج ١ . يقول : اشور غمرتها الموجة بكاملها نزل الكاشيون حتى بابل ولكن العاصمة التي لم تكن حدودها تتعدى سيار صمدت جدا وصمدت مملكة حلب أيضا ولكن المملكة الحثية الاقطاعية التي تأسست سنة ١٧٠٠ ق.م في الأناضول تفوقت عسكريا وهي لم تكف بأن منعت الهجرة عبر حدودها بل ان الجيش الاقطاعي الحثي تدخل في سورية في عهد ملكه حثوسيل الأول وبعده هاجم بورسيل الأول حلب ودمرها وفي عام ١٥٨٠ ق.م اندفع الحثية نحو بابل واعملوا فيها النهب والحرق .

لايستطيع أن ينال منها ، ولهذا استبعد أن يشتري أرضا ومغارة في حقل عفرون الحثي ، فالدولة الحثية لم تكن قد اجتاحت سوريا بعد حتى يمتلك فيها عفرون بن صوحر الحثي ، واني لألاحظ التسمية ليست حثية لأن عفرون جمع مذكر سالم من عفر ، وهو لون التراب ، وقد عرفت هذه التسمية عند العرب كزيدون وخلدون .

ويؤكد العقاد أن ابراهيم الخليل غير ابرام الذي تتحدث عنه التوراة ، فقد وجدت تسمية ابرام في الآرامية ويقول في هذا الصدد "ولدت ادنا لثراح ابراهيم ١٨٧٦ ق م ، وسماه ابرام على اسم أبي جدته لأمه واسمها ملكة" .

والذي يدلنا على أن ابراهيم الخليل لم يغادر جنوب كنعان الى شمالها ، هو مجيء اسماعيل عند دفن ابراهيم ، ونحن نعلم أن اسماعيل كان يسكن الحجاز مع أمه وزوجته وبنيه ، وهناك أمر ثان ، ودليل أقوى على التزامه جنوب فلسطين زواجه من قطوره ، وقد سكن أبناؤها شمال الحجاز ، وجنوب كنعان "وعاد ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة ، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان وبشباق وشوحي وولديقشان شبا وددان"^(٣) . يقول بعض النسابة العرب أن يقشان هو قحطان (يقطان) ، وهو ولد سبأ ، وسبأ هنا هي التي سكنت شمال الحجاز ، ومنها ملكة سبأ التي زارت سليمان عليه السلام ، وربما كان الأمر مجرد تشابه أسماء أو قل هي من افتراضات اليهود التوراتية .

اذن لازالت عناصر الهجرة حتى الآن ابراهيم ولوط . أما الوالد آزر ، فقد أقصاه القرآن الكريم بشكل لايقبل الجدل والشك ، وأما الزوجة فلم يذكر عنها شيئا لا سلبا ، ولا ايجابا ، ولم يذكر القرآن الكريم قرابة لوط ، ولهذا يقي

(٣) سفر التكوين الاصحاح الخامس والعشرون .

الحديث عن سارة ولوط ، وتصديق هذا الكلام ، أو تكذيبه من الأمور الاسرائيلية التي لانستطيع أن نصدقها أو نكذبها وفي هذا يقول ابن خلدون في مقدمته وقد جمع المتقدمون في ذلك ، وأوعوا الا أن كتبهم ، ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين ، والمقبول والمردود ، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداءة والامية ، وإذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تشوق اليه النفوس البشرية في أسباب المكونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود ، فانما يسألون عنه أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا أبقوا على ماكان عندهم مما لاتتعلق به الأحكام الشرعية التي يحتاجون لها مثل أخبار بدء الخليقة ، ومايرجع الى الحدثان والملاحم ، وأمثال ذلك مثل كعب الأحبار ، ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام ، وأمثالهم فامتألت التفاسير ، والمنقولات عنهم ، وفي هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم ، وليست ممايرجع الى الأحكام ، فيتحرى صحتها التي يجب العمل بها ، وتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملأوا الكتب بهذه المنقولات ، وأصلها كماقلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ، ولاتتحقيق عندهم بمعرفة ماينقلون من ذلك الا أنهم بعد حين عطرت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة ، فتلقيت بالقبول من يومئذ^(١) .

غير أنني أضيف أنهم تعمدوا هذا النقل المغلوط ليحققوا آراء توراتهم التي كتبوها خطأ وزيفا ، ولو أعلنوا اسلامهم .

٨ — سارة .

من ساراي هذه التي ملأت التوراة ؟ وشغلت الناس . فكانت السيدة

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٠-٤٩١

الأمرة النهائية لا يبدو أمامها ابراهيم الا شخصية ضعيفة ، يتلقى أوامرهما ، وينفذها بكل احترام .

أ- لنعد الى التوراة فترى ماتحدثنا به عنها :

١- واتخذ ابراهيم وناحور "أخوين" امرأتين اسم امرأة ابرام ساراي ، واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران ، وكانت ساراي عاقرا ليس لها ولد^(٢) .

٢- فذهب ابرام كماقال له الرب وذهب لوط وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران ، فأخذ ابرام ساراي امرأته ، ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما^(٣) .

٣- وحدث لما قرب أن يدخل مصر ، أنه قال لساراي امرأته "اني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون اذا رآك المصريون ، أنهم يقولون هذه امرأته ، فيقتلونني بسببك قولي "انك أختي" ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك"^(٤) .

٤- وأما ساراي امرأة ابرام ، فلم تلد له ، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر ، فقالت ساراي لابرام هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة ، ادخل على جاريتي لعلني أرزق منها بينين^(٥) .

٥- فقالت ساراي لابرام ظلمي عليك أنا دفعت جاريتي الى حضنك ،

(٢) تكوين اصحاح حادي عشر .

(٣) تكوين اصحاح حادي عشر .

(٤) تكوين اصحاح حادي عشر .

(٥) تكوين اصحاح سادس عشر .

- فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها يقضي الرب بيني وبينك^(١) .
- ٦- ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين ، ظهر الرب لابرام ، وقال له "انا الله القدير . . وقال الله لابراهيم ساراي امرأتك لاتدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة ، وأباركها ، وأعطيك منها أيضا ابنا^(٢) .
- ٧- وقال له "أين سارة امرأتك ؟ فقال هاهي ذي في الخيمة ، فقال "أني أرجع اليك نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة امرأتك ابن ، وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراء ، وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين في السن ، وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء ، فضحكت سارة في باطنها قائلة "أبعد فنائي يكون لي تنعم ؟ وسيدي قد شاخ" فقال الرب لابراهيم "لماذا ضحكت سارة؟"^(٣) .
- ٨- وتغرب في جرار ، وقال ابراهيم عن سارة امرأته هي أختي ، فأرسل أبي مالك ملك جرار ، وأخذ سارة^(٤) .
- ومن المعلوم في التوراة أن ساراي لم يتغير اسمها الى سارة ، الا بعد أن أوغلت في الشيخوخة . فهل ظلت العجوز العقيم جميلة جدا ، حتى يطلبها أبي مالك ثم يلحظ قارئ التوراة معي أن هذه الحادثة كررها اسحق ، فقال عن زوجته "هي أختي" لأبي مالك .
- ٩- وافتقد الرب سارة كماقال ، وفعل الرب لسارة كماتكلم ، فحبلت

(١) تكوين اصحاح سادس عشر .

(٢) تكوين اصحاح سابع عشر .

(٣) تكوين اصحاح ثامن عشر .

(٤) تكوين الاصحاح العشرون .

سارة ، وولدت لابراهيم ابنا في شيخوخته في الوقت الذي تكلم الله عنه ، ودعا ابراهيم اسم ابنه المولود اسحق .^(١)

١٠- ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمرح ، فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن الجارية لا يرث مع ابني فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم .^(٢)

١١- وكانت حياة سارة مئة وسبعا وعشرين سنة ، وماتت سارة في قرية اربع التي هي حبرون .^(٣) والذي أراه كما تحدثت التوراة عن ابراهيمين كذلك تحدثت عن امرأتين اسمهما سارة ، ولعل تبديل اسم ساراي الى سارة وتزامنه مع تبديل ابرام الى ابراهيم له الأثر ، ومما قرأت ألاحظ مايلي :

أ - سارة شخصية مؤمنة بالله قوية الايمان ، تهاجر مع زوجها من مكان الى آخر ، تعيش معه على شظف العيش ، وهنأته ، وتشاركه أفراحه ، أحزانه ، وتزوجه حينما تعلم عقمها ، هذه هي الشخصية الحقيقية لسارة .

ب - شخصية ساراي لاتهمم الا بمصلحتها فهي المرأة القوية المتجبرة ، المرأة الناعمة التي تقبل أن تعيش مع زوجها ، وفرعون وأبي مالك ضاربة بالشرف عرض الحائط ، شخصية حقودة ، تغار من ضربتها الى أبعد حدود الغيرة دون أن تحرك فيها الأمومة أي دافع حب نحو اسماعيل ، فتأمر ابراهيم بطرده وأمه .

(١) تكوين الاصحاح الحادي والعشرون .

(٢) تكوين الاصحاح الحادي والعشرون .

(٣) تكوين الاصحاح الثالث والعشرون .

واختلف المؤرخون الاخباريون في شخصية سارة اختلافا كبيرا .^(١)

(١) قال الطبري كعاداته :

أ - سارة بنت ناحور ابنة أخي ابراهيم وهذا مايرفضه الشرع اطلاقا ولم تستطع التوراة أن تثبت من يتزوج بابنة أخيه .

ب - سارة بنت هيئال ولم يكشف النقاب عن هيئال هذا والذي أعتقده أن هيئال من كلمتين هاب وايل ومعناه هاب الاله ولم يشر أحد الى هذه الشخصية ولم يبين لنا أصولها . ولعلهم عادوا الى كلمة هاييل بن آدم وخلافه مع قاييل وقتل قاييل له ورأوا فيه مثال الضعف والمسكنة أمام القوة المتجبرة .

ج - سارة بنت هاران الأكبر وهو عم ابراهيم ولعل تشابه هاران وحران له الأثر في ذلك .

د - سارة بنت هاران الأصغر وهو أخو ابراهيم وهذا مايرفضه الشرع .

هـ - سارة بنت ملك حران وكانت مؤمنة مستورة بايمانها ترفض دعوى قومها قبل أن يأتي ابراهيم الى حران ، ولما أتى لقت دعوته بالقبول ، وتزوجت منه وشرطت عليه ألا يغيرها .

وأرفض هذه القصة ، لأنني رفضت الرحلة بجملتها ، وقد قررت أنها من شمال الحجاز ، لأن ابراهيم لم يمر بحران أو حوران كمايقول الآخرون . وربما كانت سارة ابنة إحدى القبائل العربية المتجولة في شمال الحجاز ولجد رآها ابراهيم ، فأعجبته ، وخطبها ، فتزوجته ، وأمنت به .

و - سماها صاحب التفسير الكبير سارة بنت ازرب بن ناحور وفي هذا تكون أخته بنت أبيه ، ولعل والدها غير والده ، وإنما تشابه الأسماء لأنه لم يشر الى أنها أخته ، ويستبعد صاحب التفسير أن تكون أخته .

ز - قالت التوراة " وفي الحقيقة هي أختي بنت أبي غير أنها ليست ابنة أُمِّي ، فصارت لي زوجة ، وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي ، قلت لها " هذا معروفك الذي تصنعين الي في كل مكان ، نأتي اليه قولني عني هو أخي " ، وقد رد كافة المفسرين المسلمين هذا الرأي لأنه لايجوز الزواج بالأخت في الشرائع كافة .

ح - المؤرخ اليهودي يوسيفوس ذكر سارة وعدد رواياته :

←

من خلال هذا الركام الهائل عن سارة ، والاختلاف فيها ، فاني أستطيع أن أحدد الآراء عنها بمايلي :

١- فتاة من عشيرته نجهل درجة القرابة ، ولأأخذ برأي تابعي التوراة ، أخذاً برأي الامام الكبير الفخر الرازي (وأعلم أن شيئا من هذه الروايات لم يدل

← ١- أخت غير شقيقة لابراهيم .

٢- بنت أخيه هاران الأصغر .

٣- بنت عمه هاران الأكبر .

كيف تكون ابنة أخيه هاران الأصغر وهي كمانقول التوراة أصغر منه بعشر سنوات وهاران أصغر من ابراهيم فهل ساراي بحمر أبيها ؟

ط - أما ابن الأثير فقد نقل عن كتاب المبدأ لاسحق بن بشر الكاهلي تزوج ابراهيم سارة بنت هاران يعنون ابنة أخيه وكانت سارة عاقرا لالتدل وينفي صاحب البداية والنهاية وجود ازور مع ولده ابراهيم في رحلته الى حران بينما يثبتها في مكان آخر ويقول معلقا وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفارا سوى ابراهيم الخليل وامرأته ، وابن أخيه لوط عليهم السلام ، وكان الخليل هو الذي أزال الله به تلك الشرور وأبطل به ذلك الضلال .

ي - يقول ابن الأثير في كتابه الكامل قال السدي انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام ، فلقي ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران ، وقد طعنن على قومها في دينهم ، فتزوجها على ألا يغيرها . رواه ابن جرير وهو غريب والمشهور أنها ابنة عمه واليه تنسب حران ، ومن زعم أنها ابنة أخيه هاران فقد أبعد النجعة ، وقال بلا علم . وادعى أن تزويج ابنة الأخ اذ ذلك مشروعا ، فليس له على ذلك دليل ولو فرضنا أن هذا كان مشروعا في وقت ما ، كما هو منقول عن الربانيين من اليهود ، فان الأنبياء لا تمتعاه .

وفي هذا رد جيد على من تبع التوراة دون أي مناقشة كأنها وحي منزل ، أو صك لآياتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ويعجبني دائما ، في المؤرخ الروح الناقدة ، وقد مر في تاريخنا الكثير .

عليه القرآن ، ولم يثبت أيضا في خبر صحيح ، وتفسير كتاب الله لا يتوقف على شيء من هذه الروايات ، فأليق بالعاقل أن يحترز من ذكرها^(١) .

٢- فتاة لا يمت لها بصلة قرابة ، وقد تكون من عشيرة مجاورة تربطها مع عشيرته أواصر حلف ومودة .

والذي أستطيع أن أقول أن سارة فتاة جميلة تزوجت ابراهيم قبل أن ييسر قومه ، وأمنت بدعوته ، وهاجرت معه كماهاجر لوط . أما ما كتبه المؤرخون فهو سير في ركاب التوراة ، لأن التوراة كتبت بعد مرور ألف وأربعمائة عام على ابراهيم ، ولا شيء يثبت ما تقوله التوراة ، ولا يمكن أن تكون من حران المدينة العامرة لتعيش متنقلة من مكان الى آخر دون أن تبدي تدمرا من حياتها ، والذي نعرفه أن ابراهيم عاش في صحراء النقب ، وشمال الحجاز وصولا الى مكة المكرمة ، ومن هنا تبدو لنا سارة ابنة عشيرته تنتقل من مكان الى آخر متعودة على حياة التنقل والترحل .

٩- بابل .

يعود تاريخ بابل الى قيام الدولة البابلية الأولى ، فهي مدينة مفرقة في القدم يعود تاريخها الى ألف الثالث ق . م . مدينة تقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات قريبة من الكوفة ، وكربلاء في الوقت الحالي ، ربما كانت قرية كبيرة قبل أن تصبح عاصمة الدولة البابلية الأولى ثم حكمها الآشوريون ، فالكلدانيون الدولة البابلية الثانية . لعبت هذه المدينة دورا كبيرا في التاريخ القديم ، وقد أسست حضارة كبيرة ، وامبراطورية ضخمة ، وقد تفنن الكتاب

(١) التفسير الكبير الامام فخر الدين الرازي ج ١٨ ص ١٠٨ .

في وصف جمال بابل وحداثتها المعلقة ، حتى اعتبرت الحداث المعلقة احدى عجائب الدنيا السبع ، ومن ثم كمل جمالها ببناء الصرح فامعنى بابل ؟

أرى أن الكلمة مؤلفة من كلمتين باب + ايل ، ومعناها باب الله وايل في كافة اللهجات السامية تعني الله ، ولأزلنا نحفظ بهذه التسمية ببلا/باب ايل/ باب الله في دمشق وباب الله في حلب وكتاهما ضاحية .

أما اليهود فلم يروا في بابل الا مدينة الظلم ، المدينة التي أذلتهم ، ومرغتهم في الوصول سبعين سنة في الأسر المدينة التي هدمت هيكلهم ، وقلمت من جبروتهم ، وداستهم . ومن الغريب أن كتاب التوراة فسروا كلمة بابل تفسيراً بعيداً عن الصواب ، وكانت الأرض كلها لسانا واحداً ، ولغة واحدة ، وحدث في ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار ، وسكنوا هناك ، وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لبنا ، ونشويه شياً ، فكان بهم اللبن ، وكان الحجر وكان لهم الحمر ، فكان الطين ، وقالوا هلم نبني لأنفسنا مدينة ، وبرجا رأسه بالسماء ، ونضع لأنفسنا اسماً فلا تنبدد على وجه الأرض ، فينزل الرب لينظر المدينة ، والبرج الذي كان بنو آدم يبنيهما ، وقال الرب هو ذا شعب واحد ، ولسان واحد لجمعهم ، وهذا ابتداءهم بالعمل ، والآن لا يمتنع عليهم كل مايتوون عمله ، هلم ننزل ، ونبلبل هناك لسانهم ، حتى لا يسمع بعضهم بعض ، فيددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض ، فكفوا عن بانيان المدينة لذلك دعي اسمها بابل لأن الرب بلبل لسانهم^(١) .

ونستطيع أن نأخذ من رأي التوراة هذا مايلي :

١- بابل أقدم مدينة في العالم ، فهي تعرف الطوفان ، وكانت ألسنة

(١) الاصحاح الحادي عشر من سفر التكوين ٩-١ .

الناس واحدة ، فهم يتكلمون لغة واحدة .

٢- بني البرج لظهار عظمة سكان بابل ، فالبرج من قبل الطوفان .

٣- انهم أول من استعمل الطين المشوي للبناء .

٤- لم بين البرج "صرح غرور" مخاربة الله كما تزعم قصة ابراهيم .

٥- تبليبل الألسنة كان فيها ، واقتراق الناس الى عدة لغات .

٦- شراح التوراة وكتابتها كأنهم لم يعرفوا اللغة العبرية ، ولا عرفوا معناها ، ولهذا وقعوا في خطأ بابل وبلبل .

وقد تنبه الى هذا المعنى المغلوط لاسم بابل المؤرخ الناقد ابن خلدون في كتابه التاريخ (وكانت الببليلة ، وهي المشهورة ، وقد وقع ذكرها في التوراة ، ولأدري معناها ، والقول أن الناس أجمعين كانوا على ألفة واحدة فباتوا ، ثم أصبحوا ، وقد افتقرت لغاتهم قول بعيد في العادة الا أن يكون من خوارق الأنبياء ، فهو معجزة حينئذ ، ولم ينقلوه كذلك^(٢) .

ويبقى ابن خلدون في رأيه الصائب حول نسبة بابل الى تبليبل الألسنة ، وتخطئه التوراة وشراحها . ويبقى موقفه موقف العالم المدقق حينما يقول لأدري معنى كلمة بابل ، والسؤال الذي أطرحه لكتاب التوراة ما اسم بابل قبل أن تبليبل الألسنة ؟ مرت كلمة بابل في القرآن الكريم ، ولم يشرح عنها شيئا ، وإنما مرت شهرتها بالسحر (يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرق بين المرء وزوجه وما هما بضارين به من أحد الا باذن

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٦٨ .

الله ويتعلمون مايضركم ولاينفعكم وقد علموا لمن إشتراه ماله في الآخرة من خلاق وليس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون^(٣) .

رأى انيهود في بابل عدوا خطرا أشد خطورة من مصر ، فقد اضطهدهم فرعون مصر ، ومضى اضطهاده ، ولم يبق منه الاذكرى . أما بابل التي سلطها الله عليهم ، فقد عاملتهم بقسوة ، ولاسيما بعد أن خانوها مرات ومرات ، وتآمروا ضدها ، ورموها في كتبهم بكل سيئة ، ويجب أن يحقق بها كل الشرور ، هذه المدينة التي جعلت منهم أناسا مشتبين في بقاع مختلفة من الأرض ، فلتتصرف بكل سيئة ، ومن هنا رأوا يجب أن تكون الهجرة من بابل من الظلم الى أرض فلسطين حيث الأحلام تداعبهم في إقامة دولتهم من جديد ، فلماذا لايسمونها أرض الميعاد ؟ ولماذا وهم يكتبون توراتهم لايدخلون فيها مايلائمهم ؟ ويعتبرون ابراهيم الخليل فر من الظلم كما هم يتمنون الفرار من بابل ، ولماذا لاياخذونه بطريقهم التي ساروا فيها ؟ وينتقل معهم بكل خطوة ، وهم أحرار في أن يسجلوا ماشاؤا من توراتهم دون وازع أو رقيب .

يقول العقاد : "اتفق شراح العهد القديم على تعدد النسخ التي جمعت منها كتبه الخمسة بصفة خاصة وأهم هذه النسخ هي نسخة ابراهيم ، ونسخة يهوه ، أو نسخة المسجلين ، ولا داعي في هذا الصدد لاضافة النسخة المسماة نسخة التثنية ، ومن هذه النسخ ماكتب على أيام المملكة الاسرائيلية ، ومنها ماكتب في المنفى بين النهرين ، ومنها ماكتب قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون ، وأقدمها عهدا بينها وبين عصر الخليل مايبلغ ألف سنة ، وقد اجتهد الكهنة في تكملة الأجزاء التي بين أيديهم ، فقابلوا بين الأخبار المتعددة وتحاموا بعضها

(٣) البقرة الآية ١٠٢ .

البعض" (١) .

ويؤيد هذا الرأي قول كتاب التوراة ذاته عن السفر الذي رآه حلقي الكاهن ، والذي كان مطمورا بالفضة في بيت المقدس ، وجد في عهد يوشيا بعد ثمان عشرة سنة من حكمه ، وهي تقارب الثلاثمائة وخمسين سنة بعد وفاة سليمان . وإذا ما عرفنا حكم سليمان كان في نهاية القرن العاشر معني ذلك كان السفر في القرن السابع ق .م وفي هذا تقول التوراة "فقال حلقي الكاهن العظيم لشافان الكاتب ، قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب ، وسلم حلقي السفر لشافان ، وقرأه ، وجاء شافان الكاتب الى الملك ، ورد على الملك جوابا ، وقال قد أفرغ عبيدك الفضة الموجودة في البيت ، ودفعوها الى يد عاملي الشغل وكلاء بيت الرب ، وأخبر شافان الملك قائلا قد أعطاني حلقي الكاهن سفرا ، وقرأه شافان أمام الملك ، فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه ، وأمر الملك حلقي الكاهن ، وأخيقام بن شافان ، وعكبور بن فيحا وشافان ، وعسايا عبد الملك قائلا "أذهبوا اسألوا الرب لأجلي ، ولأجل الشعب ، ولأجل كل يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذي وجد لأنه عظيم هو غضب الرب الذي اشتعل علينا من أجل أن أبائنا ، لم يسمعوا لكلام هذا السفر ، ليعملوا حسب كل ما هو مكتوب علينا" (٢) .

والسؤال الذي يطرح أين كان سفر الشريعة هذا ؟ هل كتبه حلقي ؟ وأظهره ، وفي هذا الوقت لأنهم قد ابتعدوا عن حكم التوراة أو لأنهم نسوها ؟ ومما يدل على عدم معرفتهم بها ، قول الملك : "لأنه عظيم هو غضب الرب الذي اشتعل علينا من أجل أن أبائنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر" لهذا أقول

(١) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ٥٣ .

(٢) سفر الملوك الثاني الاصحاح الثاني والعشرون .

كتبت التوراة كما شاءت أهواؤهم أن يكتبوها ، ولهذا وضعوا ابراهيم في العراق ، وهجروه منها الى كنعان ، وسموها له أرض الميعاد ، وقطعوا في توراتهم عهدا لابراهيم أن أرض كنعان ارث لهم ، ولهم وحدهم مبعدين بأية وسيلة أي ولد من أبناء ابراهيم الخليل . رأوا في بابل حالتهم فأسقطوها على ابراهيم ، ومن هنا صوروا ما يحلو لهم أن يصوروا ، فصنعوا النمرود ، وجعلوه بليختنصر وبنو الصرح ، وجعلوه لتحدي الاله العلي ، وصوروا كل ماجاء به خيالهم ، وبنيت الأسطورة فكانت تلفيقا في تلفيق وأسمع العقاد حيث يتحدث ويلخص هذه الأسطورة وخلاصتها . ان النمرود هذا أراد أن يتحدى اله ابراهيم فبنى له برجاً عاليا ، وصعد عليه ليناجز الله في سمائه ، ثم طفق يرمي بالسهم حتى عاد اليه سهم منها ، وقد اصطبغ بالنجيع الأحمر ، فخيّل اليه أنه أصاب مرماه ، ولكنه لم يلبث أن سقط هو وقومه ونهضوا من سقطتهم ، وهم يتصايحون بكلام لا يفهمونه لأن السماء أرسلت عليهم سهاماً من الصواعق ، زلزلت البرج أو قوصت أركانه ، فتركتهم في الحال حائرين ، لا يدرون ما يفعلون ، وما يقولون ، ولا يفقه لسامع منهم ما يقال له ، أو يفعله في حيرتهم ، قال الرواة سميت المدينة موضع البرج بابل من تبليبل الألسنة والأفكار^(٣) .

فما قصة الصرح هذه :

هل بني الصرح لمحاربة الاله كما قال اليهود وأشياعهم ؟ أم بني لغاية جمالية كما يبنى الأبراج في المدن الكبرى في الوقت الحالي ؟ . وذكر الصرح في القرآن الكريم لكنه اقترن بفرعون ، ولم يقترن بالنمرود ، وقد ذكر هذا

(٣) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ٦٩ .

الصرح لمحاربة الله (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عنه السبيل وما كيد فرعون الا في ثياب)^(١) . كما أن هذه الآيات قد تكررت في موضع آخر ، وأكدت أن فرعون هو الذي طالب ببناء الصرح ، ولأندري ان كان الصرح قد تم بناؤه أم لا . (وقال فرعون أيها المملأ ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلني أطلع الى اله موسى واني لأظنه من الكاذبين)^(٢) . ووصف برج بابل من قبل كثير من المؤرخين وحسبي أن أسوق الوصف من مؤرخ حديث يهودي (ول ديورانت) .

"كان أول ما يشاهده القادم الى المدينة صرحا شامخا كالجبل يعلوه برج عظيم مدرج من سبع طبقات جدرانه من القرميد الأحمر المنقوش البراق ، يرتفع ٦٥٠ قدما ، فوقه ضريح يحتوي على مائدة كبيرة من الذهب"^(٣) . ويتابع ول ديورانت آراء أجداده اليهود ، ولا يستطيع أن يتحرر منها ، وهو اليهودي العريق ، فلا يمحس آراءهم وأقوالهم ، ولأدري كيف غابت عنه هذه الخرافة فاقتنع بها ، وهو الكاتب الكبير الذي جمع تاريخ العالم وقصة الحضارة بأجزائه المتعددة ، ظل سائرا في طريقهم متبعا نهجهم فذكر قصة بلبله الألسن وتسمية بابل لذلك . "وأكبر الظن أن هذا الصرح الشامخ كان أعلى من أهرام مصر وأعلى من جميع مباني العصور ، الا أحدثها عهدا هو برج بابل الذي ورد ذكره في القصص العبري الذي أراد به أهل الأرض ممن لا يعرفون يهوه أن

(١) غافر آية ٣٦-٣٧ .

(٢) قصص آية ٣٨ .

(٣) قصة الحضارة ج ٢ ص ١٩٧ .

يظهروا كبرياءهم به ، فبلبل رب الجيوش ألسنتهم^(٤) . والغريب كيف تابع ول ديورانت هذا الرأي دون تمحيص ، وهو المؤرخ الواسع الاطلاع أهو التقييد باغلال الدين أم هو التعصب لبني جلدته ؟ وكاتب التاريخ اليهودي في التوراة خلط خلطا هائلا في كتابته فقد قرر أكثر كتاب اليهود أن ابراهيم ولد في اور الكلدانية والحرق تم بها ، وبناء الصرح للنمروذ تم بها ثم نراهم يصغون الصرح ويقررونه أنه كان يبابل ، ولست الوحيد الذي انتبه الى خلط كتاب التاريخ اليهودي ، واساطيرهم بل ان كثيرين من المفكرين قد وصلوا لذلك الخلط ، وعرفوه ، ونبهوا اليهم ، وفي هذا الصدد يقول العالم الألماني الدكتور مورتكارت : "لا يمكن الاعتماد من الناحية العلمية على أساطير التوراة اذ برهنت الأبحاث الأثرية على عدم صحة أكثر تلك الأساطير التي وردت فيها ، كما توجد أبحاث تبرهن عكس هذه الأساطير"^(٥) . ويضيف اكستائين أعلم علماء المسيحية في القرن الرابع "ان اليهود حرفوا النسخة العبرانية من التوراة ، وخاصة ، ماورد في بيان زمان الذين ما قبل الطوفان الى زمن موسى . . فعلوا هذا لتصير النسخة اليونانية غير معتبرة"^(٦) .

كما نبه صاحب تمة المختصر في التاريخ الى وجود ثلاث نسخ للتوراة يختلف بعضها عن بعض ، ويضارب بعضها بعضا ، وخلافاتها جوهريا ، وقد أشار أكثر من مرة الى خلافات التوراة نسخها .

أما الكاتب الحديث الأستاذ مصطفى محمود فقد قال : "ومعلوم أن النسخ الثلاثة الأصلية المعتمدة من التوراة ، وهي النسخ العبرانية ، واليونانية ،

(٤) قصة الحضارة ج ٢ ص ١٩٧ .

(٥) العرب واليهود في التاريخ ج ١ ص ٢٧٤ د . أحمد سوسة .

(٦) التوراة ص ١٠٥ مصطفى محمود .

والسامرية . . وبها خلافاً جوهرياً^(١) . ويقول في مكان آخر : "اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذلك نسخ كتاب العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بتخنصر ، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ، ضاعت تلك النقول أيضاً في حادثة انتيوكس"^(٢) .

١٠ - رحلته الى مصر .

مصر هذه الكلمة لغويا تعني البلد ، والقول المشهور أنهم مصروا الأمصار ، فالأمصار جمع مصر ، وكلمة مصر تطلق على كل مدينة في الأرض دون استثناء^(٣) .

(١) التوراة ص ١٠٥ مصطفى محمود .

(٢) التوراة ص ١١٠ مصطفى محمود .

(٣) قال صاحب اللسان في مادة مصر "الجوهري مصر هي المدينة المعروفة تذكر وتؤنث وعن ابن السراج والمصر واحد الأمصار ، والمصر الكورة ، والجمع أمصار ، ومصروا الموضع جعلوه مصرا ، وتمصر المكان صار مصرا ، ومصر مدينة بعينها سميت ذلك لتمصرها ، وقد زعموا أن الذي بناها اثما هو المصر بن نوح عليه السلام . قال ابن سيده : ولأدري كيف ذاك ، وهي تصرف ، ولا تصرف . قال سيبويه في قوله تعالى "اهبطوا مصرا" قال بلغنا أنه يريد مصر بعينها . التهذيب في قوله اهبطوا مصرا قال أبو اسحق الأكثر في القراءة اثبات الألف قال وفيه وجهان جائزان ، يراد بها مصر من الأمصار لأنهم كانوا في تيه ، قال وجائز أن يكون المراد مصر بعينها ، فجعل مصرا اسما للبلد فصرف لأنه مذكر ، ومن قرأ مصر بغير ألف أراد مصر بعينها ، كما قال ادخلوا مصر ان شاء الله ، ولم يصرف لأنه اسم المدينة ، فهو مذكر سمي به مؤنث ، وقال الليث المصر في كلام العرب كل كوره ، تقام فيها الحدود ، ويقسم فيها الفياء والصدقات من غير مؤامرة للخليفة . وكان عمر ←

وقد أوردت التوراة رحلة ابراهيم الى مصر ، فأبي مصر المقصودة هنا ؟
أهي مصر المعروفة أم هي مصر أخرى ؟ وقد وردت على النحو التالي :

"وحدث جوع في الأرض فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك ، لأن الجوع في الأرض كان شديدا ، وحدث لما قرب أن يدخل مصر ، قال لساراي امرأته "اني علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون اذا رأك المصريون ، أنهم يقولون هذه امرأته ، فيقتلونني ، ويستبقونك . قولي انك أختي ، ليكون لي خير بسببك وتحمي نفسي من أجلك". فحدث لما دخل ابرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة ، ورآها رؤساء فرعون ، ومدحوها لدى فرعون ، فأخذت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحميم وعبيد واماء واتن وجمال . فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة

← رضي الله عنه مصر الأمصار بما فيها البصرة والكوفة . وقال الجوهري فلان مصر الأمصار كما يقال مدن المدن . وقوله : (وأدمت خبزي من صبير من حير مصرين أو البحين) أراد انما عني مصر هذه المشهورة ، فاضطرب اليها فجمعها ، على حد ستين . قال ان سيدة وانما قلت أنه أراد مصر ، لأن هذه الصير قلما يوجد الا بها ، وليس من مآكل العرب .

وقد رواه بعضهم من صير مصريين ، كأنه أراد المصريين فحذف اللام والميم ، والمصريان الكوفة والبصرة قال ابن الاعرابي قيل لهما المصريان لأن عمر رضي الله عنه قال : لا تجعلوا البحر فيما بيني وبينكم ، مصروها أي صيروها مصرا بين البحر وبينني . أي حد والمصر الحاجز بين الشيتين وفي حديث مواقيت الحج لما فتح هذان المصران . والمصر البلد ويريد بهما البصرة والكوفة .
ملاحظة :

وقد وردت أسماء مصريين ج مصر في عدة أماكن فمعان مصريم وردت في الآثار (معان) ومصريم جمع مصر بزيادة الياء والميم . كما وردت في سورية بلدة اسمها معرة مصريين وهي جمع مصر العربية وهو جمع مذكر سالم .

بسبب امرأة ابرام ، فدعا ابرام ، وقال ماهذا الذي صنعت بي لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ، لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها ، لتكون زوجتي ، والآن هو ذا امرأتك خذها ، واذهب ، فأوصى عليه فرعون رجالا فشيوعوه وامرأته وكل ماكان له" (١) .

هذه القصة وردت في التوراة ثلاث مرات بالمضمون ذاته ، لكنها تختلف في شخصياتها ، هذا التناقض الرهيب والمفضوح الذي جعلنا نشك في ماكتب في التوراة ، وأن أقف مع الناقدين .

"بل هناك محل للتحفظ الشديد في قبول الرواية الاسرائيلية لأنها امتزجت بسياسة الملك والتنازع عليه ، وكل دعوى للملكة الاسرائيلية في الزمن القديم قائمة على الأسلوب الذي كتبت به سيرة الخليل في أيامه الأخيرة على التخصص" (٢) .

ولهذا ماعلى القارىء الا أن يلغي من أفكاره كل خلفية مسبقة عن صحة الأقوال ، ويناقشها بشكل موضوعي ، وهادىء ، ليرى التناقض الذي وقع به كتاب التوراة وشرحها .

وردت القصة عن سارة أيضا "وانتقل ابراهيم من هناك الى أرض الجنوب ، وسكن بين قادش وشور ، وتغرب في جرار ، وقال ابراهيم عن سارة امرأته "هي أختي" فأرسل أبي مالك ملك جرار ، وأخذ سارة ، ف جاء الله الى أبي مالك في حلم الليل ، وقال له "ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها ، فانها متزوجة" ، ولكن لم يكن أبي مالك قد اقترب اليها ، فقال ياسيد أمة باره

(١) التكوين الاصحاح التاسع عشر .

(٢) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ١٨

تقتل ؟ ألم يقل لي هو أنها أختي ؟ وهي أيضا نفسها قالت هو أخي ؟ بسلامة قلبي ، ونقاوة يدي ، فعلت هذا ، "وأنا أيضا أمسكتك عن أن تخطيء الي ، لذلك لم أدعك تمسها ، فالآن رد امرأة الرجل ، فانه نبي فيصلي لأجلك فتحيا ، وان كنت لست تردها فاعلم أنك موتا تموت أنت وكل من لك" . فبكر أبي مالك في الغد ، ودعا عبيده ، وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم ، فخاف الرجال جدا ، ثم دعا أبي مالك ابراهيم ، وقال له : "ماذا رأيت حتى عملت هذا ؟" . فقال ابراهيم : "اني قلت ليس في هذا الموضوع خوف الله البتة ، فيقتلونني ، لأجل امرأتي ، وبالْحَقِيقَةُ هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أُمِّي ، فصارت لي زوجة وحدث لما أتاها نبي الله عن بيت أبي ، اني قلت لها هذا معروفك الذي تصنعين الي في كل مكان تأتي اليه قولي عني هو أخي . فأخذ أبي مالك غنما وبقرًا وعبيدا واماء ، وأعطاهما لابراهيم ورد اليه سارة امرأته ، وقال أبي مالك هو ذا أرضي قدامك اسكن في ماحسن في عينيك ، وقال لسارة اني قد أعطيت أخاك ألفا من الفضة هاهو لك غطاء عين من جهة كل ماعندك وعند كل واحد فأُنصفت . فصلى ابراهيم الى الله ، فشفى الله أبي مالك وامرأته وجواريه ، فولدن لأن الرب كان قد أغلق رحم البيت أبي مالك بسبب سارة امرأة ابراهيم" (٣٧) .

وردت هذه القصة مع أبي مالك وليس مع فرعون والاسم هنا سارة ، ولم يتغير اسم سارة الا بعد أن وافت فوق الثمانين من العمر ، ولن أناقش القصة الآن ، وإنما سأناقش ذلك بعد ورود القصة الثالثة . "وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي في أيام ابراهيم ، فذهب اسحق الى أبي مالك ملك فلسطين الى جرار ، وظهر له الرب ، وقال لانتزل الى مصر اسكن في الأرض التي أقول

(٣) سفر التكوين الاصحاح العشرون .

لك تغرب في هذه الأرض ، فأكون معك ، وأباركك لأنني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد ، وافي بالقسم الذي أقسمت لابراهيم أبيك وأكثر نسلك كنجوم السماء ، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد ، وتبارك في نسلك جميع أم الأرض من أجل أن ابراهيم سمع لقولي ، وحفظ ما يحفظ لي أوامري وفرائضي وشرائعي . فأقام اسحق في جرار . وسأله أهل المكان عن امرأته ، فقال "هي أختي" لأنه خاف أن يقول "امرأتي" لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة ، لأنها كانت حسنة المنظر ، وحدث اذ طالت الأيام هناك أن أبي مالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ، ونظر واذا اسحق يلعب رفقة امرأته ، فدعى أبي مالك اسحق ، وقال انما هي امرأتك ، فكيف قلت لي هي أختي ؟ فقال له اسحق : لأنني قلت لعلي أموت بسببها . فقال أبي مالك ما هذا الذي صنعت بنا لولا قليل لأضطجع أحد الشعب مع امرأتك ؟ فجلبت علينا ذنبا . فأوصى أبي مالك جميع الشعب قائلا الذي يمس هذا الرجل أو امرأته يموت موتاً^(٤) .

قصص ثلاث بعضها يؤدي الى بعض وبعضها يناقض بعضها فالحقصة الأولى تشير الى حوادثها عصر وبطلها فرعون وتشير الحادثة الى أن سارة نامت عند فرعون أياما عديدة وغنم ابراهيم من وراء ذلك ابلا وغنما . . وضرب الرب ضربات من أجل سارة حتى أعادها اليه .

والقصة الثانية تقول ابراهيم وسارة ولم تقل بهذين الاسمين الا بعد عمر مديد ، وكانا شيخين ورغم ذلك أوردت التوراة هذه القصة في سهل جرار في جنوب كنعان غير أن هذه القصة تبدو أخف وقعا من الأولى فهنا أبي مالك لم ينل سارة وانما أتاه الله في المنام .

(٤) سفر التكوين الاصحاح السادس والعشرون .

ولكنني أتساءل لماذا أغلق الله كل رحم في بيت أبي مالك بسبب سارة ؟
فهل أغلقت الأرحام في هذه الأيام التي أتت سارة ؟ أم من قبل ؟ وثم فتحه الله
بعد مضي سارة ؟ ولم تبت طويلا عند أبي مالك ثم ماذنب أبي مالك
فيما حدث ؟ .

وأتساءل أيضا كيف قال ابراهيم انها بالحقيقة أخته من أبيه ، وليست من
أمه ، فهل الأسرة عند اليهود حين سجلوا توراتهم أسرة أم أم أسرة أب ؟ وفي
هذا دليل واضح على اسقاط شريعة اليهود على ابراهيم ، فهم يعتبرون الأم هي
الأصل ولا يعتبرون الشخص يهوديا الا اذا كانت أمه يهودية ثم كيف سمحوا
لابراهيم أن يتزوج أخته ، ولو كانت لأبيه علما أن الشريعة اليهودية ، لا تسمح
بذلك علما أن الاسلام نفى نسبة اليهودية الى ابراهيم بقوله تعالى (ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) .

واني لأتساءل من جديد هل تجوز الأخت غير الشقيقة في شريعة
اليهود ؟ .

هذه أسئلة لا بد منها لكل من يقرأ التوراة ، وقبل أن أجيب أحب أن أتابع
آراء من كتبوا .

أ - مواقف علماء اليهودية ساروا على نهج التوراة دون أن يحدوا عنها
قيد أمثلة ينقل لنا هذا الرأي عباس العقاد : "ثم يسترسل كاتب التعليقات فيقول
أن بعض العبريين قد وصل في هجرة بعضهم الى أرض جاثان مصر ، ويرجح
أن دخولهم لأول مرة كان في عهد الرعاة ، أو الهكسوس بين القرن الثامن
عشر والسابع عشر قبل الميلاد على وجه التقريب" (١) .

(١) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ٩٨ .

كاتب تعليقات ابنجدون قرر بشكل تام الرحلة الى مصر ، واعترف بها ، ودافع عنها ، ومن ثم حدد زمنها .

أما ولیم نیکلسون في الموسوعة فقد أقر حادثة سارة ، واعتبر كاتب التوراة كان واقعيا وصادقا وقرر صدق هذه الواقعة ، ولم يدافع عنها ، فقال ولیم نیکلسون في الموسوعة تحت مادة ابرام "ان ملك ابرام هو أحد المواقف التي تميل الى اسدال الستار عليها في سيرة هذا الرجل الجليل ، لقد كان عملا لايوائيم مقام تلك الشخصية العظيمة ، ولاجرم ففي وجه الشمس سفحات وهذا دليل على صدق تاريخ الكتاب ، وأن مؤرخيه لم يستروا نقصا في أحسن الناس" (٢٧) .

ب - علماء المسلمين وموقفهم من هذه القصة .

قسم علماء المسلمين ومفسروهم الى جبهتين كبيرتين :

١- الجبهة الأولى : سارت وراء ركاب التوراة وشراحها ، وأخذت منهم مايلائم ، ومايلائم ، فنقلت نقل الغبي دون أن تفكر فيما تقول فسارت على غير هدى .

٢- الجبهة الثانية سارت بهدى وعقل ونقلت ولكنها نبهت الى الخطر وعرفت به .

وبين هذين الاتجاهين وجد الكثير من هذه الآراء ، وأحب أن أسوق بعض الأمثلة لهذه المواقف .

قال صاحب كتاب التفسير والمفسرون "تنقسم الأخبار الاسرائيلية الى

(٢) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ٩٨ .

أقسام ثلاثة وهي كما يأتي :

أ - ما يعلم صحته بأن نقل عن النبي /ص/ نقلا صحيحا وذلك كيقين اسم صاحب موسى /ع/ بأنه الخضر فقد جاء هذا الاسم صريحا على لسان رسول الله /ص/ عند البخاري . أو كان له شاهد من الشرع يؤيده وهذا القسم صحيح مقبول .

ب - القسم الثاني ما يعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا ، اذ كان لا يتفق مع العقل ، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته .

ج - ما هو مسكوت عنه ، لاهو من قبيل الأول ، ولا هو من قبيل الثاني ، وهذا القسم نتوقف فيه ، فلانؤمن به ، ولانكذبه ولا تجوز حكايته لما تقدم من قوله /ص/ "لاتصدقوا أهل الكتاب ولانكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبما أنزل إلينا" (٣) .

وسنناقش الموقفين بعد أن نورد رأي الذين ساروا في ركاب التوراة أولا ، ورأي الذين وقعوا وحققوا ثانيا .

١- ذكر الطبري هذه القصة في تاريخه المشهور ، تاريخ الرسل والملوك كما هي في التوراة عند فرعون ، وقد ذكر الطبري كما هو عادته عدة أسماء لفرعون ابراهيم . ولم يرجع على قصة أبي مالك وسارة ، ويقول الطبري أن سارة أجمل نساء عصرها ، ولهذا خاف ابراهيم على نفسه ، فقال انها أختي .

وأغرق الطبري في الخيال ، فقد كشف الله بصيرة ابراهيم ، ليرى ما يصنع فرعون ، فكان كلما مد يده يست ، ويطلب فرعون من سارة أن

(٣) التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٧١ .

تدعو الله يشفيه ، ويتوب ، وفعل ذلك سبع مرات ، فارتد فرعون عنها ، ولم
يمسها ، وأعادها الى ابراهيم بعدما عرف الحقيقة ، وأهداها كثيرا من الهدايا ،
ومنها هاجر^(١) .

(١) انظر الطبري ج ١ ص ٢٣٣ وما بعدها :

أ - اسم فرعون عنده :

١ - الضحاك الظالم .

٢ - سنان بن علوان .

٣ - ملك العماليق .

ب - ابن الأثير في كتابه الكامل قال ان الضحاك وهو من اليمن وأنه أول الفراعنة
وكان ملك مصر لما قدمها ابراهيم .

ج - ابن العبري ذكر القصة كما رواها الطبري وحدد عمر ابراهيم في الخامسة
والثمانين وذكر اهداء هاجر . وعلى هذا فسارة عمرها خمسا وسبعين سنة .

د - طبارة أشار الى رحلة مصر وأخذ سارة ولكنه لم يسم فرعون .

هـ - أما صاحب البداية والنهاية فقد قال "ذكرت بعض التواريخ أن فرعون مصر أخو
الضحاك الملك المشهور بالظلم ، وكان عاملا لأخيه على مصر ، وكان يقال له سنان
بن علوان" وذكر ابن هشام في التيجان أن الذي أرادها عمرو ابن امرئ القيس بن
بابلون بن سبأ .

و - وقال صاحب كتاب النبوة والأنبياء : أن فرعون أخذ سارة حينما قال ابراهيم :
انها أخته ، ودافع صاحب الكتاب عن عفاف سارة ، ومن ثم عادت الى ابراهيم نقية
بعد أن أهداه هاجر ورد الله كيد الكافر في نحره . ويضيف الصابوني بعد هذا قولاً
لأبي هريرة فتلك أمكم يابني ماء السماء فعصمها الله وصانها اكراما لخليله .

ح - ويعلق صاحب قصص القرآن على فرعون مصر ، فيقول انه من العماليق ، ولم
يقبل من الهكسوس "ومن ثم زينت سارة ، وزفت الى فرعون" وخلط بين قصة أبي
مالك ، وفرعون ، فأطلق سراحها بعد أن رأى في المنام ، مارأى وأهداها كثيرا .

ط - أما ابن اياس الحنفي فقد سمى فرعون طوطيس ، ولعله حرف اسم ←

اما الدين خالفوا رأي التوراة فهم كثر نذكر منهم الأستاذ عبد الحميد جودة السحار^(٢) .

أورد القصة نقلا عن يوسفوس اليهودي واختلاف في القصة عن التوراة اختلافا واسعا ، فقد تصور أن الفلسطينيين استنجدوا بمصر للقضاء على ابراهيم ، وجيشه خاصة بعد أن انتصر على امراة ، وخافوا من انتصاره عليهم ، فجهاز فرعون جيشا ، وغزا ابراهيم ، واستاق فرعون أسرى ومن جملةهم سارة زوجة ابراهيم ، وذهب ابراهيم الى مصر لفدائها سنة

← نحوتمس ، وانحنى في تحفة من غرائب خيالية ، فوضع ابراهيم سارة في صندوق خوفا عليها من فرعون ، وكشفت سارة ، فأخذها المصريون الى فرعون ، والبقية معروفة .

ي - يخالف العلامة الجرداني رأي التوراة في سبب الرحلة الى مصر ، فبين أن القصد التجارة وليس الجوع ويصف سارة بأنها كانت ذات حسن وجمال حتي لم يكن في زمنها أجمل منها ، زقد سار مع ابن اياس الحنفي في قضية الصندوق ، وأخذها الملك قهرا ، ويكشف الله عن بصيرة ابراهيم ، ووجهه جارية تسمى هاجر ، وأعاد له سارة .

يا - السحار قال أنه سار بن الأشل بن عبيد ملك الهكسوس ، ويحدد الهكسوس بأنهم من العرب الرعاة ، حكموا مصر قبل ابراهيم ، وهذا يعني أن الهكسوس ، لا ينتمون الى البرين واليهود بصفة ويتابع السحار جولة ابراهيم التوحيدية في مصر حتى يشملها جميعها وذلك في عهد الهكسوس . وعلى هذا فيكون دخول الهكسوس قبل القرن العشرين ق م .

يب - النوري صاحب كتاب نهاية الأرب ، أورد حكاه مصر في زمن ابراهيم ، كانوا من العماليق وهم غير الفراعنة الأصليين ، وأطلق عليهم أسماء عربية خالصة ، وقد ظل العماليق يحكمون مصر حتى مابعد موسى في القرن الثالث عشر .

(٢) محمد رسول الله والذين معه ص ١١٣ .

١٧٥٠ ق.م ، ولما رأى الملك كرامة سارة على الله ، أهدها هاجر زوجة فرعون مصر المخلوع ، وأكرم ابراهيم بعد أن دعاه الى الله^(١) . وأحب أن أنبه

- (١) هذه القصة أشبه بقصة قبيز حينما خطب ابنة فرعون فزوجه فرعون الحاكم من امرأة فرعون المخلوع . ولي على هذه القصة مايلي :
- أ - كان سكان كنعان يستنجدون بابراهيم وينجدهم وهذا ما روثه التوراة في حادثة ابراهيم وملك سدوم وعمورة .
- ب - لماذا أهدي فرعون هاجر زوجة فرعون المخلوع ؟
- ج - لم يبين السحار كيف حصلت كرامة سارة .
- د - لم تعرف رسالة التوحيد طريقها الى مصر الا في زمن أخناتون ولم يكن أخناتون في زمن ابراهيم .

ودعوة ابراهيم التوحيدية في مصر ما عرفنا لها سنداً تاريخياً . وقد قال واعتمدت كذلك على يوسفوس عندما ذكرت أن سارة أخذت أسيرة الى مصر وتركت ماورد في التوراة من أنه حدثت مجاعة في الأرض فأنحدر ابراهيم الى مصر ، اني علمت أنك امرأة حسنة الوجه . وقد أهملت هذه الرواية عن عمد لأنها لا تتفق مع خلق ابراهيم خليل الرحمن الذي وقف في وجه الجبارين ولم يرهب الطغاة ، الرجل الذي القي به في النار وهو ثابت الجنان ، فكيف يمثل هذا رجل كابراهيم يعرف أن الله معه فيبرز مكانة زوجته ويدخلها على فرعون مصر لينال خيراً بسببها .

هـ - أما الفخر الرازي فانه ينفي الحادثة أصلاً ولا يرى في ذلك الا قدحاً في النبوة والأنبياء وقد رد رداً كبيراً على مدعي هذه الدعوى وقال أن من يقبل بهذه القصص يكون كمن لاعقل له ولا منطق .

و - وبه ابن كثير في تفسيره الى وجوب الاحتياط حينما نسمع هذه القصص ويقول هذا الكلام من وهم الاسرائيليات لأصل له في القرآن ولا في السنة .

ز - وينفي الألوسي صاحب معاني القرآن هذه القصة نفياً تاماً ويرى أنها قدح ←

هنا الى حديث ورد في صحيح البخاري وبعض السنن أيضا ولأدري كيف تسرب الى هذه الكتب ، ولم يناقشه هؤلاء جميعا ، ولم يعترضوا عليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله /ص/ أن ابراهيم لم يكذب سوى ثلاث كذبات اثنتين منهما في آية الله عز وجل اني سقيم ، وقوله بل فعله كبيرهم هذا . وقال بينما هو ذات يوم وسارة اذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقليل له ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل اليه ، فسأل عنها فقال من هذه ، فقال أختي ، فأتى سارة قال ياسارة ليس لي على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وان هذا سألني ، فأخبرته أنك أختي ، فلاتكذبيني ، فأرسل اليها ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده ، فأخذ فقال ادعي الله ، ولأضرك فدعت الله ، فأطلق ثم تناولها ثانية ، فأخذ مثلها أو أشد ، فقال ادعي الله لي ، ولأضرك ، فدعت فأطلق فدعا بعض خدمه فقال انكم لم تأتونني بانسان ، انما أتيتموني بشيطان ، فاخدمها هاجر فأنته ، وهو قائم يصلي ، فاوما بيده مهيه . قالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر .

قال أبو هريرة تلك أمكم يابني ماء السماء^(١) .

وهناك حديث آخر عن أبي هريرة قال أتني النبي /ص/ يوما بلحم ، فقال : ان الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم

← في النبوة .

ح - أما ابن خلدون فقد أبعد وقرع الحادثة مع ابراهيم عليه السلام بل مع أي بشر آخر .

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤١ .

الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس منهم فذكر هوية الشافعة ، فيأتون ابراهيم ، فيقولون أنت نبي الله ، وخليله في الأرض اشفع لنا الى ربك فيقول ، فذكر كذباته نفسي نفسي (٢) .

ويقول في هذا الكاتب الأستاذ محمود السحار : ان هذه الأحاديث آحاد ، لا يؤخذ بها لأن فيها قدح في النبوة . ويقول : "وعندي ان هذه الأحاديث من الأحاديث التي افترت على رسول الله محمد /ص/ أكيس من أن يتهم ابراهيم بالكذب ، ولا يقبل به المنطق السليم صدور مثل هذا الحديث عن محمد /ص/ الذي يدعو المسلمون في صلواتهم أن يصلي الله على محمد كما يصلي على ابراهيم ، ويستمر الحديث مطابقا كما جاء في التوراة .

وأرى أن بعض من أسلم من اليهود ، وقد اختلق هذا الحديث ، وهو يجد أنه يؤدي خدمة للإسلام ولرسول المسلمين . فقد كان في ذلك الوقت مسلمون كثيرون غير ابراهيم وسارة فقد جاء في القرآن (فأمن له لوط) وكان إيمانه قبل أن يذهبوا الى الشام ، وقبل أن يدخلوا مصر .

وكل ما جاء في القرآن الكريم عن ابراهيم ينفي امكان وقوع مثل هذه السقطة التي ترفع عنها أناس ، لاهم رسل ، ولاهم أحياء الله كما أن الكذب صفة مذمومة لا يمكن نسبتها الى الأنبياء .

كان ابراهيم أسوة حسنة ، وأنه لمن الكذب أن تنسب اليه مثل هذه السقطة ، وما يدل على كذبها أنها ذكرت مرة أخرى في التوراة بألفاظها ، عندما انتقل من سدوم الى أرض الجنوب ، وسكن بين قادش وشور ، وتغرب في جرار عند أبي مالك (٣) .

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤١ .

(٣) السحار محمد رسول الله والذين معه ج ١ ص ٣٥١ وما بعدها وكذلك ج ٢ تدليل .

وقد رد الامام الفخر الرازي على هذا الحديث وفند الكذبات الثلاثة .

١- اني سقيم .

٢- بل فعله كبيرهم^(٤) .

وقال أيضا "واعلم أن شيئا من هذه الروايات لم يدل عليه القرآن ، ولم يثبت أيضا في خبر صحيح وتفسير ، كتاب الله لا يتوقف على شيء من هذه الروايات فالأولى بالعاقل أن يحترز من ذكرها واعلم أن بعض الحشوية روي عن النبي /ص/ أنه قال : ما كذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات . فقلت الأولى : أن لا تقبل مثل هذه الأخبار ، فقال : على طريق الاستنكار ، فان لم نقبل لزمننا تكذيب الرواة . فقلنا له يامسكين ان قبلناه لزمننا الحكم بتكذيب ابراهيم عليه السلام ، وان رددناه لزمننا الحكم بتكذيب الرواة . ولا شك أن صون ابراهيم عن الكذب أولى من صون طائفة من الجاهيل عن الكذب^(٥) .

ومن أراد تفصيل رد الامام الرازي فعليه مراجعة التفسير وعصمة الأنبياء أما أنا فأرد الحديث لعدة نقاط . هناك خلاف بين الحديث والتوراة في المكان واسم الملك مما يدل أن ناقل الحديث ذكي حتى لا يقال أنه نقل من التوراة . أما النقاط التي أخذها على الحديث :

١- حرم الكذب على المسلمين نهائيا فقد ورد في الحديث : هل المسلم يزني ؟ قال قدهل يسرق ؟ قال قدهل يشرب الخمر ؟ قال قدهل يقتل ؟ قال

(٤) ارجع الى فصل قصة ابراهيم في هذا الكتاب ولا حاجة الى العودة من جديد لنقلها وانظر الى عصمة الأنبياء للامام الفخر الرازي .

(٥) التفسير الكبير ج ١٨ ص ١١٩ .

قد هل يكذب ؟ قال لا . فالكاذب ينفي صفة الاسلام عن الانسان فكيف عن الرسول .

٢- يرد الحديث ان كان يدعو الى شرك أو يرمي الرسل وهذا الحديث يرد من هذا الباب .

٣- عرفنا في ابراهيم رجل حق ، لا يخاف الا الله وقد تعرض للحرق ، ولم يبال ، وقد حول الله النار الى برد وسلام فكيف يخاف ابراهيم من أي جبار آخر وقد جرب الله ورآه معه ؟

٤- لا يمكن لانسان عادي أن يسلم امرأته الى أي جبار كان في الأرض ، وإذا ماأخذت رغما عنه ، فله تصرف آخر ، فقد ترك المصّر الذي قدم اليه .
٥- عرف ابراهيم أن ملك مصر يأخذ الزوجات ، فكيف لم يحول وجهه نظره ، وينصرف عن هذا المصّر .

٦- قد يحتج محتج أن الجوع دفع ابراهيم للنزول الى مصر ، وليحدث له ما يحدث أقول أن من كان يؤمن ايمان ابراهيم ، لا يمكن أن يقع في هذه المشكلة ، ويتحمل ما يقع .

هو القائل في القرآن الكريم (قال أفرأيتم ماتعبدون أنتم وآباؤكم الأولون ، فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقتني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميني ثم يميني)^(١) .

ليس هذا المؤمن هو الذي يندفع وراء طعام لاذلال نفسه بالكذب تارة ، وبتسليم زوجته تارة أخرى ، وقد يقول قائل ان الله عصمها من فرعون ،

(١) سورة الشعراء الآية ٦٠ - ٦٧ .

ولكنني أقول أن التوراة لاتقول هذا ، وتقول وضرب الرب فرعون وبيته ضربات من أجل سارة ، ويعني ذلك أنه قد قام بالعمل المحظور .

٧- ورد في الحديث عن الرسول /ص/: "أنه لايشم ديوث رائحة الجنة وان ريحها لتشم من سبعين خريفا قالوا ومن الديوث يارسول الله قال من يرضى أن تشيع الفاحشة في أهله" .

وهل أكبر من أن يسلم الانسان زوجته الى رجل آخر ، ويأخذ من وراء ذلك خيرا كثيرا .

بعد هذه النقاط التي أوردتها أقول أن الرحلة كلها لم تتم ، ولايمكن أن تتم في هذا الشكل ، فابراهيم ليس الراعي الذي يهتم بديناه فقط دون الاهتمام بآخرته .

مصر

أين تقع مصر ؟

سؤال مهم وواضح ، وقد يستغرب بعض الناس هذا السؤال . هناك مصر أخرى غير مصر هذه . لقد رأينا في تفسير مصر أن هذه الكلمة تعني كل مدينة ، أو إقليم يقام فيها الحدود دون الرجوع الى السلطات ، وتجمع مصر في اللغة العربية على أمصار كما تجمع في اللغات السامية مصريين أو مصريم وبعد تنقيب طويل في طيات الكتب وصفحاتها وجدت مايلي :

١- هناك مصر هبة النيل ، وهي المعروفة ، والمشهورة وأغلب الظن أن هذه ليست هي المطلوبة للنقاط التالية :

أ- خرج بنو اسرائيل من مصر بعد أن أغرق الله فرعون ثم عبدوا العجل ، وأخذتهم الصاعقة وأنزل الله لهم المن والسلوى ، فرفضوه ، لنسمع الى هذه الآية الشريفة .

(واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادعوا لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون

النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون^(١) .

ولا يعقل أن يهبطوا مصر بعد أن خرجوا منها ، فهناك اذن ، مصر أخرى ، أو قل أي مدينة يمكن أن تسمى مصر .

٢- قالت التوراة في سفر التكوين الاصحاح الخامس عشر (في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير (نهر الفرات) ولو كانت مصر هبة النيل لذكر النهر الكبير نهر النيل ، وإنما اغفال الاسم وتصغيره أمام نهر الفرات فهي اذن ، مصر غير المعروفة لدينا .

٣- وقالت التوراة في السفر ذاته الاصحاح الثالث عشر (فصعد ابرام من مصر هو وامراته ، وكل كما كان له ولوط معه الى الجنوب ، وكان ابرام غنيا جدا في المواشي ، والفضة والذهب ، وسار في رحلاته من الجنوب الى بيت ايل) . ولو كانت مصر المعروفة لأشار الى قطعه وعبوره من صحراء سيناء ومصر هي غرب صحراء سيناء ، وسيناء جنوب فلسطين فالى أين اتجه جنوبا بعد ذلك ؟ .

٤- وقالت التوراة في السفر ذاته (وحدث جوع في الأرض فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديدا) ، ومصر ليست أقل ارتفاع عن سطح أرض فلسطين ، أو من أرض عربيه التي تحيط بها الجبال حتى ينحدر اليها .

٥- وردت كلمة معان مصرم معان مصرية في التنقيبات ، ومعان بعيدة عن مصر المعروفة .

(١) البقرة الآية ٦١ .

هذه النقاط الخمس تجعلنا نفكر في أية مصر المقصودة في التوراة ، والتي جرت فيها الحوادث ، ولنسمع رأي المؤرخين ضارين الصفح عن آراء الاخباريين العرب لأنهم تابعوا التوراة دون أن يعلقوا عليها أدنى تعليق .

الدكتور أحمد سوسة في كتابه العرب واليهود في التاريخ (والغاية الأساسية التي كان يرمي اليها مدونو التوراة من وراء ربط اليهود بمصر ابراهيم ، وتأكيدا على ذلك مرارا في سفر التكوين هي ارجاع تاريخ بقايا بيت يهوذا ، وعزوا نسبهم الى ابراهيم الخليل مباشرة واعتبار ابراهيم الخليل الذي كانت قد انتشرت شهرته في الآفاق في تلك الأزمان لنبي عظيم رئيسهم الأعلى قبل أن يظهروا الى عالم الوجود ، وهذا يفسر لنا كيفية شيوع التقليد الذي تؤكد الكتب اليهودية قديما وحديثا ، ان ابراهيم الخليل غادر العراق ، ومعه اليهود الى فلسطين في حين أن اليهود ظهروا بعد موسى أي بعد ابراهيم الخليل بأكثر من ألف عام ، وقد قبلت الأجيال ذلك من غير تمحيص للتسلسل الزمني ، وملاحظة العصور حسب تواريخها^(٢) . ومن هذه النقطة أرادوا أن يستثمروا كل ماجاء في التوراة التي سجلت بعد مرور حوادثها بأكثر من ألف عام ، فزيغوا ما ارتأوا ، وغيروا ما ارتأوا ، وسجلوا ما ارتأوا ، ولأقول هذا القول وحدي بل ان هناك كثير من المؤرخين عرفوا هذا الرأي ، وقال به .

ويتضح مما تقدم أن التوراة قد كتبت بعد ابراهيم الخليل بألفوئلاثمئة عام ، وبعد عهد موسى بأكثر من سبعة قرون ، وهي بالطبع غير التوراة التي نزلت على موسى ، ويؤكد لودز ذلك بقوله : "اننا لانستطيع أن نزيد صحة رجوع تاريخ أي قسم من الأسفار الخمسة ، وحتى الوصايا العشر الى زمن موسى ،

(٢) العرب واليهود في التاريخ ج ١ ص ٢٤٢ .

لأن ماورد من روايات في هذه الأسفار ، قد يقرض أكثر من بقية أخبار التوراة الى تكرار واعادة تصنيف ، والى تغيير وتوسيع مستمرين على مر العصور ، ويعترف العالم اليهودي سيلفر بأن التوراة الحالية لاتمثل توراة موسى الأصلية في أية ناحية ، وحتى الوصايا العشر التي يكاد العلماء يجمعون أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصلية ، لم تكن في شكلها ومضمونها الحاليين ، كذلك التي أتى بها موسى^(١) .

وانني أتساءل هل دعا موسى للديانة اليهودية أم للتوحيد دون ايراد الاسم على لسانه ، ثم ربطوا هذه الديانة باسم يهوذا أحد الأسباط الاسرائيلين ، وانني لاحظت في القرآن الكريم لهجتين مختلفتين في التعامل مع اليهود فهو حينما يحتقرهم يناديهم باليهود "قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم . " وحينما يريد الله أن يمن عليهم ، ينادي /بني اسرائيل/ ومن هنا انطلق الى القول "أن الله سبحانه وتعالى ، أراد أن يميز بين بني اسرائيل الذين أنعم الله عليهم حينما كانوا متبعين موسى وشريعته ، ثم لماغيروا ديانتهم ، وصارت اليهودية ، وهي الدين المحرف عن شريعة موسى ذمهم الله سبحانه ، وتعالى ، والى هذا أشار الكاتب الكبير حسن حدة في كتابه "التوراة" .

والأرجح أن مدوني التوراة تعمدوا أن يتركوا المجال مفتوحا أمام كتابهم لارجاع تاريخ من تبقى من بقايا بيت يهوذا بعد السبي البابلي الى أزمنة قديمة ، لم تعدلهم بها أية صلة ، فخلطوا بين أدوار تفصل بينها عدة قرون ، وربطوا أحيانا بين عصور ، تعتبر متباعدة تمام التباعد وعدوها عصرا واحدا ومما يذكر أنهم ربطوا الخليل بفلسطين في حادثة ملك جرار أي مالك ، ولم يعرف

(١) العرب واليهود في التاريخ ج ١ ص ٢٧٤

الفلسطينيون الا في القرن الثاني عشر قبل الميلاد .بينما عهد ابراهيم الخليل لاحظنا أنه في القرن العشرين أو التاسع عشر ، وكذلك ربطوا ابنه اسحق بالحادثة نفسها ، وأرى أن سبب هذا هو تدوين التوراة في الأسر ، فقد تباعد بهم الزمن ، ونسوا من كان موجودا في تاريخ ابراهيم ، فطبقوا ماوجد في تاريخهم ، ففي سهل جرار يسكن الفلسطينيون ، فسجلوا الحادثة على أنها مع ملك جرار الفلسطيني . ولن أتابع هذا الخلط التاريخي ، فهو أكثر من أن أتابعه في هذا المحل الضيق ، ولكني أقول مقال الدكتور سوسة "نقول لقد أن الآوان للباحثين أن يتحرروا من التقيد بمدونات التوراة في بحث تاريخ فلسطين القديم ، وعليهم أن يتوغلوا في أحداث الاكتشافات للنصوص القديمة التي سبقت عصر التوراة بعشرات من القرون ، فمهدت السبيل للتمييز بين الغث والسمين واقتفاء التواريخ حسب تسلسلها الزمني^(٢) .

ومن خلال بحثي رأيت أن كلمة مصر الواردة في التوراة ، قد أثارت جدلا كبيرا لاسيما بعد أن وجدت اللوحات التي سجل عليها معان المصرية أو معان مصريين .

١- ان أسماء الفراعنة التي وردت في التاريخ وعند الاخباريين العرب والذين قورنت حوادثهم مع التوراة كلها أسماء عربية صرفة .

أ - سنان بن علوان بن عبيد بن عملاق بن لاوذ بن سام .

ب - عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبأ .

ج - مصعب بن الوليد .

(٢) العرب واليهود في التاريخ ج ١ ص ٣٤٧ .

د الوليد بن مصعب .

هـ - الوليد بن مصعب بن الريان .

و - الوليد بن الريان .

هذه الأسماء عربية خالصة ، لا يتطرق اليها الشك لامن بعيد ولامن قريب . وقد ورد في القرآن الكريم ما يفيد في ذلك فوزير فرعون هامان وهامان على وزن فعلان كبير الهامه . وهذه الكلمة ليست هيروغليفيه . (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب) .

فمن أين أتت هذه الأسماء العربية ؟

أهي اختلاف من المؤرخين العرب ؟

لم أن الأخباريين العرب عربوا الأسماء فأرادوا لنا النسب الاسماعيلي الابراهيمي عربا وأرادوا الأسماء التي دارت حولها الحوادث عربية . ان هذه النقطة التي أثيرها هي الدلالة على أن مصر المقصودة هي غير مصر الافريقية .

٢- لم يرد في مصر اسم النيل وهذه التوراة شاهد على ذلك ، ولا أعتقد أن أي زاهب الى مصر ، لا يسمع بالنيل ، أو يتكلم عنه ، وقد أوردت التوراة من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات فهل نهر الفرات أكبر من النيل هذه نقطة ثانية تنير البحث أمامنا .

٣- أثارت الكشف والرقم التي تحدثت عن معين /معان/ المصرية جدلا كبيرا لدى شراح التوراة . "كانت معان المجاورة للبتراء مستعمرة خطيرة ، ومركزا تجاريا في أرض مدين شرقي سيناء واسمها في النقوش معان مصرين / مصران/ فإسم هذه المستعمرة الرسمي كان معان مصرين ، ثم قامت دولة

سبأ ، فانتقلت هذه المستعمرة الى حوزتها /٦٤٠/ ق.م ، والواقع أن اسمها القديم جاء في معان المصرية القسم الجنوبي من مدينة معان اليوم^(١) . والمعروف أن معان هي في جنوب الأردن فهل معان وحدها هي مصرية ؟ أم أن لها اقليما يعرف بمصر ؟ وهذا ماقصده التوراة ، ذكرت الرقم التي كشفت في معان اسم الملك أب يدع يشع ، واسم ابنه وقه آل ريم ، والتسمية للاسمين عربية .

ويقول في هذا الصدد الدكتور جواد علي في كتابه المفصل "وذكر اسم الملك ايدع يشع واسم ابنه وقه آل ريم ، وصاحب هذه الكتابة هو من العشيرة التي ينتمي اليها صاحب الكتابة ، وكان كبيرا كذلك تولى ادارة المقاطعة معين مصران"^(٢) . هذه الرقم والكشوف التاريخية بعدها جعلت الناس ينتبهون الى أخطاء التوراة الكبيرة ، فأثارت جدلا شديدا حتى بين علماء التوراة أنفسهم . ويشير الدكتور جواد علي الى كتابة مدونة "وقد دوت هذه الكتابة بمناسبة نجاة قافلة كبيرة ضخمة من غزو تعرضت بين موقع معين أو مادان ، وبين موضع ركمت ، وقد أمر بتدوين هذه الكتابة عميصدق ذو ينفن ، وسعد بن مالك ذو خفكن ، وكانا كبيرين على مصر ، وعلى معن مصريين لأنها ألجأت القافلة فأخذتها من الوقع في أيدي الغزاة"^(٣) .

وعلى هذا الأساس ثارت مناقشات حامية بين علماء التوراة ، واختلفوا في مصر ، وأوردوا خلافاتهم . ويحضرني في هذا المجال ماكتبه الدكتور كمال صليبي في مجلة الشراع تعليقا حول كتابه التوراة من أصل صحراوي .

الوادي المقدس طوى موجود اليوم واسمه وادي بقرة حيث يوجد بلدة

(١) تاريخ العرب المطول فيليب حتي ج ١ ص ٧٠ .

(٢) جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٩٤ .

(٣) جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٨٨ .

اسمها طوى ، فوق الوادي (وادي بقرة) يرتفع جبل هادي ، وعلى سفح الجبل ، وفوق بلدة طوى يوجد بلدة اسمها حارب ، ومن هذا التسلسل الجغرافي ، وحسب روايتي القرآن الكريم والتوراة تبين لي أن الوصي جاء موسى في وادي بقرة وعلى سفح جبل هادي . .

وفي منطقة عسير هناك قرى اسمها مصر ، وقرية اسمها مصراما ، وهي بين أبها وخميس مشيط والتوراة تتحدث عن خروج بني اسرائيل من أرض مصراما ، وإذا تابعنا خروج بني اسرائيل فجد أن هذه الأماكن موجودة بين مصراما ونجران ، ووادي الدواسر يعني أن تيه النبي موسى لم يكن في سيناء التي نعرفها اليوم ، وإنما تاه بنو اسرائيل تحت قيادة النبي موسى بين جبل عسير ، ووادي نجران ووادي الدواسر .

ثم رجوعا كما تقول التوراة الى وادي بقرة ، ومن هناك قطعوا الى جهة الطائف ثم نزلوا بوادي أضمر حتى وصلوا الى المنطقة التي هي بالنسبة اليهم أرض الميعاد .

التوراة لاتسمي النهر النيل لكنها تذكر مجرى مياه مصراما ، وهو على رأس جبل يصب في البحر الأحمر ، اسمه اليوم وادي عتوة ، بالعبرية يسمونه نحل مطريم ، أما الفرات فهو اليوم وادي أضمر الى الجنوب الغربي من الطائف ، وجنوب مكة ، وفي وادي أضمر هناك ثلاث قرى اثنتان اسمها فرات ووادة اسمها فرت ، والتوراة تقول ان الحدود الشمالية لأرض الميعاد هي وادي فرات ، أو فرت . وبين وادي أضمر ووادي عتوة .

وإذا عدنا الى القرآن ، نجد أنه يروي القصة (النبي ابراهيم) على أنها حدثت في الحجاز ، وشهادة القرآن صحيح تماما . علماء الغرب يقولون ان القرآن أخذ القصة عن التوراة ، وذكر أنها في الجزيرة العربية ، وهذا غير

صحيح لأن القصة حدثت فعلا في الجزيرة العربية ، وفي الماضي لم تكن معروفة بهذا الاسم . مجلة الشراع ص ٥٨ .

غير أنني لأستطيع الجزم بهذه المعلومات والاقرار بها ولكنني أقول حبذا لو بحثنا متجردين عن الهوى والعصبية لنصل الى الحقيقة .

وقد أثارت معين المصرية جدلا شديدا بين العلماء ، ولاسيما علماء التوراة ، فذهب بعضهم الى أن مصر الواردة في التوراة ليست مصر المعروفة التي يرويها النيل ، بل أريد بها معين مصران ، وهو موضع تمثله معان في الأردن في الزمن الحاضر ، وان لفظه برعو في التوراة أيضا لقب للملك مصر والتي تقابلها لفظة فرعون في عربيتنا لايراد منها فراعنة مصر ، بل حكام معين المصرية ، وان عبارة هاجارهم مصريت بمعنى هاجر المصرية لاتعني هاجر من مصر المعروفة ، بل من مصر العربية أي من هذه المقاطعة التي تتحدث عنها معين مصران ، وان القصص الواردة في التوراة عن مصر وعن عهد فرعون هو قصص يخص هذه المقاطعة العربية ، وملكها العربي . وقالت هذه الجمهرة أن ماورد في النصوص الآشورية من ذكر مصر ، لايعني أيضا مصر المعروفة بل مصر العربية ، وان ماجاء في نص تفلات فلاصر الثالث الذي يرد عهده الى حوالي ٧٣٤/ق.م ، أنه عين عريبا واسمه ادب ايل حاكما على مصر ، لايعني أنه عينه حاكما على مصر الافريقية المعروفة ، بل على هذه المقاطعة العربية التي تقع شمالا . ويرى ويكلر أن سعيه الذي عينه تفلات فلاصر / ٧٢٥/ق.م على مصر ، والذي عينه سرجون قائد على هذه المقاطعة ، انما عين على أرض مصر العربية ، ولم يعين على مصر الافريقية وقد ورد في أخبار سرجون من أن من جملة من دفع اليه الجزية فرعون ملك أرض مصرى ، وورد ذكر فرعون هذا في ثورة اشدور والتي قامت ٧١١ق.م ، وقد ورد ذكر

مصرى في أخبار سنحريب ملك آشور وكان ملك مصرى ، وملك مالونخه قد قاما بمساعدة اليهود ضد سنحريب عام ٧٠٠ ق م ، وقد انتصر سنحريب ويرى ونيكلر أن كل سألورد في النصوص الآشورية عن مصرى مثل /شرافي مت مصرى/ ملوك أرض مصر إنما قصد به هذه المقاطعة العربية . ويشير هذا الرأي مشكلات خطيرة لقائله ولعلماء التوراة فرأى شرادر ونيكلر واضرايهما المذكور يتعارض بطرحه مع الرأي الشائع عند اليهود والتوراة والتلمود والمشنا والكتب اليهودية الأخرى في هذا الموضوع ويتعارض مع أهل الأديان الأخرى الموضوع ذاته^(١) .

ويؤيد هذا الرأي الدكتور كمال صليبي في أن مصراتي وردت في التوراة غير مصر المعروفة حاليا كما أن هاجر هامليست ترجمة هاجر وإنما هي ترجمة الجهرمية المصرية .

ولأرى أن هذا الرأي يتعارض مع الدين الاسلامي في شيء فقد وردت قصة موسى في مصر ، وبعد خروجه من مصر مع بني اسرائيل ، وانزال الله المن والسلوى لهم(قالوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض . فاحبطوا مصرا فان لكم ما سألتكم) . هذا على احدى القراءات كما جاء في لسان العرب لأن هذه القراءة صرفت مصر ، وصرفها لا يدل على اسم عام ، والا لأمتعت من الصرف .

هذه الآية بينت لنا أن هناك مصرا غير مصر النيل . ولن يتعارض هذا مع رأي المسلمين الا اذا اعتبرنا المسلمين الذين يسرون على التوراة . وقد ناقشنا المواقف من آراء اليهود وأقسامها الثلاثة ، وقد تنبه الى هذا مؤرخون ،

(١) جواد علي المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ١٢١ .

ومفسرون ، نذكر منهم ابن خلدون العلامة حيث قال في مقدمته : "وقد جمع المتقدمون في ذلك ، وأوعوا الا أن كتبهم ومنقولاتهم ، تشتمل الغث والسمين والمقبول والمردود ، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب" (١) .

ومن هؤلاء الذين نقل عنهم المفسرون والمؤرخون ، كعب الأحبار ، ووهب بن منة ، وعبد الله بن سلام ، وعبد العزيز بن جريج . وكعب الأحبار هو رأس القائمة وقد دس هذا كثيرا بين المسلمين ، ونقلوا عنه كثيرا فمن كعب الأحبار .

"كان كعب بن مانع الحميري الذي شهر باسم كعب الأحبار من علماء اليهود في اليمن ، وأسلم في زمن أبي بكر ، وعاش في المدينة زمنا ثم خرج الى الشام بعد مقتل عمر ، فأقام بحمص ، ومات فيها ومنهم وهب بن منة من يهود اليمن ، وكان من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى الى اليمن ، ثم أسلم ، وتوفي في عهد الدولة الأموية . وكلاهما كثير الرواية ، والنقل عن الكتب الاسرائيلية ، ويظن بهما أنهما وضعوا كثيرا مما رواه" (٢) .

أوردت هذه الآراء لكتاب مختلفين ، لارد على رأي الدكتور جواد علي ، ويتعارض مع الأدیان الأخرى في الموضوع ذاته ، ومن هنا ننطلق لنسأل السؤال التالي :

هل يعقوب وأبناؤه هم الهيكسوس أم لاعلاقة لهؤلاء بأولئك ؟ .

سؤال لم تشر اليه التوراة ولاقطع به المؤرخون في يوم من الأيام ، يقول الأستاذ دروزه :

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٠ .

(٢) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ١٢٨ .

"أن الهيكسوس أصبحوا أصحاب السلطان في أرض الدلتا حوالي / ١٧٣٠ ق.م. ، وطردوا من مصر / ١٥٨٠ ق.م. بعد استيلائهم على مصر حوالي بداية القرن التاسع عشر ق.م. ، ولم يدخلوا البلاد دفعة واحدة ، بل جماعات متفرقة واحدة بعد أخرى" (٣) .

أما يوسفوس المؤرخ اليهودي ومانيتون ، فقد اعتبر الهيكسوس هم اليهود ، وهذا رأي خاطيء حتى لو افترضنا أن الهيكسوس هم أبناء يعقوب ، وهذا مجرد افتراض فانهم لم يكونوا يهودا . وإنما جاءت اليهودية بعد مئات من السنوات ، والناحية المهمة أن الهيكسوس ليسوا من نسل يعقوب .

(٣) تاريخ موجات الجنس العربي مصر والسودان دروزه ص ١١٩ .
ويرى السحار أن الهيكسوس حكموا مصر قبل مجيء ابراهيم اليها ، وأن أسر سارة كان من قبل الهيكسوس ، وأنهم أطاخوا بفراعنة مصر ، وكان آخر فرعون مصري زوج هاجر التي أسرت ، وأهداها فرعون الهيكسوس سنن بن الأشل بن عبيد ، وهو أول ملك من الهيكسوس ، وهو أسر سارة أيضا . كما يرى صاحب كتاب نهاية الأرب أن العمالة حكموا مصر قبل مجيء ابراهيم بزمن ، وظلوا حتى قبل موسى ، وكان خروجهم اليها مع موسى ، وأحب أن أنه الى نقطة هنا تختلف عمايجول في خاطرننا ، فلو كانت اليهود من الهيكسوس ، لكانوا عمالقة وهذا الاسم أطلقه مؤرخو العرب على من حكم مصر من الهيكسوس ، ويرى المؤرخون العرب أن العمالقة لم يحكموا مصر فقط ، وإنما حكموا بلاد الشام والعراق والحجاز ، وهنا يرد اسم العماليق في يثرب باسم عييل ، ووراء اسم العماليق في فلسطين ، اذ قال بنو اسرائيل لموسى "قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلانا ههنا قاعدون" ولعل اسم ايلا الواردة في آثار سورية ليست الا عيلا العربية العماليق الذين حكموا في تلك الفترة الشرق العربي كله ، وان اختلفت التسمية من صقع لآخر (الكنعانيون والهيكسوس وعييل) .

"ولقد نزل بنا صاعقة من غضب الله فتجراً قوم من أصل وضيع في الشرق على غزو بلادنا وكان مجيئهم أمراً مفاجئاً ، ولقد تسلطوا علينا بدون صعوبة وحروب . وبعد أن تغلبوا على الرؤساء أحرقوا المدن بوحشية" . هذا الوصف لماحصل بمصر من جراء دخول الهيكسوس إليها ، ولم نر مايشابه ذلك من دخول يعقوب وأبنائه الى مصر ، بل ان يوسف حسب ماقرأنا منع الجوع عنها حينما دخل عليها ، واستطاع بحكمته أن يخزن الحبوب لعدة سنوات ، وهنا فارق كبير بين الجماعتين ممايقوي الظن أن هؤلاء ليسوا أولئك . أما ملوك الهيكسوس ، فأسماءهم تختلف عن أسماء الفراعنة الواردة عند العرب في قصة ابراهيم الخليل ع . بالاضافة الى أنه تاريخ الهيكسوس بعد زمن الخليل ع .

"ثم نصبوا واحدا منهم اسمه /سالات/(سالانيوس) ملكا ، فاتخذ مدينة منف مقرا ، وضرب الضرائب على الوجه القبلي والبحري ، وترك له حامية في الأماكن الصالحة للدفاع ، وجدد بناء مدينة على الجبهة الشرقية من فرع بو بسيطه وحصنها ، ووضع فيها حامية عددها (٢٧٠٠٠) مقاتل لحماية حدوده حكمه (١٩) سنة ثم خلفه بنون فحكمه ٤٤ سنة ثم ، اياخماس فحكمه ٣٦ سنة ، ثم ايوفيس فحكمه ٦١ سنة ، ثم بناس فحكمه ٥٠ سنة ، ثم امسيس فحكمه ٤٩ سنة ، وكان هؤلاء الملوك الستة الذين يعتبرون حكامهم الأول يطعمون في محو الشعب المصري ، وكان شعب هؤلاء الغزاة يسمى هيكسوس ، ومعنى الاسم ملك الرعاة لأن كلمة هك في اللغة المقدسة معناها ملك ، أما كلمة سوس فمعناها في اللهجة الدارجة راعي ، أو رعاة ، وفي عهد ملك يدعى نفر احمس هزموا ، وطردوا من كل مصر ، وحوصروا في مكان يدعى اواره التي قيل أن الهيكسوس جددوها ، وحصنوها ، وأقاموا حاميتهم الكبيرة فيها"^(١) .

(١) دروزة تاريخ موجات الجنس العربي ص ١١٩ .

والمتبادر لنا أن صيغة الأسماء يونانية لأن رواية مانيتون وصلت بطريق الكتاب اليوناني^(٢). غير أن حصار احمس لم يجد نفعا، ولم يستسلموا كما هو متوقع، ولهذا عقد معهم صلحا، وقرروا الجلاء عن مصر، ليذهبوا حيث يشاءون دون تضيق.

يدأوا بالانسحاب، ومروا في صحراء سيناء مارين بسهل جرار، وكان آنذاك بنو اسرائيل مع موسى حول سيناء فاصطدمت القوتان في سنة ١٢٢٥ ق.م، وقد أورد هذا على لوحة سجلها الملك منفتاح وقد وردت العبارة التالية: "لقد غلب الملوك وقالوا سلاما، وضربت، وهدأت أرض الحثيين، وانتهت كنعان، وحلت بها كل الشرور، وضربت اسرائيل، ولم يعد لأبنائها وجود، وأضحت فلسطين أرملة لمصر، وضحت كل البلاد وهدأت وكل من كان ثائرا قيده الملك منفتاح"^(٣). ويبدو أن منفتاح قد سار بجيشه بعد ذلك، فاقتلع ما استطاع اقتلعه، أو نسب هذا النصر الى نفسه، واعتبر التحرك الهيكسوسي لصالحه. يقول مانيتون: "ولما يس الملك من استسلامهم عقد معهم معاهدة بجلاتهم عن مصر، وذهابهم حيث شاءوا دون تضيق وخناق، فغادر منهم مالا يقل عن (٢٤٠٠٠) حاملين متاعهم مخترقين الصحراء الى سورية، وأقاموا مدينة في الاقليم الذي يدعى يوده كانت صالحة لأيوائهم وأطلقوا عليها اسم اورشليم"^(٤). وأخذ يوسفوس بكلام مانيتون ذكر أعلام يوده واورشليم كما كانت في حياته وقصد يوده يهوذا التي كان مركزها اورشليم الى القرن السادس ق.م.

(٢) مانيتون مؤرخ مصري كتب تاريخه حوالي ٢٥٠ ق.م.

(٣) ول ديورانت قصة الحضارة ج ٢.

(٤) تاريخ موجات الجنس العربي دروزة ص ١١٩.

وقد علق الأستاذ سليم حسن على رواية يوسفوس تعليقاً جاء فيه "أكثر ما جاء فيها من خلاف للحقائق والوقائع". ونبه الأستاذ أحمد كمال مع شيء من الشك ، والتحفظ على ما يمكن أن يكون بين ذلك وبين ما روثه الكتب المقدسة من هجرة يعقوب وذريته الى مصر من ترابط ، واحتمال التلاصق بين الخبيرو والعبرين والعبرانيين وهم الاسم الذي كان يطلق على يعقوب وذريته . ويمكنني أن أعلق على هذه الحوادث بما يلي :

١- دخل يعقوب وأبناؤه مصر دفعة واحدة بعد يوسف وعددهم لا يشكل الخطر الذي يشكله الهيكلوس .

٢- الرواية التي أوردها مانيتون فهي من نسج الخيال لأنه يرى أنهم بنو مدينة أورشليم في مقاطعة يهودا وأورشليم مدينة مبنية منذ أيام ابراهيم كان ملكها ملكي صادق . وهو الذي أطلق هذه التسمية عليها .

٣- لم يخرج الهيكلوس بقيادة موسى ، وبعد حروب وحصار كمانقول الرواية ، وإنما خرج منها خائفاً يترقب وقد خاض البحر خوفاً من فرعون وجنوده .

٤- لم يذكر مانيتون التيه الذي وقع فيه بنو اسرائيل .

٥- أسماء ملوك الهيكلوس تختلف عن أسماء الفراعنة ، لهذا أرى أن مصر التي خرج منها اليهود غير مصر المعروفة . واليهود هم غير الهيكلوس أبداً .

ذكر المؤلف في سياق سيرة امون حوتب الثاني أحد ملوك الأسرة الثامنة عشر أن الخبيرو هم العبريون . ولكنني أستطيع أن أقول بكل اطمئنان: أن قبائل الخبيرو وليس العبرين لأن العبرين لم يكونوا قبيلة كاملة . وقد ذكرت رسائل تل

العمارنة التي كشفت حديثا غارات قبائل الحبيرو من فلسطين في عهد الأسرة الثامنة عشرة . هذا مايسوغ القول أن قبائل الحبيرو والعبيرو اسم واحد لجماعة من الساميين كانوا في فلسطين . في القرن التاسع عشر ق .م أو قبله ، زحفت الى مصر باسم الهكسوس ، وقد خرجوا حينما قوض حكم هؤلاء ، واجلى حكمهم وجيوشهم في زمن الأسرتين السابعة عشر والثامنة عشر على الأغلب^(١) . ويحاول العقاد أن يبرر ويدمج الهكسوس مع بني اسرائيل فيقول : وكان الرعاة الهكسوس يحكمون مصر من الأسرة الثالثة عشر الى الأسرة السابعة عشر ، وفي هذه الفترة حدثت الهجرة هجرة الآباء العبريين الى الديار المصرية^(٢) .

أما الأستاذ دروزة فقد حاول أن يعلل خروج موسى بأن بني اسرائيل لم يخرجوا مع الهكسوس ، وقد سماهم التاريخ المصري بالعبيد ، وهذا ماتفيده وثائق أثرية عائدة الى القرن الرابع عشر ق .م ، ولكني أرد على ذلك بقولي هل هناك وثائق مصرية تصور لنا خروج بني اسرائيل من مصر ، وقد حدث ذلك في القرن الثالث عشر ق .م ، واني لأنساءل مع المتسائلين أهنالك شخصيتان في التاريخ تسميان موسى ، كما أن هناك ابراهيمان ، وهذا مايرتبه فرويد في كتابه "موسى بطل التوحيد" لأن التاريخ يحدثنا عن موسى في عهد اخناتون ، وهو الفرعون الذي دعا الى التوحيد في مصر ، وكان قائده يدعى موسى ، هذا القائد احتل الحبشة ، ودعا فيها الى عبادة الاله الواحد ، وتزوج امرأة حبشية ، وهذا ما يؤكد الدكتور حسن حدة في محاضراته . وقد كتب المؤرخ يوسفوس اليهودي عن موسى مايلى عن الموسوعة البريطانية مجلد ١٥ (رجل مصري ،

(١) تاريخ موجات الجنس العربي ص ١٢١ . حاشية

(٢) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ٩٥ .

قائد مصري ، كاهن مصري ، وقد أخذ شهرته من فتح بلاد الحبشة ، ونشر ديانة اخناتون ، ونزوح ترسس بنت ملك الحبشة ، وجند جيشا ، وكان ركنا من أركان اليهودية بعد الانشقاق الموسوي . نير أن يوسفوس أخطأ لارمي حينما سمى موسى قائد اخناتون موسي "يهو" . موسى اليهودية تزوج بنت النبي شعيب ، وقد عاش فترة طويلة في مدين ، ولم يكن قائدا فتح بلاد الحبشة وإنما هرب من فرعون حينما قتل شابا مصريا ، ثم عاد الى مصر ليقود بني اسرائيل الى الأرض المقدسة . هناك فارق زماني بين اخناتون وبين الخروج يقدر بأكثر من ١٥٠ سنة فقد كان اخناتون حوالي ١٤٠٠ ق م بينما الخروج حدث حوالي القرن الثالث عشر ١٢٢٥ ق م .

ومن ثم أستطيع أن أقول بكل ثقة أن الهكسوس ، ليسوا بني اسرائيل ، فملوك الهكسوس حكموا بدءا من القرن الثامن عشر ، ونزلوا بقوة جبارة ، دكت مصر حتى أن ملوكهم الأوائل أرادوا محو الشعب المصري . أما بنو يعقوب فقد دخلوا قلة احتموا في ظل أخيهم الصغير يوسف ، دخلوا جائعين يريدون أن يهربوا من الصحراء الجافة والقحط المميت^(٣) .

ولم يشر أحد من المفسرين الى كلمة هكسوس ، وإنما أشاروا الى قصة زليجا ، وسموا يوسف بالعبد الكنعاني نسبة الى كنعان . وفي هذا يقول الامام الفخر الرازي : " والثاني وهو الذي ذكره صاحب الكشف ، وهو أحسن ما قيل ان النسوة كن يقلن : انها عشقت عبدها الكنعاني ، فلما رأيته ، وقعن في الدهشة ، قالت هذا الذي رأيتموه هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتني فيه " (٤) .

(٣) يؤيد هذا الرأي الأستاذ جودت السحار ذلك حينما أوجد الهكسوس في مصر قبل دخول ابراهيم اليها .

(٤) التفسير الكبير ج ١٨ ص ١٣٠ .

١- لو كانت حادثة الخروج بسيطة لما نشأ شراعون في تسليم بني اسرائيل الى مصر .

٢- حادثة نوح ، فعدن ، كعبا بردت ، في القرآن الكريم ، ليس حادثة بسيطة يسدل عليها الستار بسهولة .

رائي أتمنى أن يكون هناك من ينزله مصر ا روفة انما نزلوا مصر اذ .
معان ، وهذه قرية من القرى التي كانت بلاد النابغة التي أسرد

١ . ان فرعون مصر . طرد الهكسوس هو أحسن الأول موسى
الأميرة الثامنة عشرة ، وقد ردهم في معركة دارة "أواريس" وتابعه ،
ولم يزل غرقا .

٢- وقد وضع فرعون أحسن الأول ، السلالة الثامنة عشرة حدا
لسيطرة الهكسوس ، ولما قهرهم في معركة أفارو . الفاصلة ، ردهم الى الساحل
السوري وتابع زحفه ، فأخضع فينيقيا ، وتم ذلك على يد تحوتهم الثالث
(١٤٤٩ - ١٤٣٣ ق . م . واتصلت مصر بالملكيتين الاقطاعيتين الحثية ، الميتانية
أيام امينه من الأول . هذا الزحف انتهى في بداية القرن السادس عشر أما
في بدايه الزحف الهكسوسي ان الباحث أسد أشقر يحددنا ويعطينا تاريخا
واضحا .

"وان اجتاحت مصر أزمة داخلية قاسية ، تناولت الأوضاع في جميع
حقولها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، فلم تسطع السلطة الدفاع عن
كيان البلاد الا بالصمود في وجه الضغوط الخارجية المداهم والجسرة
الاقتصادي الداخلي ، وبعد أن استهلكت كل مافيها من امكانات المقاومة

(٢) أسد أشقر الخطوط الكبرى لتاريخ سورية ج ١ القسم الأول ص ١٥٤

اضطرت الى الاستسلام ام ١٦٨٠ ق م ، فدخلتها جماعات من تلك الأقوام التي كانت قد اجتاحت سورية الغربية ، وعرفت باسم الهكسوس أو الملوك الرعاة^(٣) .

وأندي بيدولي^{١٠} - حذف تاريخ الهكسوس أنهم حكموا مصر في بداية الترت الثامن عشر ١٧٣٠ وقد دخلوها غزة ، قاتلوا مصر حتى سقطت بين أيديهم ، وملكوها وقد حدد ملوكها سالاتن المؤسس للعكم والذي بنى مدينة منف مقرا له .

سالات ١٩ سنة .

بنويد ٤٤ سنة .

ايامناس ٣٦ سنة .

ايوفيس ٦١ سنة .

بناس ٥٠ سنة .

امسيس ١٩ سنة .

وبدا بعد ذلك الضعف ينخر في جسم الهكسوس ففترة القوة ٢٥٩ فاذا ماقلنا أنهم خرجوا في عام ١٥٨٠ فان المدة تقصر عن هؤلاء الستة ولكني أقول أن طردهم تم في زمن تحوتيس الثالث ١٤٨٠ والمعروف لدينا أن موسى ظهر في القرن الثالث عشر وليس في القرن الخامس عشر وبهذا يكون اليهود غير جماعة الهكسوس .

(٣) المرجع نفسه الصفحة نفسها ص ١٥٥ وهنا اختلف مع أسد أشقر في تاريخ دخول الهكسوس الى مصر ١٦٨٠ ق م .

أما الذين دخلوا مع بني اسرائيل فهم قطعاً لم يحكموا مصر ، ولا تنفذوا فيها اللهم الا ما كان من يوسف /ع/ .

من البديهي أن خروج بني اسرائيل مع موسى حسبما تصوره المصادر الدينية يشكل خطراً على مصر ، ولهذا تمسك فرعون بهم ، ولم يتركهم ينسحبون مع موسى الا بعد أن غلب على أمره ، ولما أراد استرجاعهم غرق في البحر وانتهى .

ولما لم يكن قد سجل من هذه الحوادث شيء ، ولم يسجل حادثة غرق فرعون كل هذا يدفعني أن أقول أن مصر التي جرت فيها الحوادث هي غير مصر المعروفة .

ونستطيع أن نخلص الى النتائج التالية :

١- لم يثبت تاريخياً دخول غير الهكسوس ، وقد اختلف تاريخ دخول الهكسوس عن دخول يعقوب .

٢- دخل الهكسوس جماعة غمازين لمصر بينما دخل أبناء يعقوب دهن غزو بحماية يوسف الذي جاء بصورة عبد .

٣- يرى الدكتور سوسة ان دخولهم ١٧٨٥ ق م وخرجها سنة ١٤٧٩ ق م وقد اتخذوا اسم الاله ايل للتبرك به فأضيف الى أسمائهم بعض ملوكها باسم يعقوب ايل وورد يوسف ايل .

غير أنني لم ألاحظ هذه التسمية وربما كان في أدوار الضعف ولكن حتى لو صحت التسمية فالهكسوس عرب أما يعقوب ، فلم يسمى نفسه يعقوب ايل ، وإنما سمي نفسه اسرائيل ، حسبما تقول التوراة أما يوسف فلم يسم نفسه يوسف ايل حتى تسمية يعقوب نفسه باسرائيل تسمية عربية وليست عبرية ،

والملاحظ أن تسمية أبناء يعقوب كان بناء على رأي زوجاته حسب ماتقول
التوراة .

٤- كل الأخبار عن العرب قد نقلوا أسماء عربية لفرعنة مصر بينما لم ترد
هذه الأسماء عند الهكسوس ، وهذا مما يدل على اختلاف البلد والمملكة
وكان فرعون مصر في أيام مزمسى قابوس بن مصعب بن مساوية صاحب
يوسن ، الثاني ، وامراته آميا بنت : سراسم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون
يوسف الأول ، ثم ولي الوليد بن مصعب ، بعد موت قابوس أخيه ، وتزوج
الوليد آميا بعد أخيه .

٥- لم تذكر : ائنة خروج الهكسوس من مصر كحادثة خروج بني
اسرائيل من مصر مما يدل على أن الحادتين مختلفتان في الزمان والمكان .

٦- عدم ورود اسم نهر النيل في مصر ، وتسمية نهر الفرات بالنهر الكبير
دلالة على أن مصر ليست مصر المعروفة ، ولهذا أقرر أن الحوادث حدثت قرب
معان المصرية ، ومنها الى ابيوب ، ولم تم هذه الحوادث على مصر المعروفة .

هنا

من هذه الشخصية ، ألهها وجود أم لا ؟ .

التسمية عربية لاشاء ، فيها ، فيها ، فعل ماض من الفعل العربية تعني الهجرة والانتقال وقد وجدني العهد الجديد في رسالة القديس بولس إلى غلاطية "فانه مكتوب أنه كان ابنان لابن هيم واحد من الجارية ، والآخر من الحرة . لكن الذي من الجارية ولد حسب الجسد ، أما الذي من الحرة فبالوعد ، وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهود^(١) . أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر . لأن هاجر جبل سيناء في العربية . ولكنه مقابل أورشليم الحاضرة ، فانها مستعبدة مع بنو إسرائيل ، وأما أورشليم العليا التي هي أمتنا جميعا ، فهي حرة لأنه مكتوب : افرحني ، أيتها العاقرة التي لم تأدي ، اهتفي ، واصرخي أيتها التي لم تتعوض ، فانه مكتوب أن أولاد الموعدة أكثر من التي

(١) رمز هاجر للعبودية للعهد القديم وهو يقابل هاجر نازية بنت لابراهيم حسب الجسد واعتبر بذلك ابراهيم أباً لليهود أما المسيحية وهي العهد الجديد تقابل الكنيسة التي أمر الله بها وهي بنت الموعد تقابل اسحق بن سارة وهو ابن الموعد فسارة تقابل اورشليم التي في السماء أما هاجر فهي تقابل أورشليم في زمن بولس أورشليم المستعبدة المضطهدة التي ترزح تحت نير الرومان وهي بالرغم من ذلك تضطهد المسيحية . هذا رأي الرسول بولس .

لها زوج ولكم: لما كان حينئذ الذي ولد حسب الجسد ، يضبطه الذي حسب الروح (٢٧) .

ترى هل سميت هاجر لأنها هاجرت الى مكة المكرمة ؟ أم أن هاجر قصصت بها التوراة عابد وث ؟ فقد عرفنا أن كل سادن للأوثان عند النمرود يسمى هاجرا ؟ ترى أهي رمز للجبريم الأيمن ، ورأوا فيها امرأة بعيدة عنهم ، ولهذا رادوا في بعدها فنبهوها الى مصر لأن منصر أذلته واستعبدتهم ، ولما طغى الانتقام صوروا أم اسماعيل خادمة لسارة ، وعلى مصر أن تكون خادمة لاسرائيل . "وذكر في التوراة اسم شعب سكن في شرق الأردن ، وفي شرق أرض حلفاد ، وعرف باسم الهاجرين وهم من العرب أو من بني أرم في رأي بعض العلماء ، غير أن إطلاق هذه اللفظة على الاسماعيليين يدل على أن المراد بهم العرب لأن الاسماعيليين هم عرب ، وأن هاجر كناية عن أم اسماعيل جد القائل التي تحدثت عنها على رأي التوراة ، وقد ذهب بعض الباحثين الى أن مراد التوراة من الهاجرين ، والاعراب أي البدو ، وهم عرب أيضا ، وقد امتدت منازل الهاجرين من الفرات الى نهر سيناء ، فهي منطقة واسعة تشمل البادية بادية الشام ، وتضم عددا كبيرا من الاعراب ، وهم نازل الاسماعيليين أيضا . بقد يكون هذا هو السبب في عدم تمييز التوراة بين الهاجرين والاسماعيليين ، وقد ذكروا مع قطورة ونفيس وهما من الاسماعيليين وأشير الى رجل من الهاجرين عرف بعزيره" (٣) ، ترى أهي يقصدون بالهاجرين الوثنيين ؟ نسبة الى هاجر السادن للأصنام ؟ وقد كان أبو ابراهيم سادنا للأصنام أم ترى أن هاجرهم الواردة في التوراة باللغة العبرية قد ترجمت خطأ لعدم معرفة

(٢) رسالة القديس بولس الى غلاطيه الاصحاح الرابع ٢٢-٣١

(٣) المفضل ج ١ ص ٤٦١ .

المترجم بشكل جيد بالعبرية ؟ ها تعتبر أل التعريف وبهذا تكون ترجمة الجرمية المصرية ، هل يقصد كاتب التوراة : أن المياة من جرمهم العربية التي كانت تسكن في شمال الحجاز في مناطق مصر التي ناقشتها في الفقرة السابقة ؟ وبما يؤكد هذا الاحتمال قول التوراة ذاتها أن هاجر زوجت ابن اسماعيل من امرأة مصرية . بعد هذه المقدمة أبدأ بالبحث في قصة هاجر .

لم ترد التسمية في القرآن الكريم ، ولم يشر الى وحدها البتة ، وكل ماورد إنما يستفهمها الاخباريون من التوراة في عدة أماكن . في الأماكن كلها تشهد أن هاجر زوجة ابراهيم (فحدث لما دخل ابراهيم الى مصر . أن المصير ، المرأة أنها حسنة جدا ، ورأها رؤساء فرعون ، ومدعوها لدى فرعون ، تأملت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابراهيم خيرا بسببها ، وصار له غنم وبق وحسير وعبيد واماء واتن وجمال ، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارة امرأة ابراهيم^(١) .

لم تشر التوراة في هذا الاصحاح الى هبة هاجر لسارة ، أما الاخباريون العرب ، فقد أشاروا الى هبة هاجر من فرعون ، وقد ناقشنا هذه القصة ، ورأينا بطلانها ، ولا حاجة بنا لمناقشة ذلك من جديد .

أما الأستاذ السحار ، فقد ناقش أسر سارة ، واهداء هاجر لسارة ، ولكني لأرى مبررا لاهداء هاجر . وحاول الدكتور سوسة أن يبرر وجود هاجر ، فقال : "وكان فرعون يعين في محميته نائب الملك ممن ليسوا من أهل المنطقة ، ثم يزوجه امرأة من الطبقة الارستقراطية المصرية"^(٢) .

(١) التوراة سفر التكوين الاصحاح الثاني عشر .

(٢) أ - العرب واليهود في التاريخ ج ١ ص ٥٠٤

ب - هاجر المصرية أم اسماعيل ويرى أنها زوجة لفرعون الذي قتله الهيكسوس وقد أخذها سنان وأهداها الى ابراهيم .

وانتي أ. أل. الا، كتور سوسة هل كان ابراهيم ثابتا لفنون ؟ فمادلاته في
 التوراة ؟ وهاذا اذا أردت هاجر المصرية في التوراة عنم ذلك صهيحاً ، وعليها
 أنا محاولاً . يبرر ذلك ؟ لأرى سبباً لمحاولة تبرير هذه ، أقول أن ابراهيم
 سبباً عاماً ثلث زوجه عاقر لا تلد ، قرر الزواج من أخرى ، ولما عنم كتاب
 التوراة أن ابراهيم زوج امرأة ثانية ، حاولوا أن يقتلوا من شأن المرأة الثانية ،
 فمروها ساراً ، أس أنها خادمة لمسيبة سارة ، وتنازلت سارة ، فزوجت
 زوجها جاريتها ، وليست هذه الحادثة بدعة في تاريخ اليهودية ، سند الأيت
 وأقبل (١) . سارة ، لزوجها عن جاريتها بلهة ، كذلك ، تنزلت أمة لزوجها
 سارة ، سارة ، زافه ، فالحادثة ليست ، فردة في تاريخهم ، وإنما إلى
 التوراة . سارة ، هذا الصدد ، وأما سارة امرأة ابراهيم ، فسم تلك المرأة ، وكانت
 أما جارية ، سارة اسمها هاجر ، فقالت سارة لابراهيم هوذا الرب قد سكني
 ، ولما دخل على جاريتي ، علي أرزق منها بين ، فسميع ابراهيم قول
 سارة ، فسمعت سارة امرأة ابراهيم هاجر المصرية جاريتها من بعد سنين
 لأقامه ابراهيم ، في أرض كنعان ، وأعطتها لابراهيم زوجاً ، فذو علي سارة
 ، جعلت . ولما رأيت أنها جعلت صبغرت مولاهما في عينيها^(١١) .

أما ذكر التوراة كيف حصلت سارة على هاجر المصرية ، ولما ذكرت
 جاريتها ، ووردت في التوراة قصة أخرى أردناها بي مكاناً آخر قصة
 سارة مع أبي مالك وتقول التوراة عن ذلك ، "فأخذ أبي مالك غنماً ابراهيم وبيس
 دامه ، وشاهها لابراهيم ، ورد اليه سارة امرأته^(١٢) .

(١) التوراة سفر التكوين الاصحاح السادس عشر .

(٢) التوراة سفر التكوين الاصحاح العشرون .

عول هاجر من الاماء التي أرسلها أبي مالك أم من الاماء التي أرسلها
 فرعون مصر؟ أم هي بعيدة كل البعد عن هذا وذاك؟ انني لأرى أن الأمر
 كانت أمه من فرعون أو أمة من أبي مالك لكانت جارية لابراهيم ، ولو كانت
 جارية سارة كما تدعي التوراة والاعباريون العرب أيضا . وسأورد قصة ساجر
 من كتاب البداية والنهاية لابن الأثير "ثم ان الخليل عليه السلام رجع من بلاد
 مصر الى ارض النبين ، وهي الأرض المقدسة التي كان معها ، وها أنعام
 وعبيد ومال جزيل . وصحبته هاجر القبطية المصرية ، وأوحى اليه تعالى الى
 ابراهيم الخليل ، فأمره أن يمد بصره ، وينظر شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ،
 ويشره بأن هذه الأرض كلها سأجعلها لك ولخلفك الى آخر الدهر ، وسأكثر
 ذريتك حتى يصير بعدد التراب ، وهذه البشارة اتصلت بهذه الأمة بل
 ما كملت ، ولا كانت أعظم منها في هذه الأمة المحمدية يؤيد ذلك قول رسول
 الله (ص) : ان الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبغ ملك
 أمتي سائري لي منها" (٣) .

وان أتابع ما رواه بنية الاعباريون ، لأنهم جعلوا التوراة القاسم المشترك
 بينهم . غير أن الأسناد السحار انفرد بين هؤلاء الاعباريين في القصة ، لما
 رأى الملك كرامة سارة على الله ، أهداها هاجر زوجة فرعون ، مصر :
 وأكرم ابراهيم بعد أن دعاه الى الله" (٤) .

وهذه القصة أشبه بقصة قمبيز حينما زوج من ابنة فرعون المذبح .
 ولأدري ما السبب في معرفة كرامة سارة على الله ، وهي قصة مفتعلة كتبها

(٣) البداية والنهاية ابن الأثير ج ١ ص ١٥٢ والغريب أنه يورد النص انتر ، ومن ثم
 يحمل المعنى الاسلامي .

(٤) محمد رسول الله والذين معه ج ١ ص ٦٣ .

يوسيفوس ، وأقرأها السحار متهربا من قصة سارة كما وردت في التوراة ، ورغم أن السحار قد فند قصة سارة ورد الحديث الوارد في كذبات ابراهيم /ع/ فإنه قد أبعد المرمى وضل الطريق .

وزاد الأستاذ الصابوني في كتابه النبوة والأنبياء بعد ذكر قصة سارة "رد الله كيد الكافر في نحره وأخذ مني هاجر" . وأورد بعد ذلك نصا لأبي هريرة "قتلتكم أمكم يابني ماء السماء فعصمها الله وصانها اكراما لخليله /ع/"^(١) . فهل قصد أبو هريرة سارة بكلمة فعصمها الله وصانها اكراما لخليله ؟ أم يقصد بها هاجر ؟ ولكن لاشيء يدل في النص على هاجر لأنها كانت جارية عند فرعون فكيف عصمها الله ، وصانها ؟ وإن كانت سارة هي التي قصدت فمن أين صارت أم العرب ؟ وأرى أن الحديث الموقوف على أبي هريرة غير صحيح ولا يمت إلى الحقيقة بصله . أما ابن قيم الجوزية بعد ذكر أن الخليل تسرى بهاجر ، يذكر أنها جارية سارة "قالوا وتنان عند ابراهيم الخليل أجلس النساء سارة في سرير بهاجر ، وكانت الحبة لها . قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : (١٥) ابراهيم الخليل عليه السلام يحب سريره هاجر محبة شديدة ، وكان يزورها في كل يوم على البراق من الشام من شغفه بها"^(٢) . ولأدري كيف قبل هذه الرواية ابن قيم الجوزية دون أن ينقدها ؟ فكيف كانت رحلة ابراهيم الخليل على البراق ؟ إذ لو عرفها الناس في الجاهلية لما استنكروا حادثة الاسراء ؟ بعد أن قدمت آراء التوراة والاعباريين نعيد لنرى رأي الحديث في هذه القصة .

(١) النبوة والأنبياء محمد علي الصابوني ص ١٥٨

(٢) ابن قيم الجوزية روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ١٦٨

روى الطبراني . .

أ - عن عائشة رضي الله عنها قالت قال عليه السلام لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة مصبب مهبذا لا تنشعب شعبتان الا كنت في خيرها .

ب - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله /ص/ سرجت من نكاح ولم أخرج من - فاح من لدن آدم ابني ان ولدني أبي وأمي . البداية والنهاية .

ج - قال الأستاذ هرون في تهذيب سيرة ابن هشام فرسول الله أشرف . ولد آدم حسبا وأفضلهم نسا من قبل أبيه وأمه وشرب ودم ومجد وعظمة .
روى الترمذي . .

أ - حدثنا خلاد . . عن واثله ابن الأسقع قال قال رسول الله /ص/ أن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم .

قال أبو عيسى حديث حسن صحيح .

٢ - حدثنا يوسف بن موسى القطان . . عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا ، فتذاكروا أحسابهم بينهم ، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض . فقال النبي /ص/ ان الله خلق الخلق ، فجعلني في خيرهم من خير فرقهم ، وخير الفريقين ثم تخير الله القبائل ، فجعلني من خير قبيلة ، ثم تخير البيوت ، فجعلني من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً . قال أبو العباس هذا حديث حسن .

١- حدثنا عبد الله بن وهب عن عبد الله بن ابي عمير عن
 أن رسول الله (ص) قال : أكل الذئبة أكل المؤمن " رحمه الله
 العليم نسأله العفو .

قالوا يا محمد بن عبد الله انما نريد ان نعلم انك انت الذي
 ادعيت انك انت الذي ادعيت انك انت الذي ادعيت انك انت الذي

١- في قوله : "أما العرب، فمن ربة كنان". إمام الفراء وابن
مصر، وأبو أيوب عارية ساءوا هذه الآية من ضمنه .
نكونه نصنا

٢. قال ابن اسحاق في تاريخه: «حدثني محمد بن مسلم . . ان رسول الله ﷺ قال اذا افتختم مصر ، فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما ، فقلت لمحمد بن مسلم الزهري ما بالرحم التي ذكرها رسول الله ﷺ / لهم فقال كانت هاجر أم اسماعيل منهم .

والذي أراه أن مارية هي ذات الرحم وليست بماجر هذا الحديث ورواه
في السيرة النبوية لابن هشام وابن اسحق وروى الأئمة وهما يورثان ما أم
اسماعيل على أساس أنها مصرية ، الحديث الأول به ابن لهيعة ، وابن لهيعة
كذاب وضاع الحديث لا يعتمد عليه ، أما الحديث الثاني فلم يذكر
بصورة صحيحة وإنما مر في رواية أخرى فإن لهم ذمة وصبر ، الأمر
ولم يفسد لهم الرسول ما للرحم ؟ وقال محمد بن مسهم ما جر و كانت ما
أمة كما في الرواية فان ذلك يقدح في نسب الرسول (ص) ولا سيما إذا
أما أن الرب كانوا يسمون من كانت أمه غير عربية ويشربونه سحبا ما
حادثة عنتره والساميك ، وخفاف عن أذهاننا بعيدة . (و قال فائق بن س) يتجرأ
على الرسول فيقول ما يقول فأنني أقول ان المناورات التي حدثت بين قحولة

وعندنا في الدولة الأموية تفسح المجال لأن يعبر القحطانيون الشماليين بأهمهم .
ولم يثبت ذلك فأننا ننفي الأمة نفيا قاطعا . بعد أن أوردنا الأحاديث
ناقشناها نعود الى مناقشة كتاب التاريخ .

أ - الدكتور سوسة يقول : " وكان فرعون يعين في محمية نائب الملك من
ليسوا من أهل المنطقة ، ثم يزوجه من امرأة من الطبقة الارستقراطية المصرية"
وهو يرى أن هاجر من الطبقة الارستقراطية المصرية ، وفي هذا يرفض كون
هاجر أمة ، وانني تساءلت ، ولأزلت أسأل هل عين ابراهيم نائبا عنه ، وهل
قبل ابراهيم المؤمن أن يكون نائبا عن فرعون ، وفرعون غير مؤمن بالله ،
وابراهيم مؤمن ثم لو كان الأمر صحيحا فالعربي المولود من أبوين عربيين
أشرف ، واعتق من أحد أبويه غير عربي ، ونعود فنقول أن القحطانيين
كانوا عربا وهجنوا الشماليين ، ولهذا فاني أرفض هذه الدعوة .

ب - السحار : وردت كلمة هاجر عند السحار بمعنى سادن الأصنام ،
كما مرت عند ابن خلدون أيضا ، وربما اعتبروا أم اسماعيل وثنية الأصل ،
فأطلقوا عليها هاجر ، وسموا أبناءها بالهاجرين نسبة الى سادة الأصنام ،
وعندها سادوا أقرب الى الصحة ، ولكنني لاحظت من خلال قراءتي
للتوراه ذنبا ، أن هاجر حينما فرت من سارة وقت غضبها ناداها ملاك الرب ،
فسمعت ، وعادت ولو كانت غير مؤمنة لما عادت تقبل الاذلال من ضرتها .

ج - يقول ول ديورانت في قصة الحضارة ج ٢ : " وإذا كان الرجل ثريا
أيح له أن يتزوج بأكثر من واحدة ، وإذا كانت عاقرا أشارت على زوجها بأن
يتخذ له خليله"^(١) . ويكذب هذا الرأي أسباب :

(١) ول ديورانت قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٧٦

١- في وضع الخلية وضع غير شرعي اطلاقا ، ولا يمكن أن يقبل من نبي ما .

٢- يكذب هذا الرأي قول الرسول /ص/ : ولدت من نكاح . والولادة من نكاح لا يمكن أن تكون من خلية .

٣- يكذب هذا الرأي التوراة نفسها : اذ أن داود قد تزوج أكثر من امرأة ، وكذلك يعقوب وسليمان ، وتزوج هؤلاء سيدات واماء لكنهم لم يعتبروا الآخريات خليات .

٤- وقال بعض الاخباريين كان في زمن ابراهيم يحق للمرأة أن ترد الجارية الى مرتبة الاماء ، اذا لم تلد أما اذا ولدت فانها تصبح حرة ، هذا الكلام يقصد به هاجر ، ولكني لأراه .

٥- قالت التوراة أن هاجر زوجت ابنها امرأة مصرية "فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها مالك ياهاجر ؟ لاتخافي قد سمع الله لصوت الغلام حيث هو ، قومي احملني الغلام ، وشدي يدك به ، لأنني سأجعله أمه عظيمة ، وفتح الله عينها ، فأبصرت بئر ماء ، فذهبت ، وملأت القرية ماء ، وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام ، فكبر ، وسكن في البرية ، وكان ينمو رامي قوس ، وسكن في بيرة فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر^(١) .

بينما توارث العرب أن اسماعيل تزوج امرأتين ، وكلتاها من جرهم^(٢)

(١) سفر التكوين الاصحاح الحادي والعشرون .

(٢) هاجر المصرية تزوج اسماعيل صدا بنت سعد من العماليق وهذه التي أمر بطلاقها ابراهيم ويخالف السحار كل الاخباريين العرب في زواج اسماعيل من جرهم ←

وربما كانت جرهم تسكن في مقاطعة مصر العربية ، ونعود في ذلك الى تفسير كلمة هاجارهم المصرية (جرهم المصرية) وفي هذا توفيق بين الروايتين ، ولا يعني أن كل امرأة ليست من عشيرة ابراهيم هي جارية ، فقد قالت التوراة أن ابراهيم عليه السلام تزوج بعد سارة امرأتين احدهما قطورا ، وهي امرأة عربية خلافا لما رواه ابن العبري أنها بنت ملك الترك ، كما تزوج امرأة أخرى عربية ولم تشر التوراة الى أنهما كانتا أمتين ، وإن كان في رأي اليهود تعتبر المرأة غير اليهودية أقل منزلة من المرأة اليهودية . لكنني أتساءل هل كان ابراهيم يهوديا ؟ وهل ينتسب الجد الى أبناء حفيده ؟ فيهودا ابن ليعقوب فهل يتبع ابراهيم ابنا لحفيده يعقوب ؟ أم أن يهودا تابع لابراهيم ؟ لكن اليهود أجروا التاريخ حسب هواهم ، فسجلوا ما أرادوا ، وحذفوا ما أرادوا ، ويفيدنا في هذا المجال الامام الفخر الرازي في التفسير الكبير (وروى أن هاجر كانت أمة لسارة فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت له اسماعيل) .

قال القاضي : أكثر الأمور المذكورة في هذه الحكاية بعيدة لأنه لا يجوز لابراهيم أن ينقل ولده الى حيث لا طعام ولا شراب مع أنه كان يمكنه أن ينقلهما الى بلدة أخرى من بلاد الشام لأجل قول سارة الا اذا قلنا أن الله أعلمه أنه يحصل هناك ماء وطعام^(٣) .

وتبقى رحلة ابراهيم الى مصر مرفوضة من أصلها ولا سيما اذا اقترنت الأمور بسارة وقد ناقشنا حديث سارة ولا حاجة بنا الى العودة له من جديد . ولكنني أحب أن أضيف الى رأي السابق في الحديث بعض آراء الكتاب

← ويسير وراء التوراة لاهنا فيتزوج اسماعيل فتاة مصرية حسب رأي أمه هاجر .
ليت شعري أهو التعصب لمصر أم هو الانقياد الأعمى للتوراة .
(٣) التفسير الكبير ج ١٩ ص ١٣٦

والنقاد فقد قال العقاد: "نص العلماء على أن الحديث إذا كان رواية احاد ، وفيه نسبة المعاص أو الكذب الى الأنبياء يرد" ، وقد أخذ بهذا الحكم الامام الفخر الرازي في تفسيره ، هذا ما رآه الشيخ عبد الوهاب النجار ، وجاء في حاشية شرح العصام على العقائد النسفية ، فما كان منقولاً بطريق الاحاد سواء بلغ حد الشهرة أولاً فمردود لأن نسبة الخطأ الى الرواة أهون من نسبة المعاصي الى الأنبياء^(٤) .

والروايات التي جعلت هاجر أمة ، إنما هي مأخوذة عن اليهود ، ومن لف لفهم ، ونقلت عن الكتب الاسرائيلية .

"ولم يتخرج المسلم من الاستماع الى عالم يهودي بنقله من كتبه ، وآمن له واعتبر من العلم الذي سبقه اليه أهل الكتاب ، وكذلك فعل كثير من المفسرين ، وبالغوا في الطمأنينة الى أولئك الرواة ، وفاتهم أنهم ان سلموا من سوء النية لم يسلموا من الجهل ، وضعف السند وقلة التثبيت والتمحيص .

وكان الفاروق والامام علي رضي الله عنهما ينهيان كعب الأحبار عن الافراط في رواياته ، وأساطيره ، وسخر الفاروق منه حين زعم له أن مقتله مكتوب في التوراة ، ولم يثبت أحد شيئاً من تلك الأساطير ، ولكن كعب الأحبار وأمثاله قد طاب لهم أن يتحدثوا بتلك الأساطير التي ينفردون بدعواها ، فأدخلوا فيها ، وجعلوا يطرفون السامعين بجديد ، كلما نفذ قديمهم"^(٥) .

نستنتج مما تقدم :

١- ليست هاجر أمة لأن ذلك لم يرد في نص القرآن ، ولا في السنة ،

(٤) ابراهيم أبو الأنبياء ص ١٢١

(٥) التفسير والمفسرون .

وقد ناقشت الحديث الوارد في ذلك .

٢- وجود الأمة يقدح في النسب النبوي الشريف ولهذا سقط قول هاجر
أمة .

٣- لم تثبت هجرة ابراهيم الى مصر ، ولا ثبت أن ابراهيم رضى لفرعونها
حتى يتزوج مصرية سواء كانت ارسقراطية أم بنت ملك مخلوع أم أمة .

٤- لو كانت هاجر مصرية لأثرت بلسان ابنها ، فعلمته الكلمات المصرية
الهيروغليفية ، ولدخلت بعضها الى لغتنا العربية . يرى السحار أن هاجر هي
التي علمت اسماعيل الكتابة ، وليست جرهم ، وإذا ما كانت هاجر حسب
رأيه مصرية ، لانتسب الى الهكسوس ، فانها ستعلمه اللغة الهيروغليفية ،
وليست اللغة العربية ويقول "وذهب ابراهيم الى مصر ، ورأى كيف يكتب
المصريون على البردى ، وخرجت معه من مصر الأميرة المصرية هاجر التي
تعلمت الكتابة على أيدي كهنة منف ، فعلمت اسماعيل الكتابة ثم اشتركت
في تعليم أحفادها ، ولم يكن البردى متوفرا في بكة ، فراحت تعلمهم الكتابة
على الرمل ، وعلى عظام كتف البعير ، ورقاق الغزلان" (١) . وأضيف أنه لو

(١) هاجر المصرية ص ١٠١

وأحب أن أناقش هذه الفقرة فقد ورد معنا أن أهل الجاهلية كانوا أهل حفظ ورواية لا
أهل كتاب وقراءة حتى عرف العرب بالأميين ولو بدأت هاجر بتعليم ابنها اسماعيل
الكتابة غير المصرية لكان عرب الحجاز أقوى علما وأشد ثباتا فيه وأطول باعا .
وهذا ما ينقضه علماء الآثار والرواية فقد نزل الوحي على رسول الله /ص/ وهو أمي
وأول آية وردت اقرأ فقال ما أنا بقارئ والقصة معروفة .
كما أننا نعرف جميعا أن الخط العربي المعروف هو تطور للخط الثمودي النبطي
وليس للخط الهيروغلوفي ولو كانت هاجر مصرية وتعرف الكتابة لأثر الخط
الهيروغلوفي في العرب .

كانت زوجة اسماعيل مصرية أيضا لأثرت أيضا في تعليم أبنائها بينما لم يشير السحار الى ذلك .

٥- ان تسمية هاجر تسمية عربية وليست مصرية .

٦- حينما طردت هاجر وابنها حسب قول التوراة عليها أن تعود الى أهلها ، ولكن الثابت أنها أتت الى الحجاز الى مكة المكرمة ، وهذا ينفي أنها من مصر ، وانما يثبت أنها عربية من الجزيرة العربية ، ومن قبيلة جرهم القبيلة التي كانت تقطن مكة ، أو قطنت مكة بعد ذلك .

٧- زوجت التوراة اسماعيل من امرأة مصرية كأمة ، ولكن في الواقع تزوج جرهمية ولهذا فأمة جرهمية .

٨- هاجر مثال المرأة المؤمنة حينما تركها زوجها ، قالت الى من تكلنا ؟ قال "الى الله" قالت فانه لا يضيعنا . وتقبلت الأمر دون تذمر .

٩- لينفرد اليهود بالارث كما ادعوا جعلوا هاجر أمة ، وجعلوا ابنها اسماعيل ابن أمة ، وسأناقش الارث فيما بعد .

هجرة هاجر

من المعروف منطقيا بين الناس أن الزوجة الجديدة تستلب لب الرجل وتأخذ بشغل قلبه .

كيف لا وإبراهيم في الثمانين وهاجر الفتاة المدللة الناعمة الصغيرة وضرتها العاقر فوق السبعين ؟ هذه الجميلة سيطرت على قلب إبراهيم ، وقد أوردنا حديث سعد بن أبي وقاص في ذلك . لكننا نرى الأمور تسير بطريقة معكوسة عما نعهدها فالتوراة تصور لنا هاجر ذليلة مهانة ، تقسو عليها مولاتها بعدما حبلت ، فإذا بها تهرب غير ملتفتة الى شيء وراءها ، وهي المرأة الحلي تتحرق بنار الصحراء ومضائها ، غريبة لاتعرف أين تسير ؟ حتى رآها ملاك الرب حائرة ضائعة تكاد تهلك ، فناداها ملاك الرب ، وطلب منها أن تعود الى مولاتها (فدخل على هاجر ، فحبلت فلما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينها ، فقالت ساراي لابرام ظلمي عليك ، أنا دفعت جاريتي الى حضنك ، فلما رأت أنها حبلت ، صغرت في عينها ، يقضي الرب بيني وبينك ، فقال إبرام لساراي هو ذا جاريتك في يدك ، افعلي بها ما يحسن في عينك ، فأذلتها ساراي ، فهربت من وجهها ، فوجدها ملاك الرب في البرية على العين التي في طريق شور ، وقال ياهاجر جارية ساراي من أين أتيت ؟ وإلى أين تذهبين ؟ فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي ، فقال لها ملاك الرب : ارجعي الى مولاتك ، واخضعي تحت يديها ، وقال لها ملاك الرب "هأنت حلي ، فتلدن ابنا ، وتدعين اسمه اسماعيل ، لأن الرب قد سمع منك ، وأنه يكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع اخوته

يسكن ، فدعت اسم الرب الذي يتكلم معها أنت ايل رئي ، لأنها قالت :
ههنا رأيت بعد رؤية لذلك دعيت البئر بئر لحي رئي ، هاهي بين قادش ، وبارد
فولدت هاجر لابرام ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل ، وكان
ابرام ابن ست وثمانين سنة^(١) .

(١) الاصحاح السادس عشر سفر التكوين .

واختلف الرواة في عمر ابراهيم حينما ولد اسماعيل .

أ- قال ابن العربي أنه ولد اسحق وعمر ابراهيم الحليل مئة سنة ، واسماعيل يكبر
اسحق بثلاث عشرة سنة ، فيكون عمر ابراهيم سبع وثمانين سنة ، ويقول أيضا أن
عمر ابراهيم حينما دخل مصر خمس وثمانون سنة .

ب- ويقول ابن اياس الحنفي عمر ابراهيم حينما ولدت هاجر ثلاث وثمانين سنة .

ج- وقال الامام الرازي : أعلم أن القرآن يدل على أنه تعالى ، إنما أعطى ابراهيم هذين
الولدين اسماعيل واسحق على الكبر والشيخوخة . فأما مقدار ذلك السن ، فغير
معروف في القرآن "الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق اني ربي
لسميع الدعاء" .

وإنما يرجع في ذلك الى الروايات ، وقيل ولد اسماعيل وابراهيم تسع وتسعون سنة ،
واسحق عمره اثنا عشرة ومئة ، وقيل ولد اسماعيل وابراهيم أربع وستون ، واسحق
عمره تسعون سنة ، وقال سعيد بن جبير ولد اسماعيل وابراهيم ابن سبعة عشرة
ومئة .

د- أما يوسفوس فقد قال أن عمر ابراهيم حين ولد اسماعيل مئة وسبع عشرة سنة .

هـ- ويروي الأستاذ محمد علي الصابوني عمر ابراهيم حين ولد اسماعيل ستة وثمانون
عام .

و- وقرر الأستاذ محمد أحمد جاد المولى أن عمره فوق الثمانين حينما ولد
اسماعيل .

ز- وقال ابن الأثير في كتابه البداية والنهاية أن اسماعيل ولد لابراهيم بعد أن سكن
في الشام عشرين سنة ، وبهذا يكون عمره خمسا وتسعون سنة ، وبهذا

أما حادثة البراق التي وردت عن ابن قيم الجوزية ، فأنني ألغيتها لأنها لو وقعت الحادثة ، لما حدث أي اعتراض على اسراء الرسول /ص/ من مكة الى القدس ، فقد سبق اليها . أما انكار قریش لحادثة الاسراء ، فهي دلالة على انكار الحادثة التي رواها سعد بن أبي وقاص اذن كيف يقبل العقل منطق التوراة ؟ فسارة التي تعدها أجمال النساء كانت فوق السبعين من العمر ولا يعقل أن تحتفظ بجمالها مهما بلغت وهي في هذه السن .

ثم ماالذي يجعل ابراهيم الخليل يتعلق بهذه العجوز العقيم ؟ ويترك الصبية ذات الجمال والولد أهو الأمر الالهي ؟ وحينها لانستطيع أن نتكلم . أم هو الوفاء لسنوات طوال قضائها مع زوجته ؟ ، أم هو المنطق اليهودي الذي لايعترف في منطق ولايخضع لرأي ؟ .

هذا النقص الذي أصيب به اليهود أرادوا أن يعوضوه في شخصية سارة ، فصوروها متغطرة لايعرف عنفوانها حد ، فهي تذلل ضررتها تهينها ، وتأمّر زوجها بطرد هاجر ، ويقتل ابراهيم أوامر زوجته سارة ، وكأنها وحي منزل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه^(١) .

← تتفق الروايات على أن عمر ابراهيم أكثر من الثمانين حين ولد له اسماعيل ، وارجع الى الطبري وابن خلدون وابن كثير والمسعودي لترى أن الجميع قد اتفقوا على عمر ابراهيم فوق الثمانين ، ولا جدال في هذا ، فقد قال ابراهيم في القرآن الكريم الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق .

آ- أما السحار فقد جعل ميلاد اسماعيل قبل انتصار ابراهيم على كدراعومر . (١) هاجر المصرية أم اسماعيل تدبيل ص ٢٧٥ . فمن غير المعقول أن يأتي ابراهيم من الشام الى مكة ولاينزل عن راحلته فقد فسر المفسرون عدم نزوله بأن ابراهيم استأذن سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه كأنما كان ابراهيم ألغوية في يد سارة .

١٠ تفر المرأة الحامل من ضررتها العاقر ، وتعود بأمر الملاك ، ولا يحاسب الزوج أحدهما لا الصبية على فرارها ، ولا العجوز على جبروتها . أسرة مهلهلة .^{١١} ماتصوره كتب التوراة أما أنا فلا أرى هذا إطلاقاً . لم تبين لنا التوراة نوع الاذلال الذي أذلت به سارة هاجر فتطوع الطبري وأتباعه لبيبن .^{١٢} هذا الاذلال . قال الطبري : أن هاجر بعدما هربت من سارة تركت ثوبها طويلاً ليجر على الأرض ولتمحو أثرها ، ولتمحو أثر الدم لأن سارة خنت هاجر ، وصارت سنة بعد ذلك^(٢) .

وطالما وصلنا الى الختان ، فليست سارة التي ابتدعتها وإنما هي عادة قديمة قد عرفها المصريون والفينيقيون أولاً ، وعرفتها بعض القبائل المجاورة ، واتبعها (الختان ان هو الا عادة قديمة مصرية اقتبسها الفينيقيون والسوريون منهم ، كما أيد ذلك هيرودتس أبو التاريخ ، وقد ثبت قول هيرودتس هذا بعد اكتشاف ذلك عميلاً على أجساد المومياء في قبور المصريين القدماء وفي النقوش على جدران القبور هذا ، وقد ورد في سفر هوشع في التوراة ما يؤكد كون مصر موطناً لسادة الختان)^(٣) . فإذا ما كانت مصر مكاناً للختان وموطننا كيف تدل سارة هاجر بختانها ، وهي مختونة وكيف تطول ثوبها لتخفي أثر الدم ؟ هذا مالا يصح إطلاقاً والحديث كله موضوع . طلب في الاسلام العدل في كل شيء حتى بين الزوجات فكيف يظلم أبو الأنبياء ؟ ويقبل الظلم على نفسه ؟ كيف يسلم زوجته لضررتها ؟ ويعلم الله حق المرأة ، ومبلغ الكراهية لضررتها . ان هذا محال ، وقد أورد البخاري حديثاً موقوفاً عن ابن عباس قال : أول

(٢) ارجع الى الطبري ج ١ وارجع الى البخاري ج ٤ ص ١٤٢ . الحديث عن ابن عباس .

(٣) أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ٢ ح ٤٦٧

ما اتخذ النساء المنطق من قيل أم اسماعيل اتخذت منطقاً لتخفي أثرها على سارة^(٤) . تناقض ما بعده تناقض ممن نقل عن ابن عباس حينما أصغى الى صوت الاسرائيليات ولم يصغ الى عقله ودينه . فكيف تطردها سارة ، وتقفي هاجر أثرها لتلا تعرفها سارة ؟ (وافقد الرب سارة كما قال ، وفعل الرب لسارة كما تكلم ، فحبلت سارة ، وولدت لابراهيم ابنا في شيخوخته في الوقت الذي تكلم الله عنه ، دعا ابراهيم اسم ابنه المولود الذي ولدته له سارة اسحق ، وختن ابراهيم اسحق ابنه ، وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله ، وكان ابراهيم ابن مئة سنة ولد له اسحق ، وقالت سارة : قد صنع الي الله ضحكاً كل من يسمع يضحك لي . وقالت من قال لابراهيم سارة ترضع بنين حتى ولدت ابنا في شيخوخته ، فكبر الولد ، وفطم ، وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحق ، ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمزح ، فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية ، وابنها لأن ابن هذه الجارية ، لا يرث مع ابني اسحق ، فقبح الكلام جداً في عيني ابراهيم ، لسبب ابنه فقال الله لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ، ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة ، اسمع لقولها لأنه باسحق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك ، فبكّر ابراهيم صبيحاً . وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعاً إياهما على كتفها ، والولد . وصرفها فمضت ، وتاهت في بيرة بئر سبع ، ولما فرغ الماء من القرية طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ، ومضت ، وجلست مقابلته بعيداً نحو رمية قوس لأنها قالت أنظر موت الولد ، فجلست مقابلته ، ورفعت صوتها ، وبكت فسمع الله صوت الغلام^(٥) .

(٤) البخاري الجزء الرابع ص ١٤٢

(٥) التوراة سفر التكوين الاصحاح الحادي والعشرون .

أيقبل انسان عاقل عادل أن يطرد امرأته وابنه البكر من أجل ارضاء امرأة أخرى وأي اله يأمر بالظلم؟^(١) . أليس الله هو القائل (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتن ألا تعدلوا فواحدة) يأمرنا الله بالعدل بين الزوجات ويأمر ابراهيم بالأيخالف أوامر زوجته سارة ! . أي تناقض هذا يخيم في ذهن اليهود وأفكارهم ؟ ومن هنا أنطلق لأقول أن هجرة هاجر واسماعيل لم تكن لارضاء عجوز متصاية (حسب رأي اليهود) تغار ضررتها وابنها فتأمر زوجها بطردهم . وكيف تطرح هاجر الولد وهو ابن خمس عشرة سنة شاب يافع .

كانت الهجرة أمرا الهيا والهيا فقط ، وعلى المؤمن أن ياتمر بأمر الهه ، ويتبع أوامره ، ويتعد عن نواهيه ، واسمع الى النص من جديد (سأجعله أمة لأنه نسلك) هذا النسل مأمور ابراهيم أن يهاجر به لارادة الهية لا لسواها ، وليس من أجل ارضاء سارة كما تقول التوراة بل ان التوراة ومن سار في ركايتها تصور سارة كما يحبون أن تكون شديدة الغيرة ، حاقدة ، متسلطة على الناس ، فهي مثال حسن لليهود صوروها كما هم لا كما هي .

ولهذا هربت من وجهها ، ووجدتها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور . وقال : يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت ؟ والى أين تذهبين ؟ . وتصور التوراة الله مع العجوز المتغطسة يأمر هاجر أن تعود الى مولاتها لتلد لها ، بعد أن بشرها بولدها اسماعيل لأنه يكون انسانا قويا يده على الجميع ، ويسكن أمام جميع اخوته هذا الهروب الذي ذكرته التوراة لم يذكره أحد من اخباري العرب وقصاصيهم ، ربما لأنهم رأوا في هروبها

(١) هاجر المصرية .

عيبا ، فسكتوا منه ، ولم يروا في خدمتها وكونها أمة عيبا ، فشهروا بها ، ورجعت هاجر لتقيم على الظلم ، وتطول الأيام حسيبا تنسور التوراة حتى نلد سارة ، وتفطم ولدها اسحق ، فاذا ما كان اسماعيل ابن ثلاث عشرة حتى حبلت سارة ، وحتى فطمت اسحق لانتقل المدة عن سنتين أصبح عمر اسماعيل خمسة عشرة سنة . خمسة عشر عاما على الظلم تقيم هاجر مع صهرتها سارة ، وهنا يرد بيت من الشعر يمثل هذه الحادثة

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدوآ له ما من صداقته بد

وبدلا من أن يرق قلب سارة بعدما ولدت تشكر الله على ولدها زاد حنقها حنقا ، وغيرتها غيرة ، فاذا بها تقول (اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن الجارية لا يرث مع ابني) . كلمة الحق قد أفرغت ، وسم اليهود صبوه على كل من ليس يهوديا في هذه الكلمة ، فهم ليسوا أبناء اسماعيل ، ولهذا عليهم أن يعتبروه كما يعتبرون بنية الناس عليهم أن يطردوه من بين الأسرة فأنطقوا سارة مالم تنطق ، وتقول التوراة ان ابراهيم تنقص من هذه الكلمة ، ليقتلوا العاطفة الانسانية في فابه ، تكلموا على لسان الاله ، لأنهم يصورون الاله لهم فقط (لا يقيح هذا الخدم في عينيك من أجل الفلام ومن أجل جاريتك) .

وبات من المحتم حسب رأيهم أن يطرد الجارية وابنها شر طردة ، لارضاء الههم وسيدتهم . والله بريء عما يعمل الظالمون .
حجة واهية لأن ابن الجارية لا يرث مع ابني .

حجة الارث والوعد تسوغ لهم أن يطردوا الجارية ، وابنها بل انها سوغت لهم في الوقت الحالي أن يبيدوا شعبا كاملا من أجل الوعد والارث .

يقول ول ديورانت (وإذا كان الرجل ثريا أبيع له أن يتزوج بأكثر من واحدة وإذا كانت عاقرا أشارت الى زوجها بأن يتخذ له خلية) ولما قرأت التوراة لم ألاحظ اتخاذ خلية ، ولا سمح به فروح الشرائع كلها واحدة ، ورغم أن التوراة الحالية لا تمثل قيم التوراة الأصلية ، ولكنهم لم يقولوا باتخاذ خلية .

نظام التسري موجود عند الخليل وعند داوود وعند الرسول العربي /ص/ فنظام التسري وتعدد الأزواج هو هو لكنه ربما قلص العدد أو زاد لكن النظام يبقى نظاما .

وكان ول ديورانت لم يفرق بين نظام التسري ، ونظام التزاني (الخليلة) ، فيعقوب قد تزوج باثنتين ، وتسرى باثنتين أما ناحور أخو ابراهيم (وحدث بعد هذه الأمور أن ابراهيم أخبر ، وقيل هوذا ملكه قد ولدت هي أيضا بنين لناحور أخيك عوضا بكره وبوزا أخاه وقموئيل أبا آرام وكاسد وحزو وقلداش وبدلاخ وبتوئيل وولد بتوئيل رفعة هؤلاء الثمانية ، ولدتهم ملكه لناحور أخي ابراهيم ، أما سريره واسمها رؤومه فولدت هي طايخ وجاحم وناحش ومعكه^(١) .

ويقول الأستاذ عبد الحميد جودت السحار : وكان للزوجة الأولى أن ترد الجارية الى مرتبة الاماء ، ان حاولت منافستها في حب زوجها بل كان لها الحق في بيعها مالم تصبح أما . أما اذا ولدت طفلا ، فانها تحرر ، وقد ألجبت رؤومة جارية ملكة امرأة ناحور ذرية لناحور ، فاستحال على ملكة زوجته الأولى أن تردها الى مرتبة الاماء ، أو أن تبيعها في السوق بيع الرقيق^(٢) .

وبهذا لو سلمنا أن هاجر أمة لا يمكن أن تذلها سارة ، ولا أن تخضع تحت

(١) سفر التكوين الاصحاح الثاني والعشرون .

(٢) السحار محمد رسول الله والذين معه ج ١ ص ١٦٤

ييديها كَمَا تَقُول التَّوْرَة وَكَمَا يَطْلُب مِنْهَا مَلَائِكُ الرَّبِّ حَسَبَ تَعْبِيرِهِمْ .

وَأَمَّا مِنْ نَاحِيَةِ ابْنِ الْأُمَّةِ لَا يَرِثُ مَعَ ابْنِ السَّيِّدَةِ فَتَسْتَطِيعُ الْعُودَةُ إِلَى التَّوْرَةِ مِنْ جَدِيدٍ :

١ - تَقُولُ التَّوْرَةُ فِي سَفَرِ التَّثْنِيَةِ (إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ أَحَدَاهُمَا مَحْبُوبَةً ، وَالْأُخْرَى مَكْرُوهَةً فَوَلَدَتَا لَهُ بَنَيْنِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْمَكْرُوهَةِ ، فَإِنْ كَانَ الْإِبْنُ الْبَكْرُ لِلْمَكْرُوهَةِ ، فَيَوْمَ يَقْسَمُ لِبَنِيهِ مَا كَانَ لَهُ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَقْدُمَ ابْنُ الْمَحْبُوبَةِ بِكَرٍّ عَلَى ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبَكْرِ ، بَلْ يَعْرِفُ ابْنُ الْمَكْرُوهَةِ بِكَرٍّ لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يَوْجَدُ عِنْدَهُ ، لِأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قَدْرَتِهِ لَهُ حَقُّ الْبِكُورِيَّةِ) ^(٣) .

فَاسْمَاعِيلُ هُوَ الْإِبْنُ الْبَكْرُ ، وَلَهُ حَقُّ الْبِكُورِيَّةِ إِذْ يَرِثُ إِسْمَاعِيلُ أَكْثَرَ مِنْ إِسْحَاقَ بِمَرَّتَيْنِ لِأَنَّهُ الْبَكْرُ . أَمَّا إِبْرَاهِيمُ لَا يَحْكُمُ بِالتَّوْرَةِ ، فَهَذَا حَقٌّ لِأَنَّ التَّوْرَةَ لَمْ تَكُنْ فِي زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِنَّمَا كَانَ لَهُ صَحْفُهُ الْخَاصَّةُ وَهَذَا يَخْطُرُ بِبَالِي حَدِيثِ نَبَوِي (نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَانُورِثُ مَا لَنَا صَدَقَةٌ) . لَمْ يَقُلْ (أَنَا النَّبِيُّ لِأُورِثُ) وَإِنَّمَا قَالَ نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَانُورِثُ مَا لَنَا صَدَقَةٌ .

٢ - نَأْتِي إِلَى قِصَّةِ يَعْقُوبَ فَقَدْ وَلَدَ لِيَعْقُوبَ اثْنَا عَشَرَ وَلَدًا وَهُمْ حَسَبُ أُمِّهَاتِهِمْ :

أَبْنَاءُ لَيْعَةَ (الْمَكْرُوهَةِ) : الْبَكْرُ رَاوِيْن - شَمْعُون - لَؤْي - يَهُوذَا - يَسَاكِر - زَبُولُون - دِينَا .

أَبْنَاءُ رَاحِيلَ : يَوْسُفَ - بَنِيَامِينَ .

بِلْهَةُ جَرِيَّةُ رَاحِيلَ : دَان - نِفْتَالِي .

(٣) سَفَرُ التَّثْنِيَةِ الْأَصْحَاحُ الْخَادِي وَالْعَشْرُونَ .

زلفة جارية ليفة : جاد - اشير .

أبناء يعقوب اثنا عشر ولدا فهم كما قال الله سبحانه وتعالى على لسان يوسف (اني راية أحد عشر كوكبا والشمس رأيتهم لي ساجدين) واثنا عشر ابنا هم الأسباط الذين ذكروا في القرآن الكريم ، ولم يحذف القرآن واحدا منهم ، كما لم تحذف التوراة واحدا منهم ، فاذا كان ابن الأمة لا يرث معنى ذلك يجب أن يحذف أبناء الأمتين الأربع .

والسؤال الذي يطرح على اليهود اذا كان ابن الأمة لا يرث فلماذا ورث دان ونفتالي وجاد واشير واذا كان ابن المكروهة لا يرث كما صار مع اسماعيل ، فلماذا لم يحرم اليهود راؤيين واخوته وفيهم يهوذا الذي ينسب اليهود أنفسهم اليه ؟ . ولماذا سموا أنفسهم يهوذا نسبة الى يهوذا ؟ وهو ابن المرأة المكروهة (حسب رأي توراتهم) ولم يأخذوا اسم الابن البكر للمحبة راحيل وهو يوسف ؟ . ولماذا كان سيط يهوذا هو المسيطر في القدس ، وتسمت المملكة باسمه لأنهم كانوا الأقوى أم الوعد كان ليهوذا ، لم أر أي وعد باسم يهوذا .

لكنهم يعملون ما يشاءون دون رقيب أو رادع وهم يخالفون تعاليم توراتهم التي كتبوها بعد أن ضاعت التوراة الأصلية . ألم يقل سفر التثنية (لا يكن لك في كيسك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة لا يكن لك في بيتك مكيال مختلفة كبيرة وصغيرة ، وزن صحيح وحق يكون لك ، ومكيال صحيح حق يكون لك)^(٤) . وكيف يقيسون بمكيالين ، ويزنون بوزنتين مختلفتين ؟ .

(٤) سفر التثنية الاصحاح الخامس والعشرون .

الرحال الى مكة :

من هذه النقطة نقف على مفترق طرق بين التوراة ، من جهة وبين الاخباريين العرب من جهة ثانية ، لأنهم لو تابعوا التوراة بكل أقوالهم ، لوقعوا في دوامة كبيرة ، لن يستطيعوا التخلص منها ، ولانكشف زيفهم وادعاؤهم ، ولظهرت هويتهم ، وبانت بأنهم غير مسلمين ، ولهذا فارقوا التوراة في أشياء ، وخالفوها في أشياء فماذا يقول الاخباريون العرب في هذا ؟

ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس رواية أشبه برواية التوراة :

١- حدثني ابن جريج . . . حدثني ابن عباس رضي الله عنهما قال : أقبل ابراهيم باسماعيل وأمه عليهما السلام وهي ترضعه معها شنة لم يرفعه ، ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل .

٢- وحدثني عبد الله بن محمد . . . عن سعيد بن جبير قال ابن عباس أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقاً لتخفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها ابراهيم ، وبابنها اسماعيل ، وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء ، فوضعهما هناك ، ووضع عندها جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفا ابراهيم منطلقاً ، فتبعته أم اسماعيل ، وقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنس ولا شيء ؟ قالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له الله أمرك بهذا ؟ قال نعم قالت اذن لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونها استقبل البيت ثم دعا

بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه ، فقال : رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون ، وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما في السقاء ، عطشت ، وعطش ابنها ، وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلمظ فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي ، تنظر هلى ترى أحدا فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها ، ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ، ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي /ص/ فذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا ، فقالت صه تريد نفسها ، ثم تسمعت ، فسمعت أيضا ، فقالت قد اسمعت ، ان كان عندك غواث ، فاذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه ، وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعدما تغرف . قال ابن عباس قال النبي /ص/ يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معنا ، قال فشربت ، وأرضعت ولدها^(١) .

نقلت الرواية الاسلامية عن ابن عباس فلأنقل الرواية التوراتية (ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمزح فقالت لابراهيم اطرده هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق ، فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم ، وقال الله لابراهيم ، لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ، ومن أجل جاريتك في كل ماتقول لك سارة اسمع لقولها ، لأنه باسحق يدعى لك ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك ، فبكر ابراهيم صباحا ، وأخذ قرية ماء

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤٢ - ١٤٣

وخبزاً وأعطاهما لهاجر واضعا إياهما على كتفها ، والولد ، وصرفها ، فمضت ، وتاهت في بركة بئر سبع ، ولما فرغ الماء من القربة ، طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ، ومضت ، وجلست مقابله بعيداً نحو رميه قوس ، لأنها قالت لأنظر موت الولد ، فجلست مقابله ، ورفعت صوتها ، وبكت ، وسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها : مالك يا هاجر ؟ لاتخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومي ، احملني الغلام ، وشدي يديك به ، لأنني سأجعله أمة عظيمة ، وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت ، وملأت القربة ماء ، وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام ، وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس ، وسكن في بركة فاران ، وأخذت له أمه زوجة من مصر^(٢) .

ولنتاقلش نص التوراة مع النص الذي ورد كحديث :

١- في النص كليهما طفل مع العلم أن التوراة في الاصحاح نفسه ذكرت أن سارة قطمت اسحق وبعد فطامه أمرت سارة بترحيل هاجر وابنها ، وعلى ذلك عمره فوق الخامسة عشرة ، فقد ولد اسماعيل وعمر الأب ست وثمانين سنة ، وولد اسحق وعمر الأب مئة سنة بالاضافة الى أن اسحق فطم والفطام لا يكون قبل سنة ونصف ، فهل تحمل الأم غلاماً في الخامسة عشرة ؟ وهل يكون رضيعاً في الخامسة عشرة ؟ وهل تطرح الأم ولداً في الخامسة عشرة تحت شجرة ؟ وتذهب بعيداً حتى لاترى موته ؟ وتبقى الرواية الاسلامية رضيعاً أقرب للمنطق ، لكنها ليست أقرب للصحة فالحادثة غير صحيحة .

٢- قالت التوراة أنه طرحها في بركة بئر سبع ولأدل على أن بئر سبع كان

(٢) سفر التكوين الاصحاح الحادي والعشرون .

قريبا من مصر التي أتت منها هاجر حيث أخذت زوجة لاسماعيل حين شب
بينما تروي الرواية الاسلامية أنه طرحها فوق زمزم تحت دوحة وتقول التوراة أن
اسماعيل سكن بيرة فاران ، ولم تشر التوراة الى أرض الحجاز .

٣- أيعقل لوالد مهما بلغ به الضعف أمام زوجته أن يطرح ابنه وزوجته في
صحراء لاحياة فيها ليموتا جوعا وعطشا وفي هذا يقول الأستاذ عبد الدائم
زيتون في حاشية على كتاب قصص الأنبياء : "لو كان ابعاد ابراهيم لزوجته
وولده الى وادي مكة اتباعا لهوى نفس لكان مضبعه لزوجته وولده ، يسأله
الرب عن هلاكهما ، لو هلكا أما أنه تنفيذ لأمر الله ، فهو خير وعاقبته الى
خير^(١) .

أما الأستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي فيقول : هذا أب يترك امرأة
ووليدها في مكان ليس فيه السبب الأول من أسباب الحياة ، وهي الماء ،
وعندما قالت له زوجته أين تركتنا في هذه الصحراء الجرداء التي ليس بها نقطة
من الماء أنت تفعل هذا بأمر الله أم بأمرك أنت ؟ فلما قال لها أن ذلك بأمر الله
قالت اذن لن يضيعنا فهي أمنت ان مادام ذلك بأمر الله ، ومادام ذلك أمرا ،
فان اله قد أعد مخرجا^(٢) .

لقد سار المؤرخون في ركاب التوراة من ناحية قص القصة وقالوا أن ابعاد
هاجر مامن سبب له الا ارضاء سارة ، أما علماء الدين فقد قالوا انما ذلك بأمر
من الله تعالى ، وأنا مع الأمر ولكنني لأقر أن ابراهيم الخليل رحل زوجته وابنه
قبل أن يهيبء لهما أسباب الحياة .

(١) قصص القرآن حاشية ٥٠ الأستاذ الشيخ عبد الدائم زيتون .

(٢) الأستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي أسئلة محررة وأجوبة صريحة ص ٣٢

قالت التوراة أن اسماعيل سكن فاران ، وتزوج من مصرية كأمة ويقول ابن عباس والمفسرون والاختاريون أنه تزوج من قبيلة جرهم .

وكان ابن عباس كغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير يرجعون في فهم معاني القرآن الى ماسمعه من رسول الله /ص/ وكان رضي الله عنه يرجع الى أهل الكتاب يأخذ عنهم ومن بين المراجع المفضلة عند ابن عباس كعب الاحبار اليهودي ، وعبد الله بن سلام ، وأهل الكتاب على العموم فقد حذر الناس منهم كما أن ابن عباس نفسه في أقواله حذر من الرجوع اليهم . ومن شك في كلام ابن عباس أيضا الأستاذ أحمد أمين والمستشرق كولد زهير ابن عباس لم يأبه لنهي الرسول /ص/ عن تصديق أهل الكتاب (فالأستاذ كولد زهير والأستاذ أحمد أمين يريان أن الصحابة وبخاصة ابن عباس لم يأبه لنهي الرسول /ص/ فصدقوا أهل الكتاب ، وعنهم أخذوا الكثير من التفاسير ، وأن اللون اليهودي قد صنع المدارس التفسيرية القديمة وبالأخص مدرسة ابن عباس بسبب اتصالهم بمن دخل الاسلام من أهل الكتاب^(٣) .

فاذا ما وجدنا قصة هاجر مأخوذة من ابن عباس ، وهو يوردها كماوردت في التوراة عرفنا أن اليهود هم الذين نقلوا هذه القصة ، وثبتوا في أذهان الناس أن هاجر أمة مصرية وأن السيدة سارة هي الأمرة الناهية .

يقول الاختاريون العرب أن القصة تمت بأمر من السيدة سارة^(٤) . أما

(٣) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٧١

(٤) ارجع الى :

أ- ابن الأثير . والمقصود أن هاجر عليها السلام لما ولد لها اسماعيل اشتدت سارة منها وطلبت من الحليل أن يغيب وجهها عنها فذهب بها وبولدها فصار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم .

جماعة التفسير والعلماء فقد قالوا نقلت الى مكة بأمر الهي وحكمة الهية ولاعلاقة بسارة .

الهجرة تمت الى مكة فهل تمت بناء على طلب سارة أم بناء على أمر الهي ؟ وتحاول التوراة أن تبين الأمر الهي تنفيذًا لرغبات سارة ، لكن القرآن أوضح ذلك ، لو كلنت رغبات سارة في الطرد ، لذهبت هاجر الى أي مكان يؤمن فيه العيش الرغيد ، والماء والزراد وابنها فتى يستطيع أن يؤمن لها ذلك . ولو كانت مصرية للجأت الى مصر عند أهلها ، وستلقى هناك الرحب والسعة ، ولن يضمن أهلها بالمقام عليها . فلماذا لجأت الى الحجاز الى واد غير ذي زرع ؟ .

سؤال لا بد من طرحه ومن الشك نصل الى اليقين ، وللجواب على هذا لانتصور رجلا يكره امرأته بهذا الشكل دون مبرر وخاصة نراه في التوراة أنه غضب من كلام سارة ، لكنه وقف عاجزا مشلول الحركة أمام رغباتها حتى أتى أمر الله يؤيدها في ذلك ، اذن أوامر الهية وماعلى المؤمن ابراهيم والمؤمنة

← ب - الجرداني . ولما ولدت هاجر اسماعيل شمخت على سارة زوجة سيدنا ابراهيم فقالت سارة لسيدنا ابراهيم لأسكن أنا وهاجر في مكان واحد فأمره الله أن يمضي بهاجر وابنها اسماعيل الى محل الحرم .

ج - الأستاذ محمد أحمد جاد المولى يصور في قصصه تصوير سارة على أساس أنها امرأة ولهذا فهي تغار وهي تطلب من ابراهيم الخليل تهجير هاجر .
د - ويقول الأستاذ محمد علي الصابوني أن سارة قد اشتدت بها الغيرة فطلبت من ابراهيم أن يقصصها .

و - الطبري ، أورد روايتين : اسماعيل رضيع وسارة فيها ، كماقال ابن عباس وثانيهما ابن ثلاث عشرة سنة . ولن نتبع باقي الاخباريين فهم لم يخرجوا عن هذا الاطار .

هاجر وابنيهما الا أن يطيعوا الله في سرائهم وضرائهم ، شدى الرجال الى مكة فتهاجر مجيبة سمعا وطاعة ، الله يأمر ، وماعلينا الا أن ننفذ أحكامه وأوامره . وشدت الرجال قانعة راضية بما يقسم لها ربها . تصوروا هذا الايمان المتسامي بالانسان حينما تظل وحيدة مع ولدها حسب تصوير القصة (ويقال أن ولدها كان رضيعا فلما تركهما هناك ، وولى ظهره عنهما ، قامت اليه هاجر ، وتعلقت بتيابه ، وقالت يا ابراهيم أين تذهب وتدعنا هنا ، وليس معنا مايكفيها ؟ فام يجيبها . فلما ألت عليه ، وهو لا يجيبها . قالت له الله أمرك بهذا ؟ قال نعم قالت انه لا يضيعنا ، ثم رجعت^(١) . كان على رواية القصة أن يزيدوا حديث الكذبات فيقولون أنه كذب مرة رابعة حينما قال أن الله أمره بهذا ، لأن الله لم يفعل هذا ولكن سارة قالت . ولهذا فأنني أنفي هذه القصة ، وغضب سارة ، وطلب طرد الجارية لأن هذا يعيدنا الى تكذيب ابراهيم عليه السلام ، وتصوره الانسان المغلوب على أمره ، وهذا لم يقره القرآن ، ولا الرسول /ص/ وإنما صورته بهذه الصورة كتب اليهود ، والمؤرخ يوسفوس اليهودي يعطينا صورة واضحة في ذلك فقد أقصى هاجر وابنها الى بيرة فاران ، وسابع القصة في ينبوع الماء ، ومجئ ملاك الرب ، ويقول أن اسماعيل تزوج امرأة مصرية كأمه .

وتقول المصادر العربية أن اسماعيل تزوج من جرهم مما يدل على أنها ليست من مصر وما يدل على أنها ليست أمة بل هي عربية فقد زوجت ابنها المرأة من قومها العرب .

وأسمع الى قول ابراهيم وهو يدعو هذا الدعاء حينما أسكن ابنه وزوجته

(١) البداية والنهاية ابن الأثير ج ١ ص ١٥٤

في مكة المكرمة . واذا قال رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ، رب انهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم . ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء والحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء^(٢) .

هذه الآيات تنقض رواية ابن عباس ، وبقية الاخباريين ، ومن سار في نهج التوراة للأسباب التالية :

١- قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد آمناً) ، وكيف تكون هاجر واسماعيل بمفردهما ويسمي المكان القفر بلدا ؟ والذي آراه أن مكة كانت معمورة بالناس ، ولهذا سميت بلدا ، وقد حاولت أن أتابع المفسرين كلهم ، فوجدتهم يقولون البلد مكة دون أن يشيروا الى أبنائها . فكيف يدعو لبلد وهي لم تعمر ، ولهذا حينما وضع هاجر واسماعيل وصفها في بلد معمورة ، ودعا لهذا البلد بالأمن .

٢- كررت هذه الدعوة في مكان آخر من القرآن الكريم "واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمناً وارزق أهله من الثمرات" دعا هذه الدعوة بعد أن بنى البيت مع اسماعيل مما يدل على أن الهجرة تمت بعد بناء البيت لا قبله .

٣- ليس اسماعيل طفلاً رضيعاً كما تصوره القصة ، فقد قال في الآيات نفسها "واجنبني وبني أن نعبد الأصنام" وكلمة وبني تدل على أكثر من ولد ،

(٢) القرآن الكريم سورة ابراهيم ٣٥ - ٣٩

ومن المعلوم أن اسماعيل أكبر من اسحق بعدة سنوات ، والآية تدل دلالة واضحة على وجود الولدين .

٤- "فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم" . هذه الآية تثير مشكلة الوعد ، فليس أبناء ابراهيم كل الذين من صلبه ، وانما من تبعه في العبادة سواء كان من صلبه أم لا ، فهو من ابراهيم ، ومن لم يتبعه ولو كان من صلبه ليس من ورثته ، ولا هو من أمته . وفي هذا نلتقي مع الرسول بولس .

٥ - قوله "ربنا اني أسكنت من ذريتي في واد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة" . دلالة واضحة على نقض القصة التوراتية ، فالهجرة الى مكة كانت بعد بناء البيت لا قبله ، أما القصص التوراتية ، فتذكر بناء البيت بعد الهجرة ، والتوراة لاتشير الى ذلك قطعيا .

٦- "فاجعل أفئدة الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" . دعوة صالحة لابنه وزوجته ، لادعوه رجل كاره مغلوب على أمره واقع تحت سيطرة زوجة حاقدة غيورة ، ولم يبين لماذا تهوى أفئدة من الناس اليهم ، ولا يقصد بهذا الحج من أجل الرزق ، ولم يقل فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ليرزقوا .

٧- ربنا انك تعلم ما نخفي وما يعلن ايمان كامل بقدرة الله ومعرفته بما يمكن الانسان ، وما يعلن . فهل يكذب ابراهيم على ربه أيضا ؟ يأتمر بأمر سارة ويقول لله اني أسكنتهم عند بيتك المحرم ليقيموا الصلاة ؟ .

فهل نضيف كذبة لقائمة الكذب أم أنه كان صادقا في قوله انما ينفذ أمرا الهيا ليس الا ؟ .

٨- القصة توحى أن هاجر كانت تعرف لغة البلاد التي سكنت فيها بعد

الهجرة ، وهذا ما يؤكد أن هاجر عربية ، تعرف لغة قومها بشكل كامل ، ولهذا حينما أتت الى الحجاز لم تشعر بالغربة . أما لغة زوجها ابراهيم فأنا أشك في كونها آرامية كما قال الذين نقلوا عن التورات وسأناقش اللغة في باب مفرد .

بعد هذا كله نقول دعا ابراهيم هذه الدعوة بعد أن بني البيت مع اسماعيل مما يدل على أن الهجرة تمت بعد بناء البيت لاقبله .

ونقول أن الاخباريين العرب الذين تابعوا ابن عباس في القصة لم يكونوا سائرين في غير ركاب قراء التوراة وقد وقعوا في شرك هذه الأضاليل ان عامدين أو جاهلين سوء نية اليهود حتى لو أعلنوا اسلامهم ، وحتى الآن ينكر المتمسكون بقصة التوراة ، أن يصوروا أن لاعلاقة لابراهيم بمكة ، وأن هذا تصوير اليهود الذين أعلنوا اسلامهم ، ليتقربوا بهذه القصة الى المسلمين (أما علاقته بمكة والبيت الحرام فالأمر فيها أعجب من أمر المختلفين على شخصيته التاريخية لأن الذين ينكرون ذلك العلاقة لم يدعوا لها سنداً من العلم ، ولا من الكشوف العصرية بل هم يعتمدون على بعض المصادر الدينية ، وللجزم ببطلان المصادر الأخرى أنهم يعتمدون على المصادر الاسرائيلية ، للجزم ببطلان المصادر الاسلامية ، ولاشك للعلم الحديث هنا ، بل هو تمييز رواية دينية على رواية دينية وتخالفها ولا محل لاقحام العلم العصري بين روابتين) .

٩- الأمر الالهي هو مانفذه ابراهيم الخليل عليه السلام لا أمر سارة كما قالت التوراة . بل اننا نتحفظ تحفظاً شديداً في رواية التوراة لأن التاريخ ، والواقع ينكر الرواية الاسرائيلية لأنها امتزجت بسياسة الملك والتنازع عليه .

ويقول الكتاب التوراتيون أن قصة بناء الكعبة ليست الا من تلفيق اليهود الذين أعلنوا اسلامهم ، وبهذا يعودون الى التوراة ، فيستمسكون بها بعد أن كشف العلم والتاريخ ببطلان رواية التوراة ، وفي هذا يقول العقاد (ومن الخطأ

أن يقال أن الروايات عن بناء الكعبة تالفق اليهود لارضاء العرب والتقرب اليهم بتوحيد النسب بينهم وبين الارتفاع بنسبهم جميعا الى جدهم ابراهيم^(١) .

فان نسبة العرب الى اسماعيل بن ابراهيم مكتوبة في سفر التكوين ، وتوسع الأزرقى صاحب أخبار مكة غاية التوسع في هذه الروايات التي لم تستوعبها الاسرائيليات ، ولا يمكن أن تستوعبها . انني أقول بكل ثقة اننا لم نستفد من اليهود الذين أعلنوا اسلامهم سوى زعزعة الثقة بالنفس والتاريخ وتشويه المعتقدات الدينية .

ومن هنا أنفي القول أن العرب يقسمون الى عرب عارية وعرب مستعربة وينسبون العرب المستعربة الى اسماعيل لأنه نسي لغة أبيه وتعلم العربية من جرهم .

نعم أن أنساب العرب تنتمي الى جذمين كبيرين : هما عدنان وقحطان ، ولن أتابع في الأنساب ، من ينتمي الى قحطان ومن ينتمي الى عدنان فالأنساب كلها لم تحفظ لنا بشكل جيد ، وإنما نقلت شفاهاً ، ولهذا خلطت كثيرا في أنساب القبائل ، وتظل هذه الأنساب مجالا للشك والتحفظ ، ويقول أحمد أمين . (ولكن هذه الأنساب في مجموعها كانت ، وماتزال مجالا للشك ، وسئل مالك رحمه الله عن الرجل يرفع نسبه الى آدم ، فكره ذلك وقال من أين يعلم ذلك ؟ فقل الى اسماعيل فأنكر ذلك . قال ومن يخبره به ؟ واعتاد النسابون أن يقولوا أن عرب الشمال من نسل اسماعيل بن ابراهيم وعرب الجنوب من قحطان وترجع هذه العقيدة الى ماورد في التوراة^(٢) .

(١) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ١٨

(٢) أحمد أمين فجر الاسلام ص ٥

أما الدكتور احسان النص في كتابه العصبية القبلية أكد الشك في الأنساب في أكثر من مكان في كتابه .

"على أن جداول الأنساب التي وصفها النسابون العرب بين أيدينا ، تفترض قيام نظام الأبوة منذ أقدم العصور ، ولاسيما أن أنساب التوراة التي وقفوا عليها تؤيد هذا المبدأ ومن هنا يخالجنا الشك في صحة بعض ماجاء في هذه الجداول ، ولاسيما مايتصل بالأصول القديمة"^(١) . وينقل الشك عن الرواية المحقق محمد بن سلام الحمصي صاحب كتاب طبقات الشعراء فيقول : ان مافوق عدنان أسماء لو يؤخذ الا عن الكتب والله أعلم بها ، ولم يذكرها عربي قط أما الامام ابن حزم رضي الله عنه فيؤكد أن الأنساب ان هي الا وهم لايمت الى الحقيقة بصلة هذه الأنساب التي ترد اليها من بعيد وتعيدنا الى هوة سحيقة في التاريخ .

(ليس على ظهر الأرض أحد يصل نسبه بصلة قاطعة ، ونقل ثابت الى اسماعيل أو الى اسحق عليهما السلام فكيف الى نوح وكيف الى آدم)^(٢) .
وأستطيع أن أقول علينا أن نبحث بحثا جادا ، وأن أي تسليم لصحة ماجاء من أنساب فاننا نتورط ، ونقع في خطأ يبعدنا عن جادة البحث ومنهج اليقين .

(١) د . احسان النص العصبية القبلية ص ٣٠

(٢) ابن حزم جمهرة الأنساب ص ٦

بناء البيت

"ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . ومن كفر فان الله غني عن العالمين"^(١) .

قصة بناء البيت الحرام في نظر المؤرخين الاسلاميين قصة طويلة تبدأ منذ عهد آدم ، فقد قال المؤرخون أمر الله آدم ببناء البيت في مكانه ، ثم جدده نوح عليه السلام بعد الطوفان ، ومن ثم تهدم من جديد ، فأمر الله ابراهيم ببناؤه ، وهذا ماأشار اليه القرآن الكريم بقوله تعالى (ان أول بيت وضع للناس) ولعللنا نستطيع أن نسترد من هذه الآيات بمايلي :

١- قدم البيت الحرام فهو أول بيت للعبادة أراد الله سبحانه وتعالى ولهذا سمي بالبيت العتيق .

٢ - مقام ابراهيم لنا في هذه الكلمة كمايقول المفسرون عدة أوجه :

الوجه الأول : أنه سيسكن في هذا المكان قبل أن يعيد بناء البيت وفي هذا رد على من قال أنه ترك هاجر وابنها ولم يعد يزورهما ففي سكناه دليل واضح على أنه سكن مع زوجته وابنه .

(١) آل عمران ٩٦ - ٩٧

الوجه الثاني : أنه المكان الذي وقف فيه ليني البيت ، وهذا الكلام غير مقبول لأن البناء ينتقل من مكان إلى آخر مع الجدار ليتم بناءه .

٣ - هذا البيت لهداية العالمين ، ومن هذه الكلمة نستدل على قدمه ووجوده ، منذ أن وجد العالم .

كيف تم بناء البيت ؟ .

سؤال نظرحه ، ويجيب عليه القرآن ، وتسكت المصادر التوراتية ، ولا تشير إلى ذلك البتة . بل ان كتاب التوراة ينفون ذلك نفياً باتاً حتى أنهم يرون من أبناء ابراهيم للكعبة رواية من تلفيق اليهود لارضاء العرب "ومن الخطأ أن يقال أن الروايات عن بناء الكعبة تلفيق من اليهود لارضاء العرب والتقرب اليهم بتوحيد النسب بينهم ، والارتفاع بنسبهم جميعاً إلى جدّهم ابراهيم"^(٢) .

ويتابع العقاد نقاش رأي التوراة ، ويرى أن الاخبار عن مكة أوسع من أن تسعها الاسرائيليات ، أو تستوعبها . "وتوسع الأزرقى في كتابه اخبار مكة غاية التوسع في هذه الروايات التي لم تستوعبها الاسرائيليات ولا يمكن أن تستوعبها"^(٣) .

ومن هنا نرى أن ابراهيم الخليل ، قد تجول في ربوع الجزيرة العربية ، وقد زار مكة قبل أن يبنى البيت مع ابنه اسماعيل عدة مرات ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم : "واذ بوأنا لبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع والسجود . واذا في الناس بالحبج يأتوك رجالاً وعلى

(٢) العقاد أبو الأنبياء ص ١٢٩

(٣) العقاد أبو الأنبياء ص ١٢٩

كل ضامر ومن كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير" (١).

وقد راجعت بعض التفاسير ، فوجدت أنها أعطت معنى بوا ، ارشدو على هذا المعنى فان ابراهيم الخليل كان يفتش عن مكان البيت لبينيه حتى اهتدى الى مكانه .

وتقول الروايات الاسلامية : أن ابراهيم حينما أراد أن يؤسس البيت حفر ، فوجد أساسه لازال على حاله ، فبنى فوق الأساس القديم . اذن تمت المرحلة الأولى مرحلة التفتيش عن مكان البيت حتى وجده . "وكان موضع البيت الشريف يومئذ ربوة حمراء ، فصنع ابراهيم عليه السلام هناك بيتا من عريش الشجر" (٢).

واني لأستغرب كيف وصف الوادي بأنه غير ذي زرع ، فمن أين جاء بالشجر لعمل عريشا منه ؟ .

بعد هذه المرحلة أتت المرحلة الثانية وهي البناء .

وقد دلت الآيات القرآنية بصورة واضحة لاتقبل الشك أن ابراهيم الخليل هو وابنه اسماعيل قد بنيا البيت العتيق . "واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما . قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين . واذا جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا منه مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع والسجود" . "واذ

(١) سورة الحج الآيات ٢٦ - ٢٨

(٢) فتح العلام ج ١ ص ٩١

قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأنتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم^(١) .

هذه هي المرحلة الثانية بعد أن عرف ابراهيم مكان البيت بدا بعمارته ، وساعده في ذلك ابنه اسماعيل ، ولا يمكن أن يكون الولد الصغير الان مناوول البناء يجب أن يكون شابا نشيطا . ولم يشر القرآن الى أن اسماعيل وأمه هاجر كانا ساكنين في مكة آنذاك .

ومما استدل من هذه الآيات بالاضافة الى بناء البيت أن مكة كانت معمورة بدلالة ابراهيم "واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات" ولو كان المقصود الدعاء الى اسماعيل وأمه لدعا الى ذريته وليس الى أهل البلد . والدعاء قد ورد قبل أن يقوم ابراهيم وابنه بعمارة البيت وكان دعاؤه وهو يعمر البيت ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم .

وتأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة وهي مرحلة الهجرة والسكن في مكة المكرمة ، وحينها قال "ربنا اني أسكنت من ذريتي في واد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة" وقد ناقشت هذه الهجرة أما ماروته الكتب الأخرى يمكن اثباته . فبعد القرآن لاشيء وتشير المصادر جميعها على أن هاجر وقتها كانت حية ، ولهذا فالمقصود من ذريتي "اسماعيل وأمه" ولكننا نناقش لماذا سكنت هذه الذرية في مكة ؟ لماذا طاب لها المقام هنا ؟ هناك أوامر الهيبة ؟ أم أوامر من زوجه الغيور سارة ؟ . ان ماترشدنا اليه الآية "ربنا ليقيموا الصلاة"

(١) البقرة الآيات ١٢٤ - ١٢٧

فالأمر الهي للتعبد ليس الا . ولهذا تسقط كافة الادعاءات اليهودية في هذا الصدد ، ولم تكن هجرة هاجر وابنها الا بعد بناء البيت أو وقت بنائه . وأرد رواية ابن عباس التي فيها يقول : فقال لها الملك لاتخافوا الضيعة ، فان ههنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه ، وان الله لا يضيع أهله ، وكان البيت مرتفعا من الأرض كالراية ، تأتيه السيول ، فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم ، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا بأسفل مكة ، فرأوا طائرا عاثفا ، فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء . لعهدنا ان هذا الوادي ، وما به ماء فأرسلوا جريا أو جريين ، فاذا هم بالماء ، فرجعوا بالماء ، فأقبلوا ، وقال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا : اتاذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت نعم ، ولكن لا حق لكم في الماء فقالوا نعم^(١) .

ولن أتابع بقية القصة عن زيارات ابراهيم لاسماعيل فانها ضرب من التمثل ، فكيف يكون أبا ولا يزور ابنه منذ الرضاعة حتى يتزوج ؟ هذا لعمرى محال ، وتمثل ، لا يقبل أن يقوم به انسان عادي ، فكيف رسول وامام للبشرية .

وكأنني بابن عباس ، وقد غابت عنه قصة الذبح ، فهل حدثت قصة الذبح بعد الهجرة أم قبلها ؟ ان كانت قبل الهجرة فاسماعيل لم يأت مكة وهو رضيع وان كانت بعدها فابراهيم لم ينقطع عن زيارة ابنه وزوجه .

ويقرر ابن عباس أن البناء كان بعد زواج اسماعيل عليه السلام من جرهم . واذا ماتقرر أن هاجر وابنها سكنا مكة ، وكانت مأهولة ، فان قصة بثر زمزم كماوردت ملغية لأن أهل مكة كانوا يشربون ، فمن أين ، لاشك أن

(١) البخاري ج ٤ ص ١٤٣

شريهم من زمزم ، ولأعرف سببا لتسمية بحر زمزم ولئن اختلفت الناس في هذا .

* * * * *

العهد والارث

"يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم ، ومأنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . هاأنتم اؤلآء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيماليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون . ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين"^(١) .

من هذه الآيات الكريمة نسترشد مايلى : ١ - ان أهل الكتاب يتجادلون بأشياء لم تكتب في توراتهم لأن التوراة نزلت بعد ابراهيم /ع/ وقد رأينا أن الزمن بين ابراهيم وموسى تزيد عن سبعمئة سنة . ٢ - طالما لا يوجد في توراتهم مايفيد العلم عن ابراهيم ، فهم يجادلون في أشياء لايعرفونها . ٣ - تصور التوراة أن ابراهيم الخليل يهودي ، وتنفي هذه الآيات صلته باليهود والنصارى معا ، وتربطه بالرسول والمؤمنين . ٤ - الصلة ليست صلة النسب ، وانما صلة الايمان ، والكفر يقطع صلة الرحم عن المؤمن كما أن الايمان يقطع صلة الرحم عن الكفر .

ومن هنا نستنتج أن كافة ماكتب عن ابراهيم الخليل في التوراة ، ان هو الا ضرب من نسج الخيال ، لاحقيقة له ، ولا صلة بالحقيقة ، تصوروا ابراهيم

(١) آل عمران الآيات ٦٥-٦٨

كما أرادوا هم لا كما هو في الحقيقة .

فما العهد الذي قطعه الله لبني اسرائيل ؟ "وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه . ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيتها ، ولنسلك الى الأبد واجعل نسلك كتراب الأرض حتى اذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض ، فنسلك أيضا يعد قم امشي في الأرض طولها وعرضها ، لأنني أعطيتها ، فنقل ابرام خيامه ، وأتى ، وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون" (٢٧) .

العهد هنا لجميع نسل ابرام دون تمييز واسماعيل الابن البكر فله نصيبان من هذه التركة بينما اسحق له نصيب واحد واذا ما علمنا أن أبناء ابراهيم ثمانية كان لاسحق جزء من تسعة أجزاء ولإسماعيل جزءان من تسعة أجزاء هذه قسمة التوراة الموجودة وهذه شريعتها التي سجلتها .

"فقال لابرام اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم . . في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى نهر الفرات الكبير" (٢٨) .

هذا الوعد حدد الأرض بشكل أوضح من العهد السابق فقد تحددت من الفرات الكبير الى نهر مصر . (أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم وأثمرك كثير جدا واجعلك أمما وملوك منا يخرجون وأقيم عهدي بينك وبين نسلك من بعدك في أجيالكم عهدا أبديا لأكون إلها لك ، ولنسلك من بعدك ، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا

(٢) الاصحاح الثالث عشر سفر التكوين .

(٣) سفر التكوين الاصحاح الخامس عشر .

أبدى ، وأكون إلههم ، وقال الله لابراهيم ، وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم هذا هو عهدي الذي تحفظون بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر . . وأما الذكر الاغلف الذي لا يختن في لحمه غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها انه نكث عهدي^(١) .

في هذا الاصحاح قرن العهد بالختانة فأبناء ابراهيم هم المختنون وهو العهد الذي يحفظون بينهم وبين الله . ولهذا يحق لكل من يختن أن يرث ويكون العهد بينه وبين الله ، ومن هنا نقول أن أبناء ابراهيم كلهم يرثون لأنهم كلهم يختنوا .

(اسمع لقولها لأنه باسحق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك)^(٢) . في هذا الاصحاح لم تستطع التوراة أن تنفي اسماعيل من نسل ابراهيم ، وبهذا يكون له الحق في الإرث .

(ودعا ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة ، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوفا . . هؤلاء بنو قطورة) ولم تقل التوراة أنه تسرى بقطورة ، بل قالت أنه أخذها زوجة ، ولهذا يحق لهم أن يرثوا أيضا .

فماقضية الوعد لقد صور اليهود أنفسهم شعب الله المختار ، ولهذا فهم الذين وعدهم الله بهذه الأرض لكنني وجدت في التوراة ذاتها مايناقض الوعد ذاته .

ففي سفر حزقيال الاصحاح الثالث والثلاثون يخاطب حزقيال شعب اسرائيل اليهود : (يا بن آدم أن الساكنين في هذه الحرب في أرض اسرائيل

(١) سفر التكوين الاصحاح السابع عشر .

(٢) سفر التكوين الاصحاح الحادي والعشرون .

يتكلمون قائلين أن ابراهيم كان واحدا وقد ورث الأرض ، ونحن كثيرون لنا أعطيت الأرض ميراثا لذلك قل لهم هكذا قال، السيد الرب تأكلون بالدم ، وترفعون عيونكم الى أصنامكم ، وتسفكون بالدم ، أفترثون الأرض ؟ وقفتم على سيفكم ، فعلمتم الرجس ، وكل منكم يجي امرأة صاحبه أفترثون الأرض ؟^(٣) .

لقد نفت التوراة نفسها هذا الارث منذ أيام حزقيال ، ولم يبق أي وعد حتى نسميها أرض الميعاد . ولهذا تقول أن الارث الذي نادوا به قد سقط ، ولم يبق أي ارث لهم . هذا الارث الذي أدعوه زمنا طويلا قد نفته التوراة في أماكن متعددة واسمع الى سفر يوحنا اللاهوتي فقد حدد هذا السفر أيضا إن الوراثة ليست لأم وأب وإنما الوراثة للآيمان ، فالآيمان يقطع ماقبله عما بعده (من يغلب يرث كل شيء وأكون لها وهو يكون لي ابنا وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان ، وجميع الكذبة ، فنصيبهم في البحيرة المتقدمة ، وبنار وكبريت الذي هو الموت الثاني)^(٤) . هذا ما أكدته التوراة بالآيمان فقط والمؤمنون هم الذين يرثون أما من يتعد عن دينه ، ويخالف أوامر ربه فأني ارث له ؟ . وسيتساءل الناس هل حاد اليهود عن دينهم أم لازالوا مؤمنين ؟ فإذا ما حادوا عن دينهم فإن ارثهم يزول . أما اذا أبقوا على دين آبائهم وأجدادهم فإنهم يبقون أصحاب الارث .

من يقرأ التوراة بأسفارها جميعا يلاحظ أن التوراة تفيدان ملوك يهوذا من سليمان وحتى النهاية قد خالفوا التوراة فسليمان عبد أصنام زوجته الكنعانية ، ولن أنسى منسى ملك يهوذا الذي وصفته التوراة بمبالي : وتكلم الرب عن يد

(٣) سفر حزقيال الاصحاح الثالث والثلاثون ٢٤-٢٦

(٤) رؤيا يوحنا اللاهوتي الاصحاح الحادي والعشرون ٧-٨

عبدة الأنبياء قاتلا من أجل أن منسى ملك يهوذا ، قد عمل هذه الارجاس ، وأساء أكثر من جميع الذي عمله الاموريون الذين قبله ، وجعل أيضا يهوذا يخطيء بأصنامهم ، هكذا قال الرب اله اسرائيل هاأنذا جالب شرا على أورشليم ، ويهوذا حتى أن كل من يسمع به ، تظن أذناه . أمد على أورشليم خيط السامرة ومطماربيت أخاب وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن ، ويقبله على وجهه وارفضن بقية ميراثي ، وادفعهم الى أيدي أعدائهم ، فيكونون غنيمة ، ونهباً لجميع أعدائهم^(١) .

هذا رأي التوراة في اليهود منذ أن كانت دولتهم قائمة وقد خالفوا ، وسفكوا ، وزنوا ، واستباحوا كل مقدس ، وعبدوا الأصنام فأين ميراث ابراهيم منهم ؟ بل انهم يحتاجون في ابراهيم هو منهم أم يحتاجون أنهم من ابراهيم : وقد قال ابراهيم من تبني فانه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم .

فإن كانوا يحتاجون في أنهم من ابراهيم فإن الذين اتبعوه أحق بابراهيم وإن كانوا يحتاجون بالوعد الالهي فقد رأينا أن التوراة نفسها ترفض هذا الارث لأنهم حادوا عن الطريق المستقيم الذي رسمه الله لهم . أما الديانة المسيحية فقد اعتبرت الايمان ركنا من أركان الارث ومن لا يؤمن بالرسالة فقد حرم الارث . وهذه رسالة بولس الأول الاصحاح الأول : (فانه ليس بالناس موسى كان الوعد لابراهيم أو لنسله يكون وارثا للعالم بل ببر الايمان لأنه ان كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطل الايمان وبطل الوعد)^(٢) . لهذا هو من الايمان كي يكون على سبيل النعمة ليكون الوعد وطيدا لجميع النسل ليس لمن من الناموس فقط بل أيضا لمن هو من ايمان ابراهيم الذي هو أب لجميعنا كما

(١) سفر الملوك الثاني الاصحاح الحادي والعشرون .

(٢) رسالة بولس الأول الاصحاح الرابع .

هو مكتوب اني قد جعلتك أبا لأمم كثيرة .

لقد خلف ابراهيم أولادا الذين نعرفهم بشكل صحيح هما اسماعيل واسحق أما البقية فقد وردوا في التوراة ولاندري ان كان ذلك صحيحا وكان اسماعيل أبا لأمة ، واسحق أبا لأمم كما تقول التوراة ، فأي أمة هي الوارثة ؟ ليست الأمم التي تراث ان كان ذلك حسب رأي التوراة أو كان حسب رأي النصرانية أو كان رأي المسلمين . فرأى الاسلام يقول الله تعالى : "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحين"^(١) . وفي آل عمران "ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبيراً" . فالأرض ملك لله والله يورثها من يشاء من عباده الصالحين ، فلا وعد إلا بالعمل الصالح ولا إرث إلا بالايمان . وكل ماعدا ذلك فهو باطل وقبض الريح .

وهذا ما يقرره العالم الديني الفرنسي /جاك مارتين/ حينما قال : ان فلسطين هي الأرض الوحيدة التي من المؤكد اطلاقا وربانيا أن يكون لشعب دون جدال الحق فيها . كما لو أن الانتماء الى طائفة ابراهيم /ع/ يكون بالولادة لا بالايمان وكما أنهم يشاركون بالوعد مشاركتهم بامتياز وحق بالملكية .

(١) الأنبياء الآية ١٠٥

اللغة

ماللغة التي كان ابراهيم الخليل يتكلمها ؟ هذا السؤال الذي لاهد منه لكي يكون مفتاح القضية بمجملها . لم يشر القرآن الكريم الى لغة ابراهيم ولا الى منشأته وموطنه ، ولو أشار لما كان لنا أن نتعدها . ولما لم يشر كان علينا أن نبحث ، وليكن البحث علميا نتحرى فيه الحقيقة دون أن تؤثر فينا أية مؤثرات .

لم تخصص التوراة لغة خاصة لابراهيم ، فقد رأيناه من خلال سفر التكوين أنه تكلم مع بني حث حينما اشترى المغارة ، وتكلم مع الفلسطينيين في قصة أبي مالك ، وتكلم اللغة الكنعانية مع أبناء كنعان مع الكاهن العلي ملكي سالم ، وتكلم مع الأموريين ، وهو قد تكلم مع كل الناس في فلسطين ، وتكلم مع الناس في حران ، وتكلم مع الناس في أور ، وتكلم مع العرب حينما هجر زوجته هاجر وابنه اسماعيل أو حينما تزوج قطورة .

ولأدري كيف استطاعت التوراة أن تجعل ابراهيم يتكلم اللغات كلها أهو عالم لغات متخصص أم أن التوراة اعتبرت كل الناس يتكلمون لغة واحدة ؟ فرضان قد يكون أحدهما صحيحا وقد يكون الفرضان خطأ اذا علمنا أن ابراهيم لم يتكلم مع هؤلاء الناس ايوسيون وفرزيين وميدانيين وفلسطينيين وحثيين الخ المجموعة لم تكن موجودة كلها في فلسطين أيام ابراهيم الخليل عليه السلام ، وانما كانت الغالبية العظمى من بني كنعان . أما المجموعة التي أوردتها

التوراة فقد كانت في أيام كتابة التوراة عند سقوط الدولة اليهودية ، وأسر البابليين لهم ، فالفلسطينيون سكان الساحل لم يأتوا في زمن ابراهيم ، وإنما أتوا بعد أجيال كثيرة أما الحثيون فلم يصلوا الى فلسطين فقد احتلوا شمال سوريا في عهد نهاية الهكسوس وقيام الأسرة الفرعونية ، وقد صدّهم الفرعون احمس في معركة قادش على نهر حمص ، ولن نناقش بقية العناصر التي أوردتها التوراة فمعلوماتنا عنها قليلة .

اذن ما اللغة التي كان يتكلمها ، أهي لغة كنعان ، أم هي لغة الآراميين ، أم هي لغة ثالثة نجهلها أو نستطيع تقريرها فيما بعد ، وقد بقي الأمر مفتوحا حتى نحصل على الجواب الذي يشفي غلتنا . وحتى نصل الى ما يقارب الحقيقة لنبحث في أصل ابراهيم فهل نستطيع الوصول الى ذاك .

كانت اللغة البابلية هي اللغة المسيطرة على العراق ، واللغة تسيطر بسيطرة أهلها وتراجع بتراجع أهلها ، وكانت اللغة الكنعانية هي اللغة المسيطرة على أرض كنعان . أما جنوب فلسطين في الجزيرة العربية فاللغة العربية هي اللغة المسيطرة ويحاول المؤرخون أن يربطوا بين كلمة عبري وبين الأسماء التي وردت في النقوش (خبير - عبير - اخلاموا) كلمات ثلاث لجماعات رحل كانوا يتجولون في باديه الشام بين العراق وسوريا وشمال الحجاز يسIRON طلبا للماء والكأ كما هو شأن البدو الرحل في أيامنا هذه يسIRON وراء قطعانهم لا يستقرون في مكان .

يقول الدكتور أحمد سوسه : (وقد ورد ذكر الاخلامو مع جماعات سميت بالخبير أو الهير أو العبير وهي كلمة تطلق على القبائل العربية الرحل التي كانت تجوب الجزء الشمالي من الجزيرة العربية وقد انضمت هذه القبائل

الى القبائل الآرامية وصحفت هذه الكلمة الى عبري وعبراني^(١) . ولاأرى هذا الرأي فكلمة عبري أو عبراني لم تظهر الا في وقت متأخر حتى في عهد يوسف حينما اشتراه العزيز من مصر قالت نسوة مصران امرأة العزيز أحببت عبدها الكنعاني وهذا ماورد في التوراة ذاتها ولم تقل أحببت عبدها العبري .

الأحلام جمع خلم وهو الصديق ، وان سميت الأحلام بالحاء المهمة فهي صفة لمجموعة قد تحالفت من عدة قبائل الخبيرو ، والعبيرو حسب ماارتأى المستشرقون ترجمتها وقراءتها تدل على كلمة واحدة فالعابر في الأرض هو الخبير بها واعتقد أنها تدل على جماعة تغرب في البوادي وخاصة الجزيرة العربية وهذا يدل على أصلها العربي .

أما كلمة عبيرو أو خبيرو أو هبيرو كما ترونها كتب الغرب ، فهي لاندل أية دلالة على العربية ، وهذا مايؤكداه العلامة كروهمان في بحثه عن أصل العرب وعلاقة الآراميين مع قبائل الخبيرو والعبيرو فيقول ومن المؤكد أن العنصر البدوي العربي في شبه جزيرة العرب ، وهو على الأرجح مصطلح وادق لتسمية آرام وعبيرو ، وخبيرو وجد في الأصل في المنطقة التي تمتد بين سورية وبلاد ماين النهرين ، والتي تعد أقدم مركز للساميين^(٢) .

كلمة عبيرو وخبيرو هاتان الكلمتان حاول اليهود وجماعتهم استغلالها بشكل كامل ، وأراها بعيدة كل البعد عن العبرية فالعبرية لم تظهر الا بعد السبي أما تسمية ابراهيم بالعبري فهي من باب الاسقاط ليمتدوا بأصولهم الى ابراهيم ، وهو بعيد عنهم كل البعد "وماكان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا" .

(١) العرب واليهود في التاريخ ص ٩٨ ج ١

(٢) العرب واليهود في التاريخ ج ١ ص ٢٧٤

فالتوراة التي نزلت على موسى كانت في اللغة الكنعانية ولم تكن في اللغة العبرية حتى أن التوراة الأصلية لم تتعرض للعبرية وإنما سميت اليهود بني اسرائيل فالتوراة الحالية لم تكتب الا بعد ابراهيم بما يقارب من ألف وثلاثمئة عام وبهذا تكون قد تغيرت شعوب وظهرت شعوب وبيدت شعوب .

ويقول الدكتور سوسه : (ويتضح مما تقدم أن التوراة ، قد كتبت بعد ابراهيم الخليل بألف وثلاثمئة عام ، وبعد عهد موسى بأكثر من سبعة قرون ، وهي بالطبع غير التوراة التي نزلت على موسى ، ويؤكد لودز ذلك بقوله : "أنا لا نستطيع أن نؤيد صحة رجوع تاريخ أي قسم من الأسفار الخمسة وحتى الوصايا العشر الى عصر موسى ، لأن ماورد من روايات في هذه الأسفار ، قد تعرض أكثر من بقية أسفار التوراة الى تكرار واعادة تصنيف الى تغيير وتوسيع مستمرين على مر العصور" .

ويعترف العالم اليهودي سيلفربان التوراة الحالية لاتمثل توراة موسى الأصلية في أية ناحية ، وحتى الوصايا ، لم تكن في شكلها ، ومضمونها الحاليين كذلك التي أتى بها موسى .

والسؤال الآن نسأله متى ظهرت اللغة العبرية ، وقبل أن أجيب على هذا السؤال أطرح رأي كتابة التوراة لعالم يهودي أو متعاطف مع اليهود هو ويل ديورانت فقد قال : (كان أهم أثر للأنبياء في معاصريهم كتابة التوراة وكان سبب كتابتها أن الشعب شرع يرتد عن عبادة يهوه الى عبادة الالهة الأجنبية ، فأخذ الكهنة يتساءلون ، ألم يأن لهم أن يقفوا وقفة قوية يمنعون بها تدهور العقيدة القومية ؟^(١) .

(١) قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٥٦

وسرعان ماضموا الى جانبهم الملك يوشيا فلما كانت السنة الثامنة عشرة أو نحوها من حكمه أبلغ الكاهن حلقيا الملك أنه وجد في سجلات الهيكل ملفا عجيبا ، مضى فيه موسى في جميع المشكلات التاريخية والخلقية التي كانت مثار الجدل العنيف بين الأنبياء والكهنة ، وكان لهذا الكشف أثر عظيم في نفس القوم ، فدعا يوشيا كبارهم الى الهيكل وتلا عليهم سفر الشريعة^(١) .

فأين كانت التوراة في هذه المدة الطويلة وقد اكتشف سفر الشريعة هذا في أيام بختنصر قبل الأسر البابلي لسنوات .

ويتمسك اليهود لاله يهوه فهل كانت تسمية هذا الاله في اللغة العبرية . ان التاريخ يكذب هذا وما من لغة عبرية في ذلك العهد .

ويقول مترجم قصة الحضارة في حاشية له : "من بين الآثار التي وجدت في كنعان عام ١٩٣١ قطع من الحرف من بقايا عصر البرونز /٣٠٠٠ ق م/ عليها اسم اله كنعاني يسمى ياه أو ياهو"^(٢) .

وياهو التي حرفها اليهود الى يهوه عبارة عن كلمتين عربيتين يا أداة النداء وهو الضمير ، وقد نادى أبو بكر الصديق رضي الله عنه الله سبحانه وتعالى بكلمة /ياهو/ ولازالت بعض الفرق الصوفية تنادي الله بهذه التسمية .

فإذن يهوه ليس لها خاصا بالعبريين ، وليست اللغة العبرية هي اللغة التي لم يسبقها لغة وان كان اعتقاد العبريين بذلك شائعا (كان احبار اليهود في العصور القديمة يعتقدون أن اللغة العبرية هي أقدم لغة في العالم ، وانتشر هذا الرأي عند كثير من الباحثين)^(٣) .

(١) العهد القديم .

(٢) قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٤٠ حاشية .

(٣) اللغة العبرية ص ٦٣

ولم يتميز ابراهيم الخليل ، ولا أولاده عن الناس الذين حولهم بعرق أو طائفة اللهم الا ماأدعاه اليهود من التميز ، فقد تزوج ابراهيم هاجر وقطورة ، وتزوج عيسو بن اسحق محلة بنت اسماعيل ، وكذلك تزوج عيسو من بنات كنعان ، وعدا بنت ايلون الحثي ، وتسمي التوراة محلة بنت اسماعيل في مكان آخر بسمة بنت اسماعيل ، وتزوج يهوذا ابنة رجل كنعاني اسمه يشوع أما يوسف فقد تزوج امرأة مصرية .

اذن لم يكن ابراهيم وأبناؤه عرقا متميزا ، ولا كانت لهم لغة متميزة حتى نقول أن اللغة العبرية هي لغة ابراهيم أو ندعو ابراهيم بالعبرى وفي هذا يقول الدكتور ربحي كمال : (لما هاجر العبريون الى أرض كنعان حوالي القرن الثالث عشر ق .م كانوا يتكلمون آنئذ لهجة تقرب من احدى لهجات اللغة الآرامية القديمة ، ومن ثم راحوا يستعملون لغة البلاد التي هاجروا اليها ، وأخذوا ينسون تدريجيا لغتهم الأصلية ، ولم يأت القرن الحادي عشر حتى أصبحت اللغة الكنعانية هي اللغة المستعملة ، وتعد اللغة العبرية احدى اللغات الكنعانية)^(١) .

اذن لم تكن لغة عبرية في عهد ابراهيم الخليل ، فكيف ندعوه بالعبرى ، ويحاول بعض المؤرخين أن يفسروا كلمة عبري ، ويبررها فيقول أنها نسبة الى أحد أجداده عابر وعابر اسم فاعل من عبر والاسم موجود في نسب قحطان كماهو موجود في نسب ابراهيم . وكلمة عابر عرية خالصة . وهو جد من أجداد قحطان أيضا . ويقول العقاد : "وأشاروا الى كلمة عبري ومعناها فقالوا لو أنها وجدت في آثار رم سن ملف حمورابي كماوجدت في نص من

(١) د . ربحي كمال اللغة العبرية ص ٣٣

النصوص البابلية التي كشفت في بلاد الحثيين وكان لها معنى أعم من معناها الخاص بعد ذلك بأبناء إسرائيل ويفهم منه أن الكلمة كانت مرادفة لكلمة الجنود الرحل الذين يستأجرهم قادة الجيوش". ابراهيم أبو الأنبياء ص ٩٤

مألة ابراهيم اذن ؟ يبقى لدينا إما لغة كنعانية وهي البلاد التي استقر فيها أو لغة آرام التي يدعي اليهود أنه انتقل منها أو اللغة العربية التي كانت تسيطر شمال الحجاز اللغة الكنعانية هي احدى اللهجات العربية التي كانت تقطن في فلسطين ، أما اللغة الآرامية فهي اللهجة العربية التي كانت تقطن العراق ، واللغة العربية هي اللغة المسيطرة من اليمن وحتى شمال الحجاز ، فأية لغة يمكن أن نقولها لتكون لغة ابراهيم . ١- أرفض اللغة الكنعانية لأن ابراهيم حينما هاجر في الله كان رجلا كبيرا ناضجا ولم يكن يافعا فالرسالة لاتأتي الا بعد الأربعين ، ويمكن لهذا أن يتعلم لغة لكن بصعوبة ، وتبقى لغته الأصلية هي اللغة التي يتكلمها طيلة حياته خاصة اذا كانت اللغة التي يقطن بين أهلها قرية من لغته المحكية . ٢- أرفض اللغة الآرامية لأنني لأرى أن حوادثه صارت في العراق ، وقد ناقشت هذا ولا مجال للاعادة . ٣- اذا قلت أن هجرة ابراهيم من شمال الحجاز فاني أقرر مايلي : أ- اللغة التي كان ابراهيم يتكلم بها العربية للأسباب التالية : ١- زوجته قطورة من العرب . ٢- هاجر مع ابنه اسماعيل وزوجته هاجر الى مكة ، وقد ناقشت هذا ، ولا مجال للاعادة . ٣- تزوج اسماعيل من العرب من جرهم . ٤- هاجر قرأناها في العبرية هاجراهم المصرية وقد رأينا تقريراها الجرهمية المصرية . ٥- أثبتت التوراة أن زوجة اسماعيل كأمه مصرية ولما كانت زوجة اسماعيل جرهمية فأمه جرهمية . ٦- يؤكد هذا الكلام الأستاذ عباس العقاد بقوله : وربما كان من المفاجآت عند بعض الناس أن يقال لهم أن ابراهيم عليه السلام كان عربيا وأنه كان يتكلم العربية^(١) . ويؤكد

(١) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ٢٠٣

العقاد أن موطن ابراهيم عند سيناء وشمال الحجاز ، وكان الجنوب مفتوحا أمامه ، ومما يدل على ذلك هجرته الى مكة المكرمة مه ابنه وزوجته ، ولاشك في ذلك . اننا نلاحظ أن اللغة الآرامية والكنعانية والعربية هما أخوات لأم واحدة أما اللغة العربية فهي لغة وليدة لم تنشأ الا بعد القرن العاشر الميلادي .

٧- يقول الدكتور أحمد سوسة : لذلك يكون من سمى في التوراة بني اسرائيل من أتباع موسى النبي ، لا يمتنون بأية صلة بمحيط العرب الذي عاشه ابراهيم الخليل وأحفاده يعقوب قبل مئات السنين كما أنهم لا يمتنون بأية صلة بديرية اسماعيل ، واسحق الذين بقوا محافظين على الدم العربي الخالص الذي يرجع الى عهد ابراهيم الخليل ، فإن سمت التوراة أتباع موسى ببني اسرائيل ، أم لم تسميهم فهم لا يرتبطون بعهد ابراهيم الخليل اطلاقا ، ولا صلة لهم به قطعا ، لأن لغة ابراهيم غير لغتهم ، وعهد ابراهيم غير عهدهم ، واله ابراهيم غير الههم^(٢) . هذا اذا اعتبرنا رحلة يعقوب الى مصر المعروفة لا الى مقاطعة مصر العربية التي منها معان المصرية . والدلالة الكبيرة على ذلك هو موت يعقوب ونقله الى حبرون كما تقول التوراة . وقد أكد عربية يعقوب واسحق وابراهيم كثيرا من العلماء نذكر منهم بريستد والدكتور بونكارت حيث يقول : يجب اضافة حقبة حضارية سامية قائمة بذاتها تعود الى عصور فجر التاريخ ويسبق عهد الامبراطورية الاكدية هذه الحقبة الحضارية السامية البحتة التي مصدرها هجرة الساميين العرب من شبه جزيرة العرب عصر مسيلم نسبة الى مسيلم أحد ملوك الساميين في مدينة كوش^(٣) .

واننا نلاحظ كلمة مسيلم وهي تصغير مسلم العربية وبهذا تكون الجزيرة العربية هي الأم واللغة العربية هي الأم .

(٢) العرب واليهود في التاريخ ص ٤١٦

(٣) العرب واليهود في التاريخ ج ١ ص ١٢٤

وسأقبل بعض كلمات مرت في بحثي : ١- ابراهيم قال عنها بعض المؤرخين والمفسرين أب راحم وهي بإبدال الحاء هاء . وأرى أنها من برهن "دليل على وجود الله" بإبدال الميم نونا . ٢- ساراي = سارة من السيرة والهجرة . ٣- سيروج سيروا بعيدا . ٤- هاجر فعل من الهجرة . ٥- ايل اله "وكان للاله ايل نفس المكانة السامية عند الآراميين ، فقد ورد اسمه مضافا الى أسماء بعض ملوكهم ، فقد اشتهر بين الملوك الآراميين الملك متى ايل ملك أرجاء الذي عقد معاهدة دفاع مشترك مع الملك الآشوري /٧٤٥ - ٧٥٤/ ق م . كما اتخذ الهكسوس الذين حكموا مصر بين سنة ١٧٨٥ وسنة ١٥٨٠ اسم الاله ايل للتبرك ، فأضيف الى أسماء بعض ملوكهم باسم يعقوب ايل ، وورد يوسف ايل ، وقد وجد هذا الاسم ايل في اللهجة اليمنية الحميرية ، فقد وردت أسماء بعض الملوك اليمن ملحقا فيها ايل كرب ايل وتر كرب ايل يدع ايل بن يدع ايل بن تبع كماورد في الأسماء العادية شرحبيل ، أما في الشمال فقد سمي الاسم شرحاف غير منسوبة الى ايل وبهذا تكون كلمة ايل عربية ، وليست عبرية ولانلاحظ بعد فترة يعقوب من سمي بايل وهذه أسماء ملوك اليهود حسبما ورد في التوراة ولو كانت ابل عبرية لوردت .

ويؤكد الأستاذ الجميلي أن ايل كلمة عربية الأصل وقد كانت منذ القديم في مختلف اللهجات العربية القديمة بمعنى الاله وهي كلمة تعني الرب . فتطورت عنها كلمة الاله أو الله في العربية الفصحى^(١) . ٦- اسرايل الساري الله . ٧- يعقوب ذكر الحجل . ٨- اسحق من السحق /البصر والقوة/ أو هو ضحك بإبدال الضاد سينا والكاف قافا وقد وردت في العبرية صحق بمعنى ضحك . وتقول التوراة عن سارة سميته اسحق لأن الله ضحك لي ولأن كل

(١) العرب واليهود في التاريخ ج ١ ص ٧٠

من يسمع أنه ولد لي يضحك لي . ٩- اسماعيل السامع لله . ١٠- بابل باب
 الله . ١١- ايل رثي رؤى الله . ١٢- ملكي صادق الملك الصادق . ١٣- ملكي
 شاليم ملك السلام وله نسبت أورشليم . ١٤- عابر اسم فاعل من عبر . ١٥-
 أب رام الأب القاصد . ١٦- عفرون وزن فعلون من عفر والعفر هو لون التراب
 والكلمة عربية وليست حثية كما ترونها التوراة . ١٧- ناحور وزن فاعول من
 نحر . ١٨- هذه بعض كلمات مرت ومن يراها يحسبها أعجمية وهي عربية
 صميمة .

أبناء ابراهيم

"رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حلیم فلما بلغ معه السعي قال يا بني أني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما تله للجبين ونادياه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم . كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين"^(١) . دعوة لابراهيم الخليل بعد أن شاخ ، وكبر ، وجاءت الشارة بغلام حلیم هذه الدعوة تشعرا أنه لم يكن له أولاد مطلقا ، وشب الغلام ، وبلغ معه السعي . والسؤال الذي يطرح مامعنى السعي ؟ هل بدأ يركض أم كان يسعى معه حول الكعبة ؟ . أراد الله اختباره وهو الحلیم العليم فرأى ابراهيم في منامه أن يذبح ابنه ، والرؤيا عند الأنبياء تقابل الوحي ، وحينها قال لابنه المؤمن وهذا يدل على أن الولد أصبح في سن الشباب : ان الله أمرني أن أذبحك ، وعمل أشد ألما على المرء من أن يذبح ابنه بيده ؟ وأي ولد ولد بلغ الشباب ، والوالد في سن الشيخوخة ؟ وما كان من الشاب الا أن قال وهو المؤمن الفانع افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين .

(١) الصافات ٩٩-١١٣

أب مؤمن وابن مؤمن يتلقيان أوامر الله بالأذعان ، والطاعة . ولما وضع الأب ابنه تحت السكين ناداه الله ان قد صدقت الرؤيا ولم يذبح ولده لأن الله افتداه بكبش سمين . بعد حادثة الذبح هذه والفداء تابعت الآيات البشارة بالولد الثاني وقد حددته باسحق وعلى أساس فهمي للآيات يكون الولد الذي أراد ابراهيم ذبحه اسماعيل ولا ريب ولتنظر الى رواية التوراة لنرى الفارق الكبير (وحدث بعد هذه الأمور ، ان الله امتحن ابراهيم ، فقال له : يا ابراهيم . فقال : هاأنذا . فقال : خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق ، واذهب الى أرض المريا ، واصعده هناك على محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك ، فبكر ابراهيم صباحا ، وشد على حماره وأخذ اثنين من غلماناه معه ، واسحق ابنه وشقق حطباً لمحرقة ، وقام ، وذهب الى الموضع الذي قال له الله ، وفي اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه ، وأبصر الموضع من بعيد فقال ابراهيم لغلاميه : اجلسا أتما ههنا مع الحمار وأما أنا والغلام ، فنذهب الى هناك ، ونسجد ، ونرجع اليكما^(٢) . فأخذ ابراهيم حطب المحرقة ، ووضع مع اسحق ابنه ، وأخذ بيده النار والسكين ، فذهب كلاهما معا ، وكلم اسحق ابراهيم أباه ، وقال : يا أبي ، فقال : هاأنذا ، فقال : هوذا النار والحطب ، ولكن أين الخروف للمحرقة فقال ابراهيم : الله يرى له الخروف للمحرقة يا بني ، فذهب كلاهما معا ، فلما أتيا الى الموضع الذي قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ، ورتب الحطب ، وربط اسحق ابنه ، ووضع على المذبح فوق الحطب ، ثم مد ابراهيم يده ، وأخذ السكين ليذبح ابنه ، فناداه ملاك الرب من السماء ، وقال : ابراهيم ابراهيم . فقال : هاأنذا . فقال : لا تمد يدك الى الغلام ، ولا تفعل به شيئا لأنني الآن علمت أنك خائف الله ، فلم تمسك ابنك وحيدك عني ، فرفع ابراهيم

(٢) أضافت التوراة كذبة أخرى حينما قال نسجد ونعود .

عينيه ، ونظر ، واذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه ، واذا ابراهيم آخذ الكبش ، وأصعبه محرقه عوضا عن ابنه ، فدعا ابراهيم اسم ذلك الموضع ، يهوه يراه ، حتى أنه يقال اليوم في جبل الرب يرى ، ونادى ملاك الرب ثانية من السماء ، وقال بذاتي أقسمت ، يقول الرب ، اني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة ، وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء ، وكالرمل على شاطئ البحر ، ويرث نسلك باب أعدائه وتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي^(٣) .

وردت القصة في التوراة ولي عليها الملاحظات التالية : أ- خذ ابنك بكرك وحيدك . فمن الابن البكر الوحيد ؟ هل هو غير اسماعيل وحتى باعتراف التوراة ذاتها ؟ لم تعظ التوراة لاسحق الايمان الذي قال به القرآن الكريم لاسماعيل (اني أرى في المنام أنني أذهبك فانظر ماذا ترى قال يأبى أفعل ماتؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين) . بعد أن انتهى ابراهيم من قصة الذبح ، بشره الله باسحق نبيا من الصالحين ، فهل أتت البشارة قبل مولده أم بعد مولده ؟ . لو رجعنا للنصوص القرآنية لوجدنا أن البشارة باسحق جاءت قبل مولده ، وكان مولد اسحق بعد مهلك قوم لوط ، وكانت البشارة حينما أتت الملائكة لتدمير قوم لوط ، مر الملائكة على ابراهيم ، وسارة ، وبشروهما باسحق ، وكان ابراهيم شيخا ، وكانت سارة عجوزا (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فلما لبث أن جاء يعجل حينئذ فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكروهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامراته قائمة فضحكك فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت

(٣) سفر التكوين الاصحاح الثاني والعشرون .

يا ويلنا ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا شيء عجيب^(١) . وقد مرت هذه البشارة في عدة سور من القرآن الكريم ، مرت في سورة هود ، والحجر ، والذاريات ولاتناقض بين سورة وأخرى في الرواية كما يحدث عادة في التوراة بل جميعها يتمم بعضها بعضا والملاحظ أن البشارة لاسحق كانت بغلام عليم ، فقد وصف اسحق بالعلم في سورتين الحجر والذاريات أما البشارة الأولى في اسماعيل فقد وصف الغلام بالعلم فبشرناه بغلام حليم .

والاشارة واضحة الى اسماعيل فلما بلغ معه السعي قال يابني اني ارى في المنام اني اذهبك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين^(٢) .

وبعد الآيات التي تصف الذبح والغداء تتابع الآيات مقالها في قوله الثاني ، (كذلك نجزي المحسنين أنه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) ١١١-١١٣

والآيات موجودة في قسم القرآن الكريم في أول الكتاب ولننظر الآن ماذا قالت التوراة في ذلك البشارة . (وظهر له الرب عند بلوطات ممرا ، وهو جالس في باب الخيمة ، وقد حر النهار ، فرفع عينيه ، ونظر ، واذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ، ركض لاستقبالهم من باب الخيمة ، وسجد الى الأرض ، وقال ياسيد ان كنت وجدت نعمة في عينيك ، فلاتجاوز عبدك ، ليؤخذ قليل ماء ، واغسلوا أرجلكم ، واتكئوا تحت الشجرة ، فأخذ كسرة خبز ، فستسندون قلوبكم ، ثم تجتازون لأنكم مررتم على عبدكم ، فقالوا هكذا نفعل كما

(١) هود ٦٩-٧٢ وارجع الى سورة الحجر ٥١-٦٠ وسورة الذاريات ٢٤-٣٣
(٢) سورة الصافات ٩٨ ومايليها .

تكلمت ، فأسرع ابراهيم الى الخيمة الى سارة ، وقال اسرعي بثلاثة كيلات دقيقا سميدا ، اعجني ، واصنعي خبز مله ، ثم ركض الى البقر ، وأخذ عجلا رخصا وحيدا ، وأعطاه للغلام ، فأسرع ليعمله ، ثم أخذ زيدا ولبنا والعجل الذي عمله ، ووضعهما قدامهم ، وان كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا . وقالوا له أين سارة امرأتك ؟ فقال : هاهي في الخيمة . فقال اني أرجع اليك نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة امرأتك ابن . وكانت سارة سامعة في باب الخيمة ، وهو وراءه ، وكان ابراهيم ، وسارة شبيخين متقدمين في الأيام ، وقد انقطع أن يكون لسارة عادة النساء ، فضحكت سارة في باطنها قائلة : أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ ، فقال الرب لابراهيم : لماذا ضحكت سارة ؟ قائلة : أباالحقيقة ألد وان شخت هل يستحيل على الرب شيء في المعباد ، وارجع اليك زمان الحياة ، ويكون لسارة ابن^(٣) .

البشرى موجودة في التوراة والقرآن لكن الفرق بين الفصتين كبير فالملائكة لم يأكلوا كما في القرآن ولكنهم في التوراة أكلوا والملائكة قالوا لابراهيم عن نكبة قوم لوط بينما لم يرد شيء من هذا في التوراة ولي على سرد التوراة بضع ملاحظات : ١- لم تذكر هاجر ولا ابنها وإنما ذكرت سارة وقد كانت تقوم بالخدمة بنفسها ، فصنعت خبز مله ولم تناد هاجر فاذا ماكانت هاجر أمة أفليس أحق بالخدمة من سيدتها . ٢- اعترف القرآن الكريم والتوراة بتقديم سارة وابراهيم في العمر . ولكن التوراة زوجت ابراهيم من قطورة ، وحجون بنت ازهير العريثين بعد موت سارة . فهل يعقل أن يتزوج انسان بعد المدة ؟ اذن اذا ماثبت رواية التوراة بأنه تزوج غير سارة ، وهاجر فإنه قد تزوج قبل أن يشيخ الى جانب هاجر . ٣- لم يذكر القرآن بقية أبناء ابراهيم بينما

(٣) سفر التكوين الاصحاح الثاني عشر ١٥-١

تعرض لاسماعيل واسحق وأهملت بقية الأسماء ترى أليس له أولاد غيرهم ؟
 أم ترى أغفل القرآن ذلك . أنا أشك في زواجه من قطورة ومن حجون ، وإنما
 زوجته التوراة من القبائل المجاورة ايحمي اليهود أنفسهم من جيرانهم ، فادعوا
 أواصر القرية بدمج القبائل المجاورة في نسبهم ، وبهذا يصبحون لهم عونا
 وسندا . الدلالة في الآيات القرآنية أن ابراهيم كان يسكن قريبا من آل لوط وقد
 قالوا لابراهيم أن موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب ؟ .

لكن الاشارة هذه لاتحدد هل كان مقيما اقامة دائمة أم كان ينتقل من
 مكان لآخر ؟ فقد بين لنا القرآن الكريم أنه انتقل الى الحجاز ، وقد بينا ذلك في
 بناء البيت ، و اشارة القرآن اشارة واضحة في اسكانه من الذرية عند البيت
 المحرم .

ترى هل استقر المقام به في الحجاز ، والقى عصا الترحال في مكة
 المكرمة ؟ أم ترى استقر اسماعيل الشاب وأمه في مكة المكرمة ، وهو الشيخ
 السجوز ظل متنقلا من مكان لآخر ؟ هذا مالايجبنا أحد عنه .

التوراة بتناقضها تقول أنه سكن في برية بئر سبع قريبا من جرار ، وقد
 ماتت سارة في ذلك الموضع ، ومات ابراهيم فيها وبهذا يكون قد ترك الأرض
 الحصبة الى مكان قاحل لاينبت نباتا ، ولايزرع زراعا .

صحراء قاحلة يمكن أن تكون صالحة للرعي ، لكن هناك سفوح الجليل
 والكرم ، وهي صالحة للرعي أيضا ، وقد اشترى حقلًا في حبرون فمالذي
 يمنع سكناه ان صحت دعوى التوراة ، ومالذي فعله في الحقل بعد أن اشتراه ،
 ان شراء الحقل يستلزم السكن للزراعة ، وعدم زراعة ابراهيم هذا الحقل رد على
 التوراة حينما قال : اشترى المغارة والحقل ، فأرض فلسطين أهلة بالسكان .
 ولهذا لم يمر ابراهيم على الخليل والجليل كما تقول التوراة ، ولم يسافر من آور

الكلدانية الى فلسطين ، وانما هاجر من شمال الحجاز ، أو نجد الى جنوبي فلسطين ، وحصرنا لم يتجاوز البحر الميت شمالا . فلوط عليه السلام آمن به ، وجاء يشر أقوام سدوم وعموره ان اشارة القرآن الى لوط وقومه اشارة واضحة الى أن لغة لوط هي لغة القوم الذين سكن بين ظهرانيهم فقد أرسل كل رسول الى قومه باللغة التي يفهمونها ، وأتساءل هل انتهت رسالة ابراهيم حينما نجاه الله ولوطا الى الأرض التي بارك الله فيها وبدأت رسالة لوط ؟

لم تبين لنا التوراة أنه بشر لله العلي ولم تبين لنا شريعة ابراهيم بل صورت ابراهيم راغيا متنقلا ، لا هم له الا الكسب بأي طريقة كانت ، يزين زوجته ، ويقدمها لفرعون ليكسب مالا ، وغنى كما تقول التوراة ، ويزينها من جديد ليقدمها لأبي مالك ليكسب من ورائها غنى تصوره التوراة جشعا لاهم له الا المال جيانا يسلم زوجته لكل مغتصب ، تصوره التوراة عاجزا أمام جبروت زوجته سارة ، فكل ما أمرته به يخضع لها .

أهذا هو أبو الأنبياء ؟ أهذا هو الصدق في التوراة أم هذا هو ابراهيم ؟ تصور لنا هاجر خادمة ذليلة تمتهن ، فلاتشكو . تهرب ، فيرجعها ملاك الرب لتبقى خاضعة بين يدي سارة ، تذللها سارة ، تهينها ، ثم تطردها ، ولا تقف لتدافع عن نفسها مرة ، يتركها زوجها في بركة بئر سبع هي وابنها عرضة للموت للعطش للجوع والحيوانات ، وتسكت هل هذه هي هاجر أم الصدق في التوراة ؟

تصور لنا التوراة سارة العجوز العاقر المرأة المتصاية الفاسقة التي ترضى أن تزني وتزف لكل مغتصب ، فلاتثور ، ويثور من أجل هاجر ، تغضب من ابن هاجر ، تذلل هاجر ، وتطردها مع ابنها ، فهل هذه هي سارة أم هو الصدق في التوراة ؟

تصور التوراة هاجر من مصر ، وتزوج ابنها اسماعيل امرأة مصرية ، فهل
هذا النسخة ، في التوراة ٢ وهي المرأة التي سكنت مكة وزوجت ابها من جرهم
العربية ، وايمت من مصر أهذا هو الصدق في التوراة ؟

الخاتمة

لأعتقد أنني أفلحت بعد هذه الدراسة في تصوير قصة ابراهيم كما يجب ولا في جلاء الغموض عن هاجر ، زمن طويل ، مر يقدر بأربعة آلاف سنة ، لاتسندنا الوثائق ، ولاتدعمنا الآثار والرقيمات لنستجلي الصورة .

كتاب القرآن الكريم قدم لنا ابراهيم أسوة حسنة ، المؤمن المهاجر في سبيل ربه ، المكافح عن دينه وإيمانه ، يقدم الى النار فيمشي بخطا وثيدة ثابتة ، ليتلقى النار ، واذا بالنار تصبح بردا وسلاما . يهاجمه قومه ، فيهماجمهم ، يحاجه ملكه ، فيحاجه ، ويطرد ، فيهاجر ، يعتزله أبوه ، ويبقى بارا يدعو له بالمغفرة . يترك وطنه ، يحن اليه ، لكنه يبقى الداعية للإيمان الرؤوف بالبشرية حينما يجادل الملائكة في قوم لوط .

أب رحيم يدعو لابنه حينما أسكنه في الحجاز بدعوات صالحة ، يحمده الله على السراء والضراء كريم يقرى الأضياف ، يذبح الذبائح ، يقدمها للمازين ، ذكر قصة ابراهيم مع الملائكة حينما ذبح لهم عجلا وهو المؤمن الذي يقرر ذبح ابنه ان كان ذلك يرضي الله ، قانع بما قسمه الله . أما هاجر هذه التي كنت أبحث من أجلها .

المرأة المهذبة المطيعة لزوجها ، المؤمنة بالله تمام الايمان يسكنها زوجها في مكة ، فتسكن يتزوجها على ضرة فتقبل ، تلد ، فتحمد الله على مانع به عليها ، لاتتذمر ، لاتشكو ، مثال المرأة المؤمنة الصالحة .

أما اسماعيل ذلك الفتى المؤمن بالله ، مطيع لله ، مطيع لوالده ، يبلغه
الوالد بأن الله يأمر بذبحه فقال مطيعا : أفعل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله من
الصابرين .

ويمشي الى المكان الذي سيذبح فيه هادئا ، مطمئنا بعمر قلبه الايمان ، لم
لا وهو ابن أبيه المؤمن يسكنه والده في الحجاز في واد غير ذي زرع ، فلا
يتأفف ، ولا يشكو ، ولا يضجر ، يأمره كمالك الروايات بطلاق زوجته ،
فلا يناقش ، بل ينفذ الأمر مطيعا ، يدعو لبناء البيت ، فيسمع ، ويشاركه في
البناء ، ويدعوا : ربنا ، تقبل منا انك أنت السميع العليم . هذا الفتى صادق
العهد حلیم متماسح مؤمن قانع راض . أما سارة فقد أعطها القرآن صورة رائعة
المرأة المؤمنة العاقرة التي لاتلد ، فلاتشكو ، ولاتضجر ، تزوج عليها زوجها ،
فلاتضجر ، وحينما بشرتها الملائكة بالسحق ، تعجبت فقالت : أنا عجوز ،
وهذا بعلي شيخا ، انه لشيء عجيب . هذه هي الصورة التي قدمها لنا القرآن
الكريم لهذه الشخصيات الأربع ، أما التوراة فقد أعطتنا الصورة المناقضة لما
صوره القرآن الكريم ، صورة الشر والحق والتفطرس لسارة ، صورة الرجل
الضائع أمام زوجته ، والجبان أمام الجبارين هذه صورة ابراهيم ، المرأة الدليلة
المهانة والخدمة المتواضعة هاجر .

أبعد هذا تناقض ؟

انني أدعو كتاب التاريخ وعلماء الدين معا أن يتنبهوا الى خطورة الوضع
الاسرائيلي وخطورة الاسرائيليات في التاريخ والدين ، وأن يهبوا ، ويقفوا وقفة
رجل واحد ليدروا عن هويتهم ، عن دينهم ، آثام الصهيونية ورجسها ،
وليفتحوا أعين الناس على الحقيقة ، فلا يبقى أعمى لا يبصر وضال لا يهتدى ،

لقد خدعنا قرونا عديدة بأوهامهم وقل من سلم إلا من عصم ربك ومتى
يستفيق النائمون .

ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

انتهت

المصادر

- أ- كتب سماوية :
- القرآن الكريم
 - العهد الجديد
- ب - كتب الحديث :
- صحيح البخاري
 - فتح الباري
 - رياض الصالحين
- ج - كتب تفسير :
- تفسير الطبري
 - معاني القرآن - الألوسي
 - تفسير أبي مسعود
 - مختصر ابن كثير
- د - كتب سيرة نبوية :
- السيرة النبوية لابن هشام
 - سيرة ابن اسحاق
 - تفسير ابن كثير
 - التفسير الكبير - الامام الرازي
 - تفسير النسفي
 - تفسير الجلالين

- روض الأنف - محمد رسول الله .. الله ..

هـ - كتب تاريخ :

- تاريخ الطبري - الكامل ابن كثير

- المبتدأ والخبر - ابن خلدون - المختصر - أبو الفداء

- تنمة المختصر - ابن الوردي - تاريخ ابن السري

- تاريخ العرب - فليپ حني - بدائع الزهور - ابن اياس الحنفي

- المفصل في تاريخ العرب - جواد علي - العرب واليهود - سوسه

- البداية والنهاية - ابن كثير - تاريخ بلاد الشام - أحمد اسماعيل

- تاريخ موجات الجنس العربي - دواره - بلاد ماين النهرين - دولايورث

- الخطوط الكبرى في تاريخ سوريا - أسد أشقر - قصة الحضارة - ول ديورانت

- الحرب عبر التاريخ - مونت غمرى

و- كتب دينية :

- اليهود في القرآن طهارة - روضة المحبين - ابن قيم الجوزية

- مكائد يهودية - حسن حنكة - أسئلة محيرة - الشعراوي

- فتح العلام - الجوداني - النبوة والأنبياء - الصابوني

- عصمة الأنبياء - الفخر الرازي - نهاية الارب - النويري

ز- كتب عن اليهود :

- تاريخ اسرائيل القديم - الأب دي فو - قضية اسرائيل - روجه غارودي

- اللغة العبرية - د. ربحي كمال
- التوراة - مصطفى محمود
- كتب عامة :
- قصص القرآن - جاد المولى
- تاريخ اللغات السامية والمنسقون
- العصبية القبلية - د. احسان النص
- جمهرة الأنساب - ابن حزم
- فجر الاسلام - أحمد أمين
- الاعجاز الطبي في القرآن - السيد الجميلي
- التفسير والمفسرون



فريق نشر وراثت دار معد للطباعة والنشر والتوزيع

سورية دمشق - ص . ب ١٠٨٧٧ هـ ٨٨٦٢٦٩